الجامعة الأمريكية المفتوحة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

أصول الإيمان(٢)

تأليف

الأستاذ الدكتور/ محمد نعيم ياسين

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م

حقوق الطبع محفوظة للجامعة

الأمريكية المفتوحة

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة إلى الدارس

إن الحمـــد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشـــداً، وأشـــهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

الإخوة والأخوات طلبة وطالبات الجامعة الأمريكية المفتوحة.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.....وبعد

فمرحباً بكم على طريق التفقه في الدين، وأهلاً بكم أوفياء لدينكم في زمن الغربة الثانية للإسلام، ونزف إليكم بشرى إمام الأنبياء والمرسلين ﷺ أن: "من يرد الله بـــه خيراً يفقهه في الدين"، وأن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يفعل، وأن من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً يسر الله له به طريقاً إلى الجنة.

عزيزي الدارس ...عزيزتي الدارسة، يطيب لنا أن نلتقي بكم مجدداً في مرحلة البكالوريوس مع مقرر أصول الإيمان (٢). وقد تم إعداد هذه المادة وتنظيمها في صـــورة وحـــدات تضـــم فصولاً، تحتوي كل وحدة على عناصر أساسية هي: (مـــبررات دراســـة الوحدة - الأهداف التعليمية - الرسومات الخطية - الاختبار البعدي - الأنشطة التعليمية). وإننا لنوصي إخوتنا وأخواتنا - طلبة الجامعة - بأن يســـيروا في دراســـة هذا المقرر وفقاً لنظام تصميم الوحدات الذي أعد به هذا الكـــتاب وذلـــك حتى يتحقق أكبر قدر من الاستيعاب والفائدة، والله تعالى هو الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

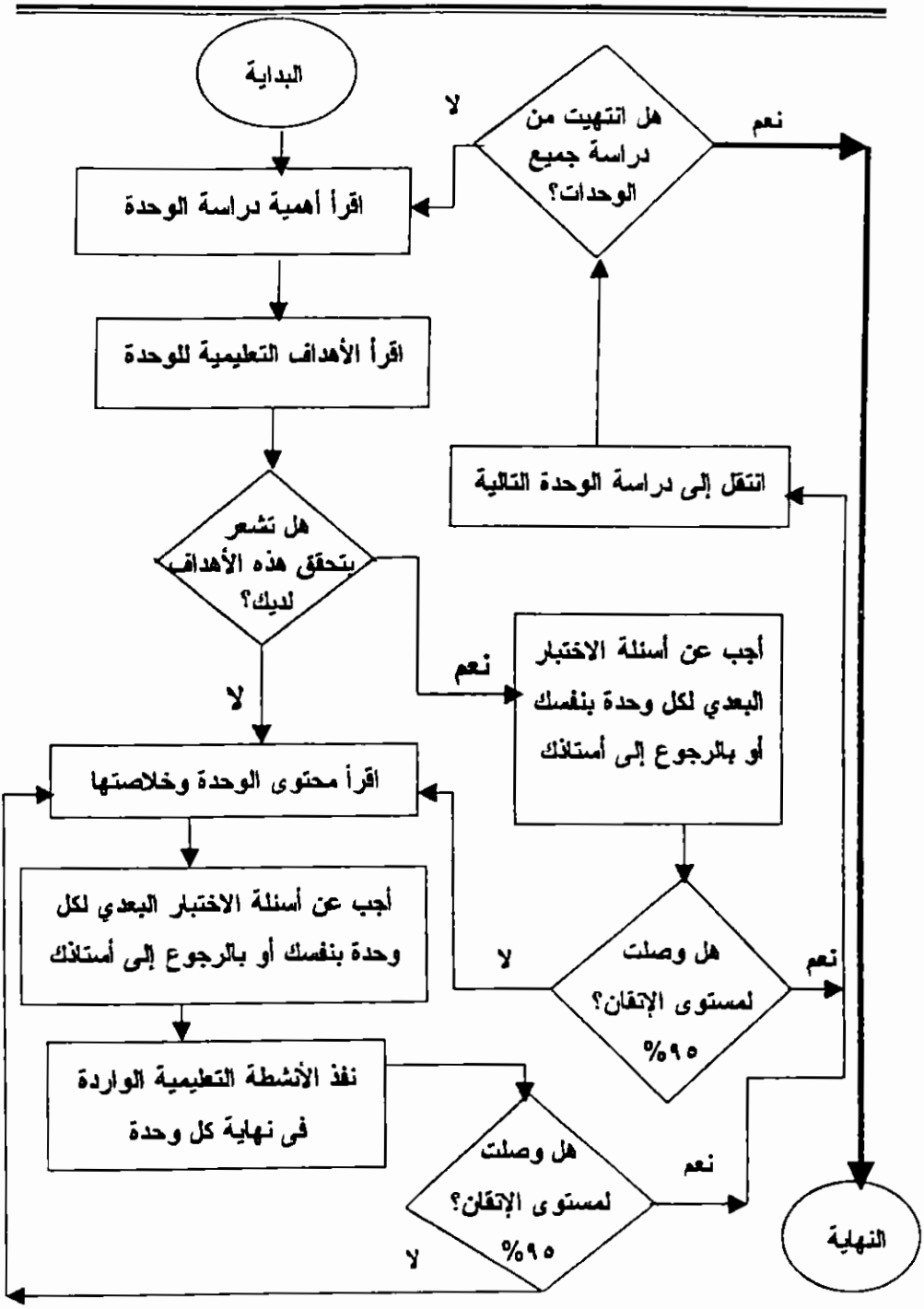

البداية
اقرأ أهمية دراسة الوحدة
اقرأ الأهداف التعليمية للوحدة
هل تشعر بتحقق هذه الأهداف لديك؟
نعم
لا
أجب عن أسئلة الاختبار البعدي لكل وحدة بنفسك أو بالرجوع إلى أستاذك
اقرأ محتوى الوحدة وخلاصتها
أجب عن أسئلة الاختبار البعدي لكل وحدة بنفسك أو بالرجوع إلى أستاذك
نفذ الأنشطة التعليمية الواردة فى نهاية كل وحدة
هل وصلت لمستوى الإتقان؟ ٩٥%
نعم
لا
هل وصلت لمستوى الإتقان؟ ٩٥%
نعم
لا
انتقل إلى دراسة الوحدة التالية
هل انتهيت من دراسة جميع الوحدات؟
نعم
لا
النهاية

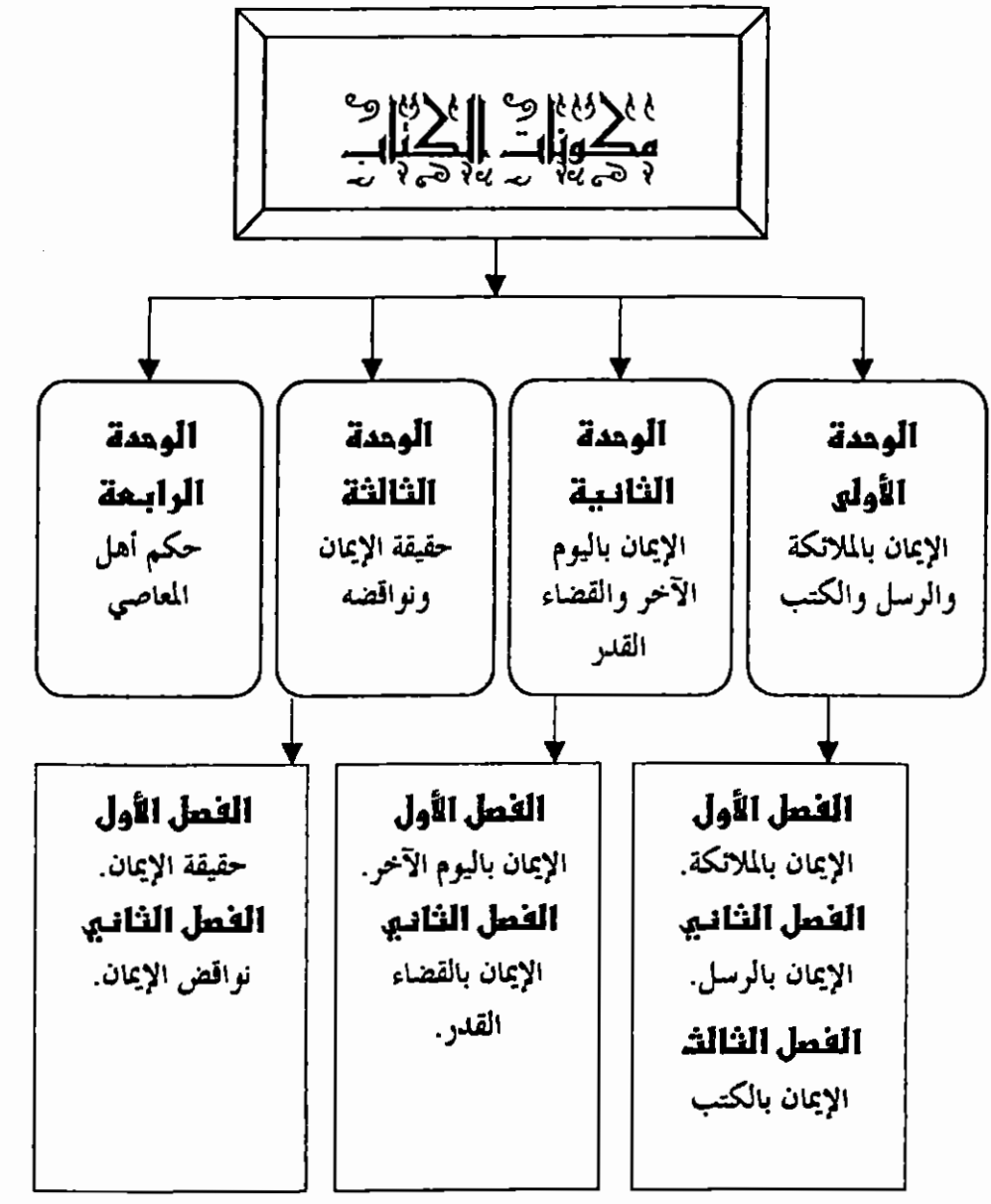
مكونات الكتاب
الوحدة الأولى
الإيمان بالملائكة والرسل والكتب
الوحدة الثانية
الإيمان باليوم الآخر والقضاء القدر
الوحدة الثالثة
حقيقة الإيمان ونواقضه
الوحدة الرابعة
حكم أهل المعاصي
الفصل الأول
الإيمان بالملائكة.
الفصل الثاني
الإيمان بالرسل.
الفصل الثالث
الإيمان بالكتب
الفصل الأول
الإيمان باليوم الآخر.
الفصل الثاني
الإيمان بالقضاء القدر.
الفصل الأول
حقيقة الإيمان.
الفصل الثاني
نواقض الإيمان.

الوحدة الأولى

الإيمان بالملائكة والرسل والكتب

الوحدة الأولى: الإيمان بالملائكة والرسل والكتب

مبررات دراسة الوحدة:

الملأ الأعلى أو الملائكة عالم لطيف غيبي غير محسوس، ليس لهم وجود جسماني يدرك بالحواس، وهم من عوالم ما وراء الطبيعة، أو غير المنظورة التي لا يعلم حقيقتها إلا الله. والملائكة ليسوا كالبشر يأكلون، ويشربون، وينامون، ويتصفون بالذكورة والأنوثة، وإنما هم عالم آخر، قائم بنفسه، ومستقل بذاته، لا يتصفون بشيء مما يتصف به البشر من الحالات المادية، ولهم قدرة على أن يتمثلوا بصور بشرية، وغيرها من الصور الحسية، كما جاء جبريل إلى السيدة مريم متمثلاً في صورة بشرية. وقد وصف الله تعالى الملائكة بأنهم ﴿ **لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يأمرون** ﴾.

وقد أرسل الله تعالى الرسل مبشرين ومنذرين، فهم حملة الدين والشرائع إلى الأمم، وهم المبلغين عن ربهم، وعددهم كثير لا يعلمه إلا الله، لأن الله أرسل إلى كل أمة رسولاً، لقوله تعالى ﴿ **وإن من أمة إلا خلا فيها نذير** ﴾. ويبتدئ تاريخ الرسل بآدم أبي البشر عليه السلام، ووجوده في الأرض وتكاثر أبنائه فيها مقتض للوحي الإلهي إذ به تكمل آدمية الإنسان، وبه يتم شرفه، وعليه تزكو نفسه، ويتأهل للسعادة في الحياتين الأولى والآخرة.

ويعد القرآن الكريم هو المصدر الوحيد الذي يرجع إليه في معرفة الكتب الإلهية، إذ إنه الكتاب المحفوظ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لا تتطرق إليه الزيادة، ولا النقص ولا التحريف، ولا التغيير ولا التبديل، لذا فهو الكتاب الباقي من الكتب التي أنزلها الله على رسله وأنبيائه، وفيه نبؤ الكتب السابقة والرسل السابقين.

عزيزي الدارس: حتى تتعرف على المزيد من المعلومات المرتبطة بالملائكة والرسل والكتب على اعتبار أنها من أركان الإيمان ابدأ في دراسة هذه الوحدة.

الأهداف التعليمية للوحدة الأولى:

عزيزي الدارس: يرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادراً على:

١- أن تحدد المقصود بالإيمان بالملائكة تفصيلاً وإجمالاً.

٢- أن تذكر بعض صفاتهم الخِلقيّة.

٣- أن تتحدث عن علاقتهم بالله، وبالإنسان، والكون.

٤- أن تذكر أثر الإيمان بالملائكة في حياة الإنسان.

٥- أن تذكر معنى الإيمان بالأنبياء والرسل إجمالاً وتفصيلاً.

٦- أن تحدد واجبك نحو الرسل ورسالاتهم.

٧- أن تتحدث عن الخصائص التي تميز بها محمد ﷺ عن سائر الرسل والأنبياء.

٨- أن تحدد المقصود بالإيمان بالكتب إجمالاً وتفصيلاً.

٩- أن تعيّن أسماء الكتب المذكورة في القرآن.

١٠- أن توضح خصائص القرآن الكريم وما تميز به عن سائر الكتب السماوية.

١١- أن تذكر الأدلة على وقوع التحريف في التوراة والإنجيل.

الوحدة الأولى: الإيمان بالملائكة والرسل والكتب

الفصل الأول: الإيمان بالملائكة

- تعريف الإيمان بالملائكة. - صفاتهم الخلقية.
- *وظائف الملائكة:*

١- مساعدة البشر على العبادة. ٢- يدعون للمؤمنين ويستغفرون لهم.

٣- يشجعون العبد على طاعة ربه. ٤- يشجعون أهل العلم.

٥- تثبيت المجاهدين في سبيل الله.

- عدد الملائكة. - الإيمان بالملائكة تفصيلي وإجمالي.
- أثر الإيمان بالملائكة في حياة الإنسان.

الفصل الثاني: الإيمان بالرسل

- الإيمان بالرسل أحد أركان الإيمان. - الأنبياء والرسل المذكورون في القرآن.
- أولو العزم من الرسل. - موضوع الرسالة. - الواجب علينا نحو الرسل. - الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وتفضيله عليهم جميعاً.
- تقديم محبته صلى الله عليه وسلم على الوالد والولد والنفس.
- الإيمان بمعجزاته الحسية صلى الله عليه وسلم.

الفصل الثالث: الإيمان بالكتب

- الإيمان بالكتب التي أنزلها الله على أنبيائه ورسله، وهي:

القرآن الكريم - التوراة - الإنجيل - الزبور - صحف إبراهيم وموسى.

- الإيمان بالقرآن العظيم، وبأنه آخر الكتب المنزلة من عند الله عز وجل، وقد خصه الله عز وجل بمزايا عن الكتب التي سبقته.
- الإيمان بأن القرآن جميعه كلام الله عز وجل، أما ما سبقه من الكتب فقد أصابها التحريف، فاختلط فيه كلام البشر بكلام الله عز وجل.

الفصل الأول

الإيمان بالملائكة[1]

والمقصود به الاعتقاد الجازم بأن لله ملائكة موجودين مخلوقين من نور، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم، وأنهم قائمون بوظائفهم التي أمرهم الله بالقيام بها.

فهم نوع من مخلوقات الله ﷻ، لا يصلح إيمان عبد حتى يؤمن بوجودهم وبما ورد في حقهم من صفات وأعمال في كتاب الله سبحانه وسنة رسوله ﷺ، من غير زيادة ولا نقصان، ولا تحريف.

قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [البقرة:٢٨٥].

وفي الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب ﷺ، عندما سأل جبريل عليه السلام عن الإيمان قال ﷺ: **"أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"**.

فوجود الملائكة ثابت بالدليل القطعي الذي لا يمكن أن يلحقه شك، ومن هنا كان إنكار وجودهم كفرًا بإجماع المسلمين؛ بل بنص القرآن العظيم، فقد قال ﷻ: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء:١٣٦].

١- قال ابن حجر في معنى الملائكة: "جمع ملَك بفتح اللام، فقيل: مخفف من مألك، وقيل: مشتق من الألوكة وهي الرسالة، وهذا قول سيبويه والجمهور، وأصله لاك. وقيل أصله المَلْك بفتح الميم وسكون اللام وهو الأخذ بقوة، وأصل وزنه "مفعل" فتركت الهمزة لكثرة الاستعمال، وظهرت في الجمع... وقال جمهور أهل الكلام من المسلمين: الملائكة أجسام لطيفة أعطيت قدرة التشكل بأشكال مختلفة، ومسكها السماوات". فتح الباري (٦/٢٣٢).

والذي يستقصي الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي تكلمت عن الملائكة وأوصافهم وأعمالهم وأحوالهم ـ يلاحظ أنها تناولت -في العالب- ما يبين علاقتهم بالخالق سبحانه وبالكون والإنسان، فعرّفنا سبحانه من ذلك على ما ينفعنا في تطهير عقيدتنا، وتزكية قلوبنا، وتصحيح أعمالنا.

وأما حقيقة الملائكة وكيف خلقهم وتفصيلات أحوالهم، فقد استأثر سبحانه بها، وهذه خصيصة عامة من خصائص العقائد الإسلامية، تناولت الحقائق الكونية والتعريف بها في حدود ما يحتاج إليه البشر، ويصلح أحوالهم في المعاش والمعاد وما تطيقه عقولهم، فلم يطلعنا الله جل وعلا على جميع المغيبات، سواء منها ما تعلق بجلاله وصفاته وأسمائه، وما تعلق بمخلوقاته الغيبية.

والمؤمن الصادق يقر بكل ما أخبر به الخالق مجملاً أو مفصلاً، ولا يزيد على ذلك ولا ينقص منه، ولا يتكلف البحث عما لم يطلعنا عليه منه، ولا يخوض فيه.

صفاتهم الخلقية:

وبناء على ذلك فإن الخالق ﷻ لم يخبرنا من صفاتهم الخلقية إلا النـزر القليل، فأخبرنا سبحانه أنهم خلقوا قبل خلق آدم[1]، إذ ورد في القرآن أن الله أخبرهم بأنه سيخلق الإنسان ويجعله في الأرض، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٣٠].

وأما عن المادة التي خلقوا منها، فقد أخبرنا الرسول ﷺ أن الله خلقهم من نور، فقد أخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: "خلقت الملائكة

(١) انظر: فتح الباري (٦/٣٣٤).

من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم"[1].

وتدل النصوص في مجموعها على أن الملائكة مخلوقات نورانية ليس لها جسم مادي يدرك بالحواس الإنسانية، وأنهم ليسوا كالبشر، فلا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتزاوجون، مطهرون من الشهوات الحيوانية، ومنـــزهون عن الآثام والخطايا، ولا يتصفون بشيء من الصفات المادية التي يتصف بها ابن آدم[2].

غير أن لهم القدرة على أن يتمثلوا بصور البشر بإذن الله تعالى، كما أخبر الله ﷻ عن جبريل عليه السلام أنه جاء مريم في صورة بشرية، فقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [مريم:١٦، ١٧].

وفي حديث جبريل المشهور، حين جاء يعلم الصحابة معنى الإسلام والإيمان والإحسان وأشراط الساعة، ذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه جاء على هيئة رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، وأنه جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه ثم شرع في السؤال.

ومن صفاتهم الخلقية التي أخبرنا الله بها أنه جعل لهم أجنحة يتفاوتون في أعدادها، فقال سبحانه: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فاطر:١]، وقد

(١) أخرجه مسلم وأحمد في المسند، انظر فتح الباري (٦/٢٣٢).

(٢) شرح ملا على القاري على الفقه الأكبر ص١٠١، والعقائد الإسلامية لسيد سابق ص١١١، وفتح الباري (٦/ ٢٣٢).

أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح[1].

هذا هو ما أخبرنا به ربنا تبارك وتعالى عن هذه المخلوقات الكريمة، من حيث خلقتها، ونؤمن به كما جاء ولا نسأل عن غيره، ولو كان في التفصيل نفع لعباد الله لما حجب عنهم معرفته، فهو اللطيف الرحيم بهم يعلمهم الحق والخير.

عباد مكرمون:

وأما علاقتهم بالله فهي علاقة العبودية الخالصة، والطاعة والامتثال، والخضوع المطلق لأوامره ﷻ، لا ينتسبون إليه سبحانه إلا بهذه النسبة، فهم ليسوا آلهة من دونه سبحانه، ولا ذرية له ولا بنات، كما قال المشركون من قبل: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٦-٢٨]، وقال تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النحل:٥٠]، وقال أيضًا: ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم:٦]، فهم خلق من مخلوقات الله الكثيرة، يطيعونه سبحانه ولا يقدرون على شيء من تلقاء أنفسهم، وهم لا يستطيعون أن يقترحوا على الله شيئًا بفضل قولهم، وهو منقطعون دائمًا لعبادة الله وطاعة أمره، قال تعالى: ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ۝ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ۝ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴾ [الصافات:١٦٤-١٦٦].

(١) انظر: صحيح البخاري مع فتح الباري (٦/٢٤٢).

وإذا كانت هذه حقيقة أمرهم، فمن الشرك بالله أن يعبدوا أو يستعان بهم أو يعتقد أن لهم من الأمر شيئًا، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٨٠].

علاقتهم بالكون والإنسان:

وإذا كانت تلك هي صلتهم بربهم عبودية كاملة له سبحانه، وطاعة تامة لأوامره ﷻ، فإن صلتهم بالكون والإنسان هي فرع تلك العبودية وتلك الطاعة، ذلك أن عبادتهم لله -كما أخبر سبحانه- لا تقتصر على تسبيحهم بحمد الله وتمجيدهم له، وإنما تشتمل على تنفيذ إرادته جل وعلا بتدبير أمور الكون ورعايته بكل ما فيه من مخلوقات، وما فيه من حركة ونشاط، وما فيه من حياة وجماد، وما فيه من قوانين ونواميس، وإنفاذ قدره وفق قضائه في هذه المخلوقات كلها، وتنفيذ إرادته سبحانه في مراقبة وتسجيل كل ما يحدث في الكون من حركات إرادية وغير إرادية، فهم الموكلون بالسماوات والأرض، وكل حركة في العالم تدخل في اختصاصهم[1] كما أراد خالقهم تبارك وتعالى، كما قال سبحانه: ﴿ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾ [النازعات:٥]، وكما قال: ﴿ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴾ [الذاريات:٤]، وهي الملائكة عند أهل الإيمان وأتباع الرسل عليهم السلام[2]، وقد دل الكتاب والسنة على أصناف الملائكة، وأنها موكلة بأصناف المخلوقات، وأنه سبحانه وكل بالشمس والقمر ملائكة، وبالأفلاك ملائكة، وبالجبال ملائكة، وبالسحاب ملائكة، وبالمطر ملائكة، وبالرحم ملائكة تدبر أمر النطفة حتى يتم خلقها، وبالموت ملائكة، ووكل بكل عبد ملائكة يحفونه، وبكل مخلوق، وبكل حوادث الكون وظواهره ملائكة[3].

---

(١) إغاثة اللهفان (٢/١٢٠)، وشرح العقيدة الطحاوية ص٣٣٥.

(٢) إغاثة اللهفان (٢/١٢٠).

(٣) إغاثة اللهفان (٢/١٢٠، ١٢١)، وشرح العقيدة الطحاوية ص٣٣٥.

ولا يلغي هذا ما يلاحظ في الكون من قوانين وأسباب يرتبط بعضها ببعض؛ لأن هذه القوانين والأسباب إنما هي مخلوقات الله، والملائكة موكلة بها أيضًا، وموكلة برعايتها، كما ترعى المخلوقات الأخرى، ولولا إرادة الله في حفظ هذه الأسباب والقوانين، ولولا قدره في تسخير الملائكة للحفاظ عليها ـ فإن العقل لا يستلزم أبدًا بقاءها على هذه الآماد الطويلة في انتظامها وتناسقها.

وأما الإنسان فيدخل بحياته الفطرية في تلك الرعاية التي وكل الله سبحانه الملائكة بها؛ لأنه مخلوق من مخلوقات الله في الكون؛ بل هو المخلوق الذي سخر الله له ما في الكون كله، كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [لقمان: ٢٠]، فحفظ الملائكة ورعايتها للسماوات والأرض وما فيهن رعاية له وعون له على القيام بحق الخلافة ومسئوليتها.

وفوق هذا فإن للملائكة أعمالاً أخرى في حياة الإنسان الإرادية هدفها -كما حدده الله لهم- هداية البشر وإسعادهم، ومساعدتهم على عبادة الله وعونهم على اختيار الهدى والصلاح واجتناب الشر والفساد والضلال، فهم الذين اختارهم رب العالمين لإيصال هداه إلى أهل الأرض عن طريق رسله الكرام، والملك المختار لهذه المهمة هو جبريل عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٤].

وهم يلازمون الإنسان في حياته كلها، وجميع صحبتهم للإنسان لإسعاده وهدايته يلهمونه الحق والخير ويحثونه عليهما، فقد قال المصطفى ﷺ: "**إن للشيطان لمة**[1] **بابن آدم، وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة**

(١) اللمة هي الخطرة بالقلب، وتكون لمة الشيطان بوسوسته للإنسان بالسوء، ولمة الملك بإلهامه بالخير.

الملك فإيعاد بالخير، وتصديق بالحق، فمن وجد من ذلك شيئًا فليعلم أنه من الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان"، ثم قرأ: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٨][1].

كما أخبرنا ﷻ أنه سخرهم للدعاء للمؤمنين والاستغفار لهم، فقال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [غافر:٧-٩]، ويقول رسول الله ﷺ: **"ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا"**[2].

وهم يشجعون العبد على طاعة ربه وعبادته، ويحببونه بالذكر والقرآن، ويحثونه على العلم والخير، ويحضرون صلاته وقرآنه، وفي ذلك كله أحاديث صحيحة، من ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: **"صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في سوقه بضعًا وعشرين درجة، وذلك أن أحدهم إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم أتى المسجد لا ينهزه إلا الصلاة، لا يريد إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفع بها درجة، وحط عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد، فإذا دخل**

---

(١) أخرجه الترمذي وقال عنه: حسن غريب، والنسائي وابن حبان عن ابن مسعود، انظر: فيض القدير للمناوي (٢/ ٤٤٩).

(٢) متفق عليه، انظر صحيح البخاري مع فتح الباري (٣/٢٣٧).

المسجد كان في الصلاة ما كانت الصلاة تحبسه، والملائكة يصلون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه. يقولون: اللهم ارحمه، اللهم اغفر له، اللهم تب عليه، ما لم يؤذ فيه، ما لم يحدث فيه"[1]، وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "الملائكة يتعاقبون؛ ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وفي صلاة العصر، ثم يعرج إليه الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم: كيف تركتم عبادي؟ فقالوا: تركناهم يصلون وأتيناهم يصلون"[2].

وفي حضورهم مجالس الذكر قال رسول الله ﷺ: "إن لله ملائكة يطوفون في الطرق، يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، قال: فيُحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا. قال: فيسألهم ربهم ﷻ وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي؟ قال: قالوا: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك، قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدًا وأكثر لك تسبيحًا، قال: يقول: فما يسألوني؟ قال: يقولون: يسألونك الجنة، قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها، قال: فيقول: كيف لو أنهم رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصًا وأشد لها طلبًا وأعظم فيها رغبة، قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار، يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها، قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا وأشد لها مخافة، قال: فأشهدكم أني قد غفرت لهم، قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى جليسهم"[3].

---

(١) متفق عليه، واللفظ لمسلم. انظر فتح الباري (٤٤٨/١)، وصحيح مسلم بشرح النووي (١٦٥/٥).

(٢) متفق عليه، واللفظ للبخاري. انظر صحيح البخاري مع فتح الباري (٢٣٩/٦).

(٣) متفق عليه واللفظ للبخاري. انظر صحيح البخاري مع فتح الباري (١٧٥/١١، ١٧٦).

وفي تشجيعهم لأهل العلم قال رسول الله ﷺ: "ما من خارج خرج من بيته في طلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضًا بما يصنع"(١).

وهم أيضًا يثبتون العبد على العمل الصالح وخاصة الجهاد في سبيل الله تعالى، كما قال الله ﷻ: ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال: ١٢].

ومن أعمالهم التي أخبرنا عنها رب العالمين مما له أثر عظيم في تقويم حياة العباد وحفظهم من المعصية والشر ما وكل إليهم من مراقبة أعمال العباد وكتابتها بعد إحصائها، فقال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق:١٦-١٨]، وقال أيضًا: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الانفطار:١٠-١٢]، وقال أيضًا: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الزخرف:٨٠].

وفي ختام الكلام عن علاقة الملائكة بالإنسان وأثرهم في أعماله الإرادية وغير الإرادية نثبت كلمة جامعة لابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى عن هذا الموضوع، فقد قال في كتابه "إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان: "والملائكة الموكلة بالإنسان من حين كونه نطفة إلى آخر أمره لهم وله شأن آخر، فإنهم موكلون بتخليقه ونقله من طور إلى طور، وتصويره وحفظه في أطباق الظلمات الثلاث، وكتابة رزقه وعمله وأجله

(١) رواه الترمذي وصححه، وابن ماجة واللفظ له، وابن حبان في صحيحه، والحاكم وقال: صحيح الإسناد. انظر: الترغيب والترهيب (١/١٠٤).

وشقاوته وسعادته، وملازمته في جميع أحواله، وإحصاء أقواله وأفعاله، وحفظه في حياته وقبض روحه عند وفاته، وعرضها على خالقه وفاطره، وهم الموكلون بعذابه ونعيمه في البرزخ وبعد البعث، وهم الموكلون بعمل آلات النعيم والعذاب، وهم المثبتون للعبد المؤمن بإذن الله والمعلمون له ما ينفعه، والمقاتلون الذابون عنه، وهم أولياؤه في الدنيا والآخرة، وهم الذين يعدونه بالخير ويدعونه إليه، وينهونه عن الشر ويحذرونه منه، فهم أولياؤه وأنصاره وحفظته ومعلموه وناصحوه، والداعون له والمستغفرون له، وهم الذين يصلون عليه ما دام في طاعة ربه، ويصلون عليه ما دام يعلم الناس الخير، ويبشرونه بكرامة الله تعالى في منامه وعند موته ويوم بعثه، وهم الذين يزهدونه في الدنيا ويرغبونه في الآخرة، وهم الذين يذكرونه إذا نسي، وينشطونه إذا كسل، ويثبتونه إذا جزع، وهم الذين يسعون في مصالح دنياه وآخرته، فهم رسل الله في خلقه وأمره، وسفراؤه بينه وبين عباده، تتنـــزل بالأمر من عنده في أقطار العالم، وتصعد إليه بالأمر"[1].

عدد الملائكة:

وهم كثر لا يحصي عددهم إلا الله، قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾ [المدثر:٣١]، وأخرج الترمذي وابن ماجه والبزار من حديث أبي ذر مرفوعًا: "أطت

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٢/١٢٥، ١٢٦).

السماء وحق لها أن تنط، ما فيها من موضع أربع أصابع إلا وعليه ملك ساجد"[1]، وفي حديث المعراج قال رسول الله ﷺ: "فرفع لي البيت المعمور، فسألت جبريل فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك..."[2].

الإيمان بالملائكة تفصيلي وإجمالي:

ويجب الإيمان بالملائكة التي وردت أسماؤهم في الكتاب أو في السنة بالتفصيل، ومن هؤلاء رؤساؤهم الثلاث: جبريل وميكائيل وإسرافيل[3]، وجبريل هو الملك الموكل بالوحي الذي به حياة القلوب والأرواح[4]، وقد ورد ذكره هو وميكائيل في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٩٧، ٩٨]، وقد أثنى الله سبحانه عليه في القرآن أحسن الثناء ووصفه بأجمل الصفات، من ذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ [التكوير:١٥-٢١]، وقال تعالى في وصفه: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ[5] فَٱسْتَوَىٰ ﴾ [النجم:٥، ٦]، وأما ميكائيل فهو الملك الموكل بالقطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان[6]، وأما إسرافيل فهو الملك الموكل بالنفخ في الصور الذي

(١) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري (٦/٢٣٢).

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري (٦/٢٣٣).

(٣) إغاثة اللهفان (٢/١٢٢)، والكواشف الجلية عن معاني الواسطية ص٣٦.

(٤) إغاثة اللهفان (٢/١٢٢).

(٥) المقصود بالمرة: صحة الجسم وسلامته من الآفات والعاهات. إغاثة اللهفان (٢/١٢).

(٦) إغاثة اللهفان (٢/١٢٢)، وأصول الإيمان لمحمد بن عبد الوهاب ص١٤.

به حياة الخلق بعد مماتهم[1]، ومن الملائكة الذين ورد ذكرهم في القرآن مالك خازن النار، قال تعالى: ﴿ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ [الزخرف:٧٧]، كما ورد ذكره في الحديث الصحيح[2].

فهؤلاء وغيرهم ممن ورد ذكر أسمائهم في أحاديث ثبتت صحتها يجب الإيمان بهم، وبما نيط بهم من الوظائف والأعمال، وأما الملائكة الذين لم يرد ذكرهم، فيجب أن نؤمن بهم بصورة إجمالية، ونؤمن بما ذكر من أصنافهم وأفعالهم في القرآن والسنة[3]، فنؤمن بالكرام الكاتبين الذين جعلهم الله علينا حافظين، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الانفطار:١٠-١٢]، وكما قال أيضًا: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الرعد:١١]، وكما قال: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الزخرف:٨٠]، وقد ورد في بعض كتب التفسير أنهم اثنان عن اليمين وعن الشمال يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحد من أمامه وواحد من ورائه فهو بين أربعة ملائكة[4]، وروى الإمام مسلم والإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من**

---

(١) انظر المرجعين السابقين.

(٢) انظر صحيح البخاري مع فتح الباري (٦/٢٤٢).

(٣) أفرد الإمام البخاري بابًا خاصًا لما ورد من الأحاديث الصحيحة في ذكر الملائكة وقد ذكر فيه ما يزيد عن ثلاثين حديثًا. انظر صحيح البخاري مع فتح الباري (٦/٢٣٢-٢٤٣).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص٤٣٩.

الملائكة"، قالوا: وإياك يا رسول الله؟، قال: "**وإياي، لكن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير**"[1].

ونؤمن كذلك بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [السجدة:١١]، ولم يصرح باسمه القرآن، ولا الأحاديث الصحيحة، وجاء في بعض الآثار[2] تسميته بعزرائيل فالله أعلم.

ونؤمن بحملة العرش الذين أخبر عنهم الله في القرآن، فقال سبحانه: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ [الحاقة:١٧]، ومنهم إسرافيل الذي ينفخ في الصور[3].

ونؤمن كذلك بالملائكة الموكلين بالنار -أعاذنا الله منها- وهم الزبانية، ومقدموهم تسعة عشر، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر:٤٩]، وقال تعالى: ﴿ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم:٦]، وقال أيضًا: ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ...﴾ [المدثر:٣٠، ٣١]، ونؤمن أيضًا بالملائكة الموكلين بالجنان الذين يهيئون الضيافة لساكنيها، من ملابس ومآكل ومشارب ومصانع وغير ذلك مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

---

(١) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٥٧/١٧)، ومعنى "أسلم" أي استسلم وانقاد لي؛ ولهذا قال: "**فلا يأمرني إلا بخير**"، وليس المقصود أن الشيطان آمن؛ لأن الشياطين لا تكون مؤمنة.
وقد روي بضم الميم، فيكون الضمير فيه عائدًا إلى النبي ﷺ، أي: أعانني عليه، فأنا أسلم منه، ولا يؤثر علي. شرح العقيدة الطحاوية ص٤٣٩.

(٢) أصول الإيمان لمحمد بن عبد الوهاب ص١٤.

(٣) أصول الإيمان ص١٤.

أثر الإيمان بالملائكة في حياة الإنسان:

تقدم أن الله سبحانه لم يطلعنا على شيء من غيبه إلا وفيه نعمة عظيمة على الخلق، وكان من فضله جل وعلا علينا أن عرفنا بهذه المخلوقات الكريمة، والإيمان بها هو من الإيمان بالغيب الذي وصف به المتقون، قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ [البقرة:١-٣].

وللإيمان بالملائكة آثار عظيمة في حياة المؤمن:

منها: أن الله سبحانه جنبنا بما أطلعنا من أمر هذه الأرواح المؤمنة وأفعالها ـ الوقوع في الخرافات والأوهام التي وقع فيها من لا يؤمنون بالغيب، ولا يتلقون معارفهم عن الوحي الإلهي.

ومنها: الاستقامة على أمر الله ﷻ، فإن من يستشعر بقلبه وجود الملائكة جنود الرحمن ويؤمن برقابتهم لأعماله وأقواله، وشهادتهم على كل ما يصدر عنه ليستحيي من الله ومن جنوده، فلا يخالفه ولا يعصيه، لا في العلانية ولا في السر، إذ كيف له ذلك وهو يعلم أن كل شيء محسوب ومكتوب ومشهود عليه.

ومنها: الصبر، ومواصلة الجهاد في سبيل الله تعالى وعدم اليأس، والشعور بالأنس والطمأنينة، فهذه المعاني من لوازم الإيمان بالملائكة، وما أخبر الله من أفعالها وأحوالها، فعندما يضل الركب عن الطريق وتسود الجاهلية الجهلاء، ويصبح المؤمن غريبًا في وطنه، وبين أهله وقومه، ويجد منهم الصدود والاستهزاء، والتخذيل والتثبيط عن طاعة الله والاستقامة على أمره، في هذه الغربة يجد المؤمن أنيسًا ورفيقًا يصحبه ويرافقه ويواسيه ويصبره ويطمئنه، ويشجعه على مواصلة السير على درب الهدى، فهذه جنود الله معه تعبد الله كما يعبد، وتتجه إلى خالق السماوات والأرض كما يتجه، وتبارك

خطواته وتشد من أزره وتذكره بالخير عند ربه، فهو إذًا ليس وحده في الطريق إلى الله، ولكنه يسير مع الركب العظيم ومع الأكثرية من مخلوقات الله ﷻ، مع الملائكة الكرام، ومع الأنبياء عليهم السلام، ومع السماوات والأرض، فهو الأكثر رفيقًا وهو الأقوى سندًا، فتجعله هذه المشاعر الصادقة صابرًا مطمئنًّا، لا يزيده صدود الناس إلا ثباتًا وجهادًا.

فانظر يا أخي.. كم أنعم الله علينا بخلق الملائكة، وكم أنعم علينا بالإيمان بهم مما له أشد الأثر في قلوبنا وأعمالنا واستقامة حياتنا، والإيمان بهم تصديق لقرآن الله ولرسوله الصادق الأمين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

الفصل الثاني

الإيمان بالرسل

ومن أركان الإيمان: الإيمان بأنبياء الله ورسله.

ومعناه: الإيمان بمن سمى الله تعالى في كتابه من رسله وأنبيائه، والإيمان بأن الله ﷻ أرسل رسلاً سواهم، وأنبياء لا يعلم عددهم وأسماءهم إلا الله تعالى الذي أرسلهم، قال جل وعلا: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ [غافر:٧٨]، وقال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤]، وقال أيضًا: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ﴾ [يونس:٤٧].

الأنبياء والرسل[1] المذكورون في القرآن:

والمذكورون في القرآن الكريم من الأنبياء والرسل خمسة وعشرون، وهم: آدم، ونوح، وإدريس، وصالح، وإبراهيم، وهود، ولوط، ويونس، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، وشعيب، وموسى، وهارون، واليسع، وذو الكفل، وداود، وزكريا، وسليمان، وإلياس، ويحيى، وعيسى، ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وقد ورد ذكر ثمانية عشر منهم في قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ

١- النبي هو كل من أوحي إليه من الله تعالى، سواء أمر بتبليغ غيره أم لم يؤمر، فإن لم يؤمر بالتبليغ فهو نبي وليس رسولاً، وإن أمر بالتبليغ فهو نبي ورسول، وهكذا فإن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً. انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص١٦٧، وشرح ملا علي القاري على الفقه الأكبر ص٦٠.

ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام:٨٣-٨٦].

وورد ذكر الآخرين في مواضع من القرآن، قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ [الأعراف:٦٥].

وقال: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ﴾ [الأعراف:٧٣]، وقال: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ [الأعراف:٨٥].

وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا ﴾ [آل عمران:٣٣].

وقال: ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٥].

وقال: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح:٢٩].

فهؤلاء الرسل والأنبياء يجب الإيمان برسالتهم ونبوتهم تفصيلاً، بمعنى أن الإنسان لو عرض عليه واحد منهم لم ينكر نبوته، ولا رسالته إن كان رسولاً، فمن أنكر نبوة واحد منهم، أو أنكر رسالة من بعث منهم برسالة، كفر[1].

وأما الأنبياء والرسل الذين لم يقصصهم القرآن علينا، فقد أمرنا أن نؤمن بهم إجمالاً، وليس لنا أن نقول برسالة أحد من البشر أو نبوته ما دام القرآن لم يذكره في عداد الأنبياء والرسل، و لم يخبرنا به رسول الله ﷺ.

(١) غير أن العامي لا يحكم عليه بالكفر إلا إذا كان إنكاره بعد تعلمه. شرح البيجوري على الجوهرة ص٤٧.

أولو العزم[1] من الرسل:

وأولو العزم من الرسل -كما ذكر كثير من العلماء- خمسة هم: محمد، وإبراهيم، وموسى، ونوح، وعيسى عليهم أفضل الصلاة والسلام[2]، وقد ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾ [الأحزاب:٧].

موضوع الرسالة:

ويجب علينا أن نؤمن بأن الله بعث رسله إلى الخلق لتبشيرهم ونذارهم، تبشيرهم برضوان الله وثوابه وجنته إن آمنوا به وبرسله وأطاعوه، وإنذارهم من غضب الله إن كفروا وعصوا، قال ﷻ: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ [الأنعام:٤٨، ٤٩].

كما يجب علينا أن نؤمن بأن جميع هؤلاء الرسل بعثهم الله لتحقيق غرض أساسي واحد هو: عبادة الله ﷻ وإقامة دينه، وتوحيده في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، فقد قال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وقال أيضًا: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا

---

(١) أصل العزم في الأمر: الجد والاجتهاد فيه. انظر: المصباح المنير، وقد ورد في القرآن الإشارة إلى أن من أهم خصال العزم الصبر وتقوى الله، قال تعالى: ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [آل عمران:١٨٦]، وقال أيضًا: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف:٣٥]، وقال أيضًا: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ [طه:١١٥].

(٢) انظر: الأسئلة والأجوبة الأصولية ص٢٢، وشرح العقيدة الطحاوية ص٣٤٩.

تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾ [الشورى:١٣]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

الواجب علينا نحو الرسل:

ويجب علينا تصديق رسل الله جميعًا بعد الإيمان بهم وبرسالتهم وألا نفرق بينهم، فمن فرق بين رسل الله فآمن ببعضهم وكفر بالآخرين، أو صدق بعضهم وكذب بعضًا كان من الكافرين، بنص القرآن الكريم، قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً ۝ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ﴾ [النساء:١٥٠، ١٥١][1].

كما يجب علينا أن نؤمن بأن كل رسول أرسله الله أدى أمانته وبلغ رسالته على الوجه الأكمل، وبيّنها بيانًا واضحًا شافيًا كافيًا.

ويجب علينا طاعتهم وعدم مخالفتهم؛ لأن ذلك من طاعة الله سبحانه، قال تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء:٨٠]، وقال أيضًا: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء:٦٤].

ويجب علينا أن نعتقد بأنهم أكمل الخلق علمًا وعملاً، وأصدقهم وأكملهم أخلاقًا، وأن الله سبحانه خصهم بفضائل لا يلحقهم فيها أحد، وأنه عصمهم ونزههم

---

(١) قال الإمام الطبري عند قوله: ﴿ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ ﴾ يعني أنهم يقولون: نصدق بهذا ونكذب بهذا، كما فعلت اليهود من تكذيبهم عيسى ومحمدًا ﷺ وتصديقهم موسى وسائر الأنبياء قبله بزعمهم، وكما فعلت النصارى من تكذيبهم محمدًا ﷺ وتصديقهم بعيسى وسائر الأنبياء قبله بزعمهم. انظر: تفسير الطبري (٩/ ٣٥٢).

عن الكذب والخيانة والكتمان والتقصير في التبليغ، وعن الكبائر كلها والصغائر[1]، وقد تقع منهم زلات وخطيئات -أي عثرات بسيطة بالنسبة إلى ما هم عليه من علو المقامات-، كما وقع لآدم عليه السلام في أكله من الشجرة على وجه النسيان[2]، ولكنهم لا يقرون عليها؛ بل يوفقون للتوبة منها.

كما يجب علينا أن نؤمن بأن رسل الله جميعًا كانوا رجالاً من البشر، فلم يكونوا من الملائكة، ولم يبعث الله أنثى، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡ ﴾ [الأنبياء:٧].

ونؤمن أن الله سبحانه لم يخصهم بطبائع أخرى غير الطبائع البشرية، وإنما اختارهم سبحانه من الرجال الذين يأكلون ويشربون ويمشون في الأسواق، وينامون ويجلسون ويضحكون، ولهم أزواج وذرية، ويتعرضون للأذى وتمتد إليهم أيدي الظلمة وينالهم الاضطهاد، وأنهم يموتون وقد يُقتلون بغير حق، وأنهم يتألمون ويصيبهم المرض وسائر الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية بين الخلق، وقد دل على ذلك كثير من النصوص، منها قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٤٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ ﴾ [الفرقان:٢٠]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗ ﴾ [الرعد:٣٨]، وقوله تعالى: ﴿ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۖ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ﴾ [المائدة:٧٥]، وقد قال رسول الله

(١) انظر: الفقه الأكبر وشرحه لملا علي القاري ص٥٦.

(٢) انظر: الفقه الأكبر لأبي حنيفة وشرحه لملا علي القاري ص٥٦، وشرح العقائد النسفية ص٤٦٧.

ﷺ: "ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء"[1].

وكان ﷺ يمرض ويتألم، وكان يصيبه الحر والبرد، والجوع والعطش، والغضب والضجر والتعب ونحو ذلك، مما لا نقص عليه فيه[2].

ونؤمن أنهم لا يملكون شيئًا من خصائص الألوهية، فلا يتصرفون في الكون، ولا يملكون النفع أو الضرر، ولا يؤثرون في إرادة الله تعالى، ولا يعلمون الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه، قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٨]، وقال أيضًا: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ [الجن:٢٦، ٢٧].

وإنما خصهم الله ﷻ بمؤهلات من المزايا والفضائل والأخلاق، تؤهلهم لتلقي الوحي والاضطلاع بأعباء الرسالة؛ ليكونوا قدوة للناس وأسوة يقتدى بهم في أمور الدين والدنيا، فيجب علينا أن نؤمن بأن رسل الله معصومون عن أية نقيصة تقدح في دينهم وطاعتهم لله جل وعلا، أو في مقدرتهم على تبليغ الرسالة التي حملوها[3]، فقد قال سبحانه في حقهم: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام:٨٩، ٩٠]، فهم قد كملهم الله سبحانه في الأمانة والصدق والفطانة والتبليغ وغيرها من الأخلاق التي لابد منها؛ للقيام بالحمل الذي حملهم الله إياه، وبالمسؤولية التي أناطها بهم، وقد شهد الله

---

(١) أخرجه البخاري في أول كتاب النكاح.

(٢) يظهر ذلك جليًا من دراسة سيرته ﷺ، وقد أفردت مصنفات وكتب جليلة في شمائله ﷺ وأخباره وأحواله، انظر مثلاً: كتاب الترمذي "الشمائل النبوية"، و"الوفا بأحوال المصطفى" لابن الجوزي، وغيرهما.

(٣) انظر شرح النووي على صحيح مسلم (٥٣/٣).

تعالى لهم بالصدق، فقال عز شأنه عن إسماعيل عليه السلام: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم:٥٤]، وقال عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم:٤١]، إلى غير ذلك من الآيات الربانية التي شهدت لهم بالصدق والهدى.

ويجب علينا أن نؤمن بأن الله سبحانه أيدهم بالمعجزات الباهرات، والآيات الظاهرات، الدالة على صدقهم فيما جاءوا به من عند ربهم تبارك وتعالى، والمعجزات هي ما يجريه الله على أيدي رسله وأنبيائه من خوارق العادات التي يتحدّون بها العباد[1]، فنؤمن بكل ما ذكر في القرآن الكريم منها، وبما وردت فيه الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ.

وهذا القدر من المزايا يتساوى فيه جميع من اصطفى الله من الرسل، ونؤمن مع هذه المماثلة أن الله فضل بعضهم على بعض؛ لقوله عز من قائل: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ [البقرة:٢٥٣].

ونؤمن أن أفضلهم وأفضل الخلق على الإطلاق نبينا محمد بن عبد الله ﷺ، وقد فسر بعض السلف قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ بأنه سيدنا محمد ﷺ[2]، وفي ذلك أحاديث صحيحة، منها ما صح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع**"[3]، وما رواه واثلة ابن الأسقع رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل،**

(١) انظر: لمع الأدلة لإمام الحرمين ص١١٠.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٥/٣٧٨).

(٣) أخرجه مسلم وغيره. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/٣٧، ٣٨).

واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم"[1]، فهذه الأحاديث وغيرها تدل بوضوح على أن محمدًا بن عبد الله ﷺ هو أفضل الخلق كلهم[2].

الإيمان بمحمد ﷺ:

ويجب علينا أن نؤمن بأن محمدًا بن عبد الله ﷺ نبي الله ورسوله وعبده وصفيه، ولم يعبد صنمًا ولم يشرك بالله طرفة عين قط، ولم يرتكب صغيرة ولا كبيرة قط[3].

ونؤمن أنه خاتم الأنبياء؛ لما ورد في كتاب الله تعالى وسنة الرسول ﷺ، فأما القرآن فقد قال سبحانه: ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب:٤٠]، وأما السنة فقد قال : "**مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى بنيانًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة**"، قال: "**فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين**"[4]، وقال أيضًا: "**أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحى**

---

(١) أخرجه مسلم والترمذي وقال عنه: حديث حسن صحيح، انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (٢٦/٥)، والترمذي بشرح ابن العربي المالكي (١٠٢/١٣، ١٠٣).

(٢) وأما ما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: "**لا تفضلوني على موسى**" وهو حديث متفق عليه، فالجواب عليه أن المذموم الذي نهى عنه الرسول ﷺ هو التفضيل على وجه الفخر، أو على وجه الانتقاص بالمفضول، فإن الحديث المذكور كان له سبب يدل على هذا، فإنه قد قال يهودي: لا والذي اصطفى موسى على البشر، فلطمه مسلم، وقال: أتقول هذا ورسول الله ﷺ بين أظهرنا؟ فجاء اليهودي واشتكى من المسلم الذي لطمه، فقال النبي ﷺ هذا، وعلى هذا يحمل أيضًا قوله: "لا تفضلوا بين أنبياء الله". انظر: صحيح مسلم وشرح النووي عليه (٣٧/١٥، ١٢٠)، وشرح العقيدة الطحاوية ص١٧٠، ١٧١.

(٣) انظر الفقه الأكبر مع شرحه لملا علي القاري ص٥٩-٦١.

(٤) متفق عليه واللفظ لمسلم، انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٥١/١٥).

بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي[1]، وأنا العاقب، والعاقب الذي ليس بعده نبي"[2].

ونعتقد اعتقادًا جازمًا أنه لا نبوة بعده ﷺ، وأن كل من ادعاها بعده فهو كذاب، قال رسول الله ﷺ: "**وأنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي**"[3].

كذلك يجب أن نؤمن بأنه ﷺ إمام المتقين الذي يقتدى به في الخير كله، وأنه وحده الجدير بالاقتداء والتأسي به دون غيره، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران:٣١]، وقال أيضًا: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

كما نؤمن أنه ﷺ حبيب الرحمن، وأن له أعلى مراتب محبة الله ﷻ وهي الخلة، فقد قال رسول الله ﷺ: "**لو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكنه أخي وصاحبي، وقد اتخذ الله ﷻ صاحبكم خليلاً**"[4].

كما يجب أن نعتقد أنه مبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى بالحق والهدى، فقد حكى الله سبحانه في القرآن قول الجن: ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأحقاف:٣١].

---

(١) ورد في رواية أخرى: "**يحشر الناس على قدمي**"، ومعناهما: يحشرون على أثري ورماد نبوتي وليس بعدي نبي، وقيل: يتبعوني. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/١٠٥).

(٢) متفق عليه واللفظ لمسلم، انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/١٠٤).

(٣) أخرجه مسلم، شرح العقيدة الطحاوية ص١٦٨.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/١٥٢).

وأما أنه ﷺ مبعوث للناس جميعًا، فقد قال ﷻ في ذلك: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [سبأ:٢٨]، وقال: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف:١٥٨]، وقال أيضًا: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان:١]، وقال ﷺ: "**فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورًا ومسجدًا، وأوسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون**"(١)، قال شارح العقيدة الطحاوية: "وكونه ﷺ مبعوثًا إلى الناس كافة معلوم من دين الإسلام بالضرورة"(٢).

ويجب علينا أن نقدم محبته على الوالد والولد والنفس(٣)، فعن أنس ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**"(٤)، وعن عبد الله بن هشام قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب ﷺ فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا نفسي، فقال النبي ﷺ: "**لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك**"، قال عمر: فأنت الآن والله أحب إلي من نفسي، فقال النبي ﷺ: "**الآن يا عمر**"(٥).

كذلك يجب علينا أن نؤمن بأن الله جل وعلا قد أيده بالمعجزات الدالة بيقين على صدقه ﷺ في كل ما جاء به، وأن القرآن العظيم معجزته الباهرة، تحدى به العالمين، فعجزوا عن الإتيان بمثله أو بمثل بعض منه، قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم، انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٥/٥)، هذا وقد ذكر ابن الجوزي كثيرًا مما فضّل به محمد ﷺ على عدد من الأنبياء والرسل، في آخر الجزء الأول من: الوفا بأحوال المصطفى.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص١٧٨.

(٣) انظر: الوفا بأحوال المصطفى (٣٨٢/١).

(٤) متفق عليه. انظر: صحيح البخاري (٤٩/١)، وصحيح مسلم بشرح النووي (١٥/٢).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان والنذور.

نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة:٢٣، ٢٤].

ونؤمن أن الله ﷻ أيده بالمعجزات الحسية المذكورة في الأحاديث الصحيحة، مثل انشقاق القمر، وتسليم الحجر عليه، وحنين الجذع إليه، ونبوع الماء من بين أصابعه، وإشباع الخلق الكثير من الطعام القليل، وشهادة الشاة المشوية أمامه، وإظلال السحاب له قبل مبعثه، وما كان من حال أبي جهل وصخرته حين أراد أن يضربها على رأسه، وما كان من شاة أم معبد حين مسح بيده المباركة على ضرعها، ورميه التراب في وجوه المشركين وإصابتهم به، وإخباره بالمغيبات التي وقعت كما أخبر ﷺ، واستجابة الله سبحانه لدعائه، وعصمته من القتل، وغير ذلك مما ألفت فيه الكتب وصنفت فيه المصنفات الواسعة[1].

وقد ورد في معجزاته الحسية أخبار كثيرة، بعضها متواتر وكثير منها مشهور، وهي في مجموعها تفيد العلم اليقيني بوقوع تلك المعجزات أولاً، وبصدق هذا الرسول ﷺ ثانيًا[2].

كما نؤمن أن الله سبحانه قد أيده بالحجج البالغة والأدلة الظاهرة، المماثلة في ذاته وصفاته وأخلاقه.

---

(١) تجد هذه المعجزات وغيرها من دلائل نبوة محمد ﷺ في كثير من كتب السيرة والحديث، كما أفرد البخاري بابًا لذلك سماه: باب علامات النبوة، وكذلك صنع مسلم بن الحجاج القشيري في باب: معجزات الرسول ﷺ، وأفرد لها بعض العلماء مؤلفات خاصة مثل: دلائل النبوة للإمام أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني صاحب حلية الأولياء، وأعلام النبوة لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، ودلائل النبوة للبيهقي، والوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزي.

(٢) انظر: الوفا بأحوال المصطفى (١/٣٣٩).

فنؤمن أن الله ﷻ حباه خلقة وصورة يحكم المتفرس فيها بأنها دالة على نبوته وصدقه ﷺ [1]، وما أحسن قول حسان بن ثابت ﷺ:

لو لم يكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تأتيك بالخبر

ونؤمن بأن الله ﷻ حباه أخلاق القرآن كلها، مما يدل على صدقه وتأييد الله له، فما سمع أحد منه كذبًا، لا في أمور الدين ولا في أمور الدنيا، ولا قبل البعثة ولا بعدها، ولو صدر عنه شيء من ذلك مرة واحدة لاجتهد أعداؤه في نشره وإظهاره، وما فعل فعلاً قبيحًا أو منفرًا، لا قبل النبوة ولا بعدها، وما فر عن أحد من أعدائه مهما عظم الخوف واشتد الأمر، كيوم أحد ويوم الأحزاب، وكان عظيم الرحمة والشفقة بأمته، حتى خاطبه ربه تبارك وتعالى بالتخفيف من ذلك، كما قال تعالى: ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ﴾ [فاطر:٨]، وقال أيضًا: ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة:١٢٨]، وكان في أعظم درجات الكرم والسخاء، وكان زاهدًا في الدنيا، قانعًا باليسير منها، لا يدخر شيئًا، وكان في غاية الفصاحة، وأعطي جوامع الكلم، وكان حليمًا صفوحًا، لا يغضب إلا لله تعالى، متواضعًا للمؤمنين، عابدًا لله، مجاهدًا في سبيله متوكلاً عليه.

وقد ظل ﷺ على صفاته وأخلاقه الربانية من أول عمره إلى آخره، ما غيّر ولا بدّل، وهذا ما أشار إليه تعالى في قوله: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [ص:٨٦]، والمتكلف لا يمكنه الثبات على ذلك طول عمره، وقد كان في هذه الخصال وغيرها من الأخلاق الكريمة في كل واحدة منها في الغاية القصوى من الكمال، ولا يتفق ذلك لأحد من الخلق غير أولئك

(١) إيثار الحق على الخلق ص٨٠.

الذين عصمهم الله تعالى، فكان اجتماع هذه الصفات والأخلاق له ﷺ من أعظم دلائل نبوته[1].

ولهذا فإنا نجد كثيرًا من العقلاء قد حكموا بصدقه ﷺ؛ لما يعرفونه من أخلاقه وصدقه وسيرته العطرة، فهذه خديجة رضي الله عنها لما كانت تعلم من النبي ﷺ أنه الصادق الأمين فعندما أخبرها بما لقيه من الوحي وقال لها: "**إني قد خشيت على نفسي**"، قالت: كلا والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق"[2].

وكذلك هرقل ملك الروم، فإن النبي ﷺ لما كتب إليه كتابًا يدعوه فيه إلى الإسلام طلب من كان في بلاده من العرب، وكان أبو سفيان في طائفة من قريش في تجارة إلى بلاد الشام، فاستدعاهم هرقل إلى مجلسه، وحوله عظماء الروم ودعا بترجمانه وشرع يسألهم عن أحوال النبي ﷺ، فيصل -بعد ما سمع منهم- إلى نتيجة قاطعة وهي أن ما سمع من أحوال محمد ﷺ وصفاته وسيرته فيهم لتدل على صدقه فيما جاء به، وأنه نبي مرسل، ومن المفيد في هذا المقام أن نثبت هذا الحوار الذي دار بين هرقل وأبي سفيان كما نقله إمام المحدثين وأميرهم البخاري في صحيحه؛ لما فيه من العظة والعبرة، والدليل على أن رسولنا الكريم ﷺ قد أنعم عليه ربه تبارك وتعالى بالحجج البالغة والبراهين القاطعة على صدقه، الماثلة في أخلاقه وصفاته وأحواله، فضلاً عما أيده به من القرآن العظيم والمعجزات الباهرة، فقد قال البخاري رحمه الله تعالى: "حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع قال: أخبرنا شعيب عن الزهري قال: أخبرنا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عبد الله بن عباس أخبره أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه

(١) انظر: إيثار الحق على الخلق ص٨٠.

(٢) أخرجه البخاري. انظر: صحيح البخاري مع فتح الباري (١/٢٠).

في ركب من قريش، وكانوا تجارًا بالشام في المدة[1] التي كان رسول الله ﷺ هادن فيها أبا سفيان وكفار قريش فأتوه وهم بإيلياء، فدعاهم إلى مجلسه وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه.

فقال: أيكم أقرب نسبًا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟

فقال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم نسبًا.

فقال: أدنوه مني، وقربوا أصحابه، فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم: إني سائل هذا عن هذا الرجل، فإن كذبني فكذبوه.

- فوالله لولا الحياء من أن يأثروا علي كذبًا لكذبت عنه[2]، ثم كان أول ما سألني عنه أن:

قال: كيف نسبه فيكم؟

قلت: هو فينا ذو نسب.

قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟

قلت: لا.

قال: فهل كان من آبائه من ملك؟

قلت: لا.

قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟

قلت: بل ضعفاؤهم.

---

(١) يعني مدة صلح الحديبية.

(٢) الكلام لأبي سفيان.

قال: أيزيدون أم ينقصون؟

قلت: بل يزيدون.

قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟

قلت: لا.

قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟

قلت: لا.

قال: فهل يغدر؟

قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها.

قال أبو سفيان: و لم تمكني كلمة أدخل فيها شيئًا غير هذه الكلمة.

قال هرقل: فهل قاتلتموه؟

قلت: نعم.

قال: فكيف كان قتالكم إياه؟

قلت: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه.

قال: ماذا يأمركم؟

قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة.

فقال للترجمان: قل له: سألتك عن نسبه، فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها، وسألتك: هل قال أحد منكم هذا القول؟ فذكرت أن لا، فقلت: لو

كان أحد قال هذا القول قبله لقلت: رجل يأتي بقول قبله، وسألتك: هل كان من آبائه من ملك؟ فذكرت أن لا، قلت: لو كان من آبائه ملك لقلت: رجل يطلب ملك أبيه. وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله. وسألتك: أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم، فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل. وسألتك: أيزيدون أم ينقصون؟، فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم. وسألتك: أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب. وسألتك: هل يغدر؟ فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر. وسألتك: بم يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقًا فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه..."[1].

* * *

(١) انظر: صحيح البخاري مع فتح الباري (١/٢٦-٣١).

الفصل الثالث

الإيمان بالكتب

ومن أركان الإيمان: أن تؤمن بالكتب التي أنزلها الله على أنبيائه ورسله.

فكما أن الله ﷻ قد أنزل القرآن على محمد ﷺ فقد أنزل كتبه من قبل على سائر الرسل.

ومن هذه الكتب ما سماه الله في القرآن الكريم ومنها ما لم يسم، والذي أخبرنا به ﷻ منها:

١- التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام، حيث قال سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ﴾ [المائدة:٤٤].

٢- والإنجيل الذي نزل على عيسى عليه السلام، حيث قال تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٤٦].

٣- والزبور الذي نزل على داود عليه السلام، حيث قال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [الإسراء:٥٥].

٤- والصحف التي أنزلها الله على إبراهيم وموسى، التي أخبر عنها الله تعالى بقوله: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم:٣٦-٤٢]، وبقوله أيضًا: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ

مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ [الأعلى:١٤-١٩].

وأما الكتب الأخرى التي نزلت على سائر الرسل فلم يخبرنا الله تعالى عن أسمائها، وإنما أخبرنا سبحانه أن لكل نبي أرسله الله رسالة بلغها قومه، فقال: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ [البقرة:٢١٣]، فيجب علينا أن نؤمن بهذه الكتب التي لم تسم إجمالاً، ولا يجوز لنا أن ننسب كتابًا إلى الله تعالى سوى ما نسبه إلى نفسه مما أخبرنا عنه في القرآن الكريم.

كما يجب أن نؤمن بأن هذه الكتب نزلت بالحق والنور والهدى، وتوحيد الله سبحانه في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وأن ما نسب إليها مما يخالف ذلك إنما هو من تحريف البشر وصنعهم، قال تعالى عن التوراة: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة:٤٤]، وقال تعالى عن الإنجيل: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة:٤٦].

ويجب علينا أن نؤمن بأن القرآن العظيم هو آخر كتاب نزل من عند الله تعالى، وأن الله ﷻ قد خصه بمزايا تميز بها عن جميع ما تقدمه من الكتب المنزلة من أهمها:

١- أنه تضمن خلاصة التعاليم الإلهية، وجاء مؤيدًا ومصدقًا لما جاء في الكتب السابقة من توحيد الله وعبادته ووجوب طاعته، وجمع كل ما كان متفرقًا في تلك الكتب من الحسنات والفضائل، وجاء مهيمنًا ورقيبًا يقر ما فيها من حق، ويبين ما دخل عليها من تحريف وتغيير، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة:٤٨]، وأنه جاء بشريعة عامة للبشر

فيها كل ما يلزمهم لسعادتهم في الدارين، نسخ بها جميع الشرائع العملية الخاصة بالأقوام السابقة، وأثبت فيها الأحكام النهائية الخالدة الصالحة لكل زمان ومكان.

٢- إن القرآن هو الكتاب الرباني الوحيد الذي تعهد الله بحفظه، فقال عنَّ من قائل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩]، وقال أيضًا: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت:٤١، ٤٢].

وهذه مزية متفرعة عن مزية أخرى، وهي أن القرآن أنزله الله على رسوله محمد ﷺ للناس كافة، وليس خاصًّا بقوم معينين، كما كانت تنزل الكتب السابقة، فكان حفظه من التحريف وصيانته من عبث الناس؛ ليبقى ما فيه حجة الله على الناس قائمة، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وأما الكتب الأخرى، فقد وجه الكلام في كل واحد منها إلى أمة خاصة دون سائر الأمم، وهي وإن اتفقت في أصل الدين إلا أن ما نزل فيها من الشرائع والأحكام كان خاصًّا بأزمنة معينة وأقوام معينين، قال تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة:٤٨]؛ لذلك لم يتعهد الله سبحانه بحفظ أي منها على مدى الأزمان كما هو الحال بالنسبة للقرآن؛ بل أخبر ﷻ في آخر كتبه عن التحريف الذي وقع على تلك الكتب، فعن التحريف والتغيير الذي أدخله اليهود على التوراة قال سبحانه: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٧٥]، وقال أيضًا: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [النساء:٤٦].

وأما عن التحريف الذي أدخله النصارى عن الإنجيل قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا

بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة:١٤، ١٥].

هذا ومن التحريفات التي أدخلها اليهود والنصارى في دينهم ما زعمه اليهود من أن العزير ابن الله سبحانه، وما زعمه النصارى أن المسيح ابن الله، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠]، فصحح لهم القرآن هذا الانحراف الذي صنعوه بأنفسهم، فبين لهم أن الله سبحانه منـــزه عن أن يكون له ولد، فقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص:١-٤]، وقرر أن الرسل جميعًا بشر خصهم الله بالوحي، وبما يؤهلهم لتلقيه وتبليغه للناس، قال سبحانه مخاطبًا رسوله ﷺ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [الكهف: ١١٠].

ومن التحريف الذي اقترفه النصارى وأخبرنا به الله ﷻ في القرآن الكريم ــ ما أدخلوه على حقيقة النبوة من تأليه جماعة منهم لعيسى ابن مريم، وقول بعضهم بالتثليث، قـــال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة:٧٢]، وقال أيضًا: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [المائدة:٧٣]، فجاء القرآن الكريم وبيّن هذا التحريف، وبيّن العقيدة السليمة عن عيسى وأمه، فقال تعالى: ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۖ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ

كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المائدة:٧٥].

والحق الذي لا يماري فيه منصف أنه لا يوجد اليوم على ظهر الأرض كتاب تصلح نسبته إلى الخالق تبارك وتعالى سوى القرآن الكريم، يدل على هذه الحقيقة أدلة حسية، فضلاً عما أخبر به القرآن عن التحريف الواقع في الكتب الموجودة، ومن هذه الأدلة.

أ- أن الكتب التي نزلت قبل القرآن قد ضاعت نسخها الأصلية، ولم يبق في أيدي الناس إلا تراجمها، أما القرآن فإنه لا يزال محفوظًا بسوره وآياته وكلماته وحركاته كما تلاه جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ، وكما تلاه رسول الله ﷺ على صحابته رضي الله عنهم[1].

ب- أن هذه الكتب قد اختلط فيها كلام الله بكلام الناس، من تفسير وتاريخ وسير الأنبياء وتلاميذهم واستنباطات الفقهاء، فلا يعرف فيها كلام الله من كلام البشر، وأما القرآن فهو جميعه كلام الله تعالى، لم يختلط به غيره من حديث الرسول ﷺ أو أقوال الصحابة أو غيرهم[2]، قال أبو الوفا علي بن عقيل: "إذا أردت أن تعلم أن القرآن ليس من قول الرسول ﷺ إنما هو ملقى عليه، فانظر إلى كلامه كيف يمتاز عن القرآن، وتلمح ما بين الكلامين والأسلوبين، ومعلوم أن كلام الإنسان يتشابه، وما للنبي ﷺ كلمة تشاكل القرآن"[3]، وقال أيضًا: "ومن إعجاز القرآن أنه لا يمكن لأحد أن يستخرج منه آية قد أخذ معناها من كلام قد سبق، فإنه ما زال الناس يكشف بعضهم عن بعض، فيقال مثلاً: المتنبي أخذ عن البحتري"[4].

---

(١) مبادئ الإسلام للمودودي ص٧٧.

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر: الوفا بأحوال المصطفى (١/٢٧٠).

(٤) المرجع السابق.

ج- أن تلك الكتب ليس منها كتاب تصح نسبته إلى الرسول الذي ينسب إليه، فليس لأي منها سند تاريخي موثوق، فالأسفار الموجودة ضمن ما يسمى بالعهد القديم ويطلق عليه التوراة، إنما دونت بعد موسى عليه السلام بقرون عديدة، يقول محمد فريد وجدي نقلاً عن دائرة معارف لاروس ما خلاصته: "العلم العصري ولا سيما النقد الألماني أثبت بعد أبحاث مستفيضة في الآثار القديمة والتاريخ وعلم اللغات أن التوراة لم يكتبها موسى عليه السلام، وأنها عمل أحبار لم يذكروا أسماءهم ، ألفوها على التعاقب، معتمدين في تأليفها على روايات سماعية سمعوها قبل أسر بابل؛ بل ذهب بعض العلماء إلى أن هذه الأسفار الخمسة ليس فيها كل الروايات الإسرائيلية، ولكنها تحتوي على إشارات ورموز وحكايات"[1].

أما القرآن العظيم فهو الكتاب الوحيد الذي ثبتت نسبته بصورة قطعية إلى الرسول الذي أوحي إليه، وهو محمد ﷺ، فقد نقل هذا الكتاب بسوره وآياته وطريقة ترتيبها وكيفية تلاوته إلى كل عصر جاء بعد عصر نزوله بالتواتر، بحيث لا يشك في أن القرآن الذي نتلوه هو الذي أنزله الله على رسوله الكريم ﷺ[2].

د- ومن الأدلة على وقوع التحريف في تلك الكتب تعدد نسخها واختلافها فيما نقلته من الأقوال والآراء[3].

---

(١) انظر: العقائد الإسلامية لندم الملاح ص٥٧.

(٢) مبادئ الإسلام للمودودي ص٧٨.

(٣) انظر: العقائد الإسلامية لسيد سابق ص١٦٨، فقد جاء فيها: ويكفي لصحة التدليل على التحريف في الأناجيل المتداولة بأيدي النصارى الآن أنها أربعة اختيرت من نحو سبعين إنجيلاً، وهذه الأناجيل تناولت الكتابة عن سيرة سيدنا عيسى عليه السلام، ومؤلفوها معروفون، وأسماؤهم مكتوبة عليها، وقد قرر نقاد المسيحيين أنفسهم أن عقائد الأناجيل هي رأي بولس دون سائر الحواريين، ودون أقرب الأقربين إلى عيسى، وقد وجد في مكتبة أمير من الأمراء في باريس نسخة من إنجيل برنابة، وقد طبعته مطبعة المنار بعد ترجمته إلى العربية، وهو يخالف الأناجيل الأربعة مخالفة كبيرة.

هـ- ومن القرائن القاطعة على وقوع التحريف في هذه الكتب ما تضمنته من العقائد الفاسدة والتصورات الباطلة عن الخالق سبحانه وعن رسله الكرام عليهم السلام، فإنك تجد فيها تشبيه الخالق بالإنسان، والقدح بالأنبياء بما يمس شرفهم ويتنافى مع عصمتهم[1].

وإزاء هذا التحريف والتغيير الذي طرأ على الكتب السابقة، فإن الإيمان بها يكون بالتصديق أنها من عند الله في أساسها، أنزلها على رسله لنفس الغرض الذي أنزل من أجله القرآن، ولا نؤمن بشيء من محتوياتها أنه من عند الله إلا ما ذكره القرآن أو الرسول ﷺ، وأما الإيمان بالقرآن الكريم فيجب علينا أن نؤمن بأنه كلام الله الخالص وهو الحق، وأن كل لفظ فيه محفوظ، ويجب اتباع أمره واجتناب نهيه، وتصديق خبره ورفض ما يخالفه.

* * *

(١) من ذلك ما جاء في التوراة المتداولة في سفر التكوين (٢٢/٣)، ففيه: "وقال الرب الإله هوذا الإنسان قد صار كواحد منا، عارفًا بالخير والشر"، وفيه أيضًا: "فحزن الرب أنه عمل الإنسان وتأسف في قلبه"، ومما جاء فيه

أيضًا مما يمس شرف الأنبياء ويتنافى مع عصمتهم، ما قالوه عن إبراهيم عليه السلام أنه كذاب، وأن لوطًا زنى بابنتيه، وأن هارون دعا الإسرائيليين إلى عبادة العجل، وأن داود زنى، وأن سليمان عبد الأصنام إرضاءً لزوجته، فهل ثم دليل على التحريف أقوى من هذا؟!. نقلاً عن العقائد الإسلامية لسيد سابق ص١٦٧.

خلاصة الوحدة الأولى

١- الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان.

٢- الملائكة عباد مكرمون خلقوا من نور، وهم لا يعصون الله.

٣- وجود الملائكة ثابت بالدليل القطعي؛ ولذلك كان إنكار وجودهم كفرًا بالإجماع.

٤- تشتمل عبودية الملائكة لربهم ﷻ على تنفيذ إرادته بتدبير أمور الكون ورعايته، وإنفاذ قدره وفق قضائه في كل المخلوقات.

٥- الملائكة يلازمون الإنسان في حياته، لإسعاده وهدايته وحثه على الحق والخير، وتثبيته على العمل الصالح.

٦- الملائكة كثر، ولا يحصي عددهم إلا الله.

٧- للإيمان بالملائكة آثار عظيمة في حياة المؤمن.

٨- الإيمان بالملائكة منه إجمالي وتفصيلي.

٩- الإيمان بالأنبياء والرسل ورسالاتهم ركن من أركان الإيمان.

١٠- الإيمان بالأنبياء والرسل منه إجمالي وتفصيلي.

١١- المذكورون في القرآن من الأنبياء والرسل خمسة وعشرون، وهؤلاء يجب الإيمان برسالتهم ونبوتهم تفصيلاً.

١٢- أولو العزم من الرسل خمسة هم: محمد، وإبراهيم، وموسى، ونوح، وعيسى.

١٣- الرسل لا يملكون شيئًا من خصائص الألوهية، وإنما هم بشر يوحى إليهم.

١٤- الرسل هم خير البشر خصّهم الله بمؤهلات من المزايا والفضائل والأخلاق تؤهلهم لتلقي الوحي، والاضطلاع بأعباء الرسلة.

١٥- الإيمان واجب بما أيد الله به رسله من معجزات وآيات ظاهرات دالة على صدقهم.

١٦- يجب الإيمان بأن محمدًا ﷺ هو خاتم الأنبياء، وأنه لا نبوة بعده، وأن كل من ادعاها بعده فهو كذاب.

١٧- الإيمان بكتب الله ركن من أركان الإيمان.

١٨- الإيمان بالكتب منه إجمالي وتفصيلي.

١٩- يجب الإيمان بأن القرآن العظيم هو آخر الكتب، وأنه الوحيد الذي تعهد الله بحفظه.

٢٠- الكتب السماوية قبل القرآن وقع فيها التحريف والتبديل، و لم يبق منها كتاب صحيح.

٢١- أنزل الله القرآن ليخاطب به الناس كافة في كل زمان ومكان.

* * *

الاختبار البعدي للوحدة الأولى

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

عزيزي الدارس: ضع علامة (✓)أمام الإجابة الصحيحة وعلامة (X) أمام الإجابة الخطأ في كل مما يلي:

١- القول بأن الملائكة خلقوا من نور لا دليل عليه من القرآن أو السنة، ولذلك يجب التوقف فيه.

٢- الملائكة لهم القدرة على أن يتمثلوا بصور البشر بإذن الله وهذا ثابت في القرآن.

٣- من المعتقدات الصحيحة عند مشركي العرب قديماً تعظيمهم للملائكة لقربهم من الله.

٤- تقتصر أفعال الملائكة على تسبيح الله وتمجيده لأنهم عباد مكرمون لا يعصون الله.

٥- إن لله ملائكة يطوفون في الطرق.

٦- لم يأت في القرآن ولا في السنة ذكر لعدد الملائكة على سبيل الحصر.

٧- الإيمان بالملائكة هو إيمان إجمالي بإطلاق لكونه متعلقاً بالغيبيات.

٨- «مالك» من الملائكة الذين ورد ذكرهم في القرآن والسنة.

٩- من الملائكة الذين ذكروا بأسمائهم في القرآن: جبريل وميكال وعزرائيل.

١٠- الإيمان بأنبياء الله ورسله معناه الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين الذين ورد ذكر أسمائهم في القرآن والسنة إيماناً على سبيل الإجمال.

١١- يجـــب علينا أن نؤمن بجميع الأنبياء والمرسلين جملة وتفصيلاً حتى الأنبياء الذين لم يرد ذكرهم في القرآن والسنة لعموم قوله تعالى: ﴿ **لا نفرق بين أحد من رسله** ﴾.

١٢- بعث الله المرسلين لتحقيق توحيد الربوبية في أنحاء الأرض كافة.

١٣- واجبنا نحو الرسل بعد الإيمان بهم هو عدم التفريق بينهم.

١٤- الكفـــر بعيسى يستلزم الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأما الكفر بمحمد فلا يستلزم الكفر بعيسى ـــ عليه السلام.

١٥- طاعة الرسول استقلالاً من طاعة الله تعالى.

١٦- لـــيس كل الرسل معصومين من الكبائر بدليل وقوع موسى ـــ عليه السلام ـــ في كبيرة قتل النفس بغير حق.

١٧- الصغائر في حق الأنبياء تنافي عصمتهم.

١٨- المعجزات هي كل ما يجريه الله على أيدى عباده المؤمنين من خوارق العادات التي يتحدون بها الناس وتظهر أنهم على الحق.

١٩- لـــيس هناك تفاضل بين الأنبياء والمرسلين لعموم قوله تعالى: ﴿ **لا نفرق بين أحد من رسله** ﴾ .

٢٠- لم يصل إلى درجة الخلة مع الله إلا خليل الله إبراهيم عليه السلام.

٢١- انشقاق القمر من المعجزات الحسية للرسول ﷺ.

٢٢- أخلاق الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وأفعاله قبل البعثة تدل على صدقه في النبوة والرسالة.

٢٣- الإيمـــان بالكتب السماوية يعنى الإيمان بالقرآن والتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى وأنها نزلت من عند الله.

٢٤- القرآن ناسخ لجميع الشرائع العملية الخاصة بالأقوام السابقة.

٢٥- ليس صحيحاً أن القرآن هو الكتاب الرباني الوحيد الذى تعهد الله بحفظه لأن الله قادر على حفظ جميع كتبه.

٢٦- نزلت كل الكتب السماوية خاصة بأقوام معينين إلا القرآن فقط.

٢٧- اتفقت جميع الكتب السماوية في أصل الدين إلا القرآن الذى جاء ناسخاً لها.

٢٨- لا يوجـــد كتب على ظهر الأرض الآن تصح نسبتها إلى الله عز وجل غير التوراة والإنجيل والقرآن فقط.

٢٩- يجب على كل مسلم الإيمان بالتوراة والإنجيل الموجودين الآن.

٣٠- الأسفار الموجودة ضمن ما يسمى بالعهد القديم دونت بعد موت موسى ـــ عليه السلام ـــ بسنوات قليلة.

٣١- مـــن الأدلة على وقوع التحريف في الكتب السماوية ما عدا القرآن تعدد نسخها واختلافها فيما نقلته من الأقوال والآراء.

٣٢- يجب الإيمان والتصديق بما تحتوي عليه الكتب السماوية الموجودة الآن بشرط عدم تعارضها مع القرآن.

٣٣- يجـــب الإيمان بأن القرآن هو كلام الله الخالص وأن كل لفظ فيه محفوظ، وأن الله تكلم به باللفظ والمعنى.

٣٤- أثبت النقد الألماني بعد أبحاث مستفيضة أن التوراة لم يكتبها موسى.

٣٥- تحدث القرآن عن اليوم الآخر بشتى الأساليب العربية.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

عزيـــزي الطالب: اختر الإجابة الصحيحة من بين البدائل التي تلي كل سؤال فيما يلي:

١- القول بأن الملائكة لهم أجنحة:

أ - ثابت بالقرآن والسنة ب- ثابت بالسنة ج - لا دليل عليه.

٢- من آثار الإيمان بالملائكة في حياة المؤمن:

أ - الاستقامة على أمر الله. ب- الصبر. ج- الحياء. د - كل ما سبق.

٣- عدد الأنبياء المذكورين في القرآن:

أ ـــ ١٥ ب ـــ ٤٠ ج ـــ ٥٢ د ـــ ٣٣

٤- قال تعالى: ﴿ **وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم** ﴾ . المذكورون في هذه الآية هم:

أ - رســـل لا أنبياء. ب - أنبياء لا رسل. ج- أصحاب الكتب السماوية. د - أولو العزم.

٥- قوله تعالى: ﴿ **ولقد بعثنا فى كل أمة رســـولاً أن اعبدوا الله واجتنبـــوا الطاغوت** ﴾. تدل هذه الآية على أن دعوة الأنبياء كانت لتوحيد:

أ - الربوبية. ب - الألوهية. ح- الأسماء والصفات. د - كل ما سبق.

٦- قوله تعالى: ﴿ **وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم** ﴾ . هذه الآية ظاهرة الدلالة على أنه لا رسل من:

أ – النساء. ب – الملائكة. ج – الصبيان د – كل ما سبق.

٧- من الذين حكموا بصدق النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ولم يؤمنوا به:

أ – هرقل. ب – النجاشي. ج – أبو سفيان. د – كل سبق.

٨- جاء القرآن ناسخاً:

أ – للعقائد. ب – للشرائع العملية. ج – للاثنين معاً.

٩- أشد الناس إيماناً بعيسى عليه السلام وتعظيماً له الآن هم:

أ – النصارى. ب- المسلمون. ج – النصارى والمسلمون.

١٠- القـــول بوجوب التقارب الديني بين اليهود والنصارى والمسلمين لأنهم أصحاب الكتب السماوية التي تدعو إلى الإيمان بالله وتوحيده:

أ – من التسامح الديني. ب- من لوازم الإيمان بالكتب السماوية.

ج – دعوى باطلة. د – دعوى صحيحة في بعض الظروف فقط.

١١- من الأدلة على تحريف التوراة والإنجيل:

أ – تعدد نسخها. ب – تضمنها لعقائد فاسدة.

ج – تضمنها للقدح في الأنبياء بما يمس شرفهم. د – كل ما سبق.

١٢- موقف المؤمن من التوراة والإنجيل الآن:

أ – الإيمان والتصديق بأنها من عند الله في أساسها.

ب – عدم الإيمان بها مطلقاً لوقوع التحريف فيها.

ج- الإيمان بكل ما احتوت عليه ما لم يخالف القرآن والسنة الثابتة.

ثالثاً: أسئلة المقال:

١- عـــرّف المقصود بالإيمان بالملائكة مستدلاً من الكتاب والسنة على وجوب الإيمان بهم.

٢- تحدث عن علاقة الملائكة بربهم ﷻ.

٣- الملائكة لهم القدرة على أن يتمثلوا بصورة البشر. فما الدليل على ذلك؟

٤- الإيمان بالملائكة تفصيلي وإجمالي. وضح ذلك مستدلاً لما تقول.

٥- ما هو أثر الإيمان بالملائكة في حياة الإنسان؟.

٦- تحدث عن حفظ الملائكة للإنسان مستدلاً لما تقول.

٧- لم يطلعـــنا الله عـــلى شيء من غيبه إلا لحكمة جليلة ونعمة عظيمة. ناقش هذه العبارة في ضوء فهمك لحقيقة الإيمان بالملائكة.

٨- ما الفرق بين النبي والرسول؟

٩- عـــدّد الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم مع ذكر الآيات التي جاء فيها ذكرهم.

١٠- من هم أولو العزم من الرسل؟ وأين جاء ذكرهم في القرآن؟

١١- لماذا بعث الله رسله إلى الخلق؟

١٢- ما هو واجبنا نحو أنبياء الله ورسله؟

١٣- كـــان رســـل الله رجالاً من البشر، ولكن الله خصهم بمؤهلات تؤهلهم لتلقي الوحي، والاضطلاع بأعباء الرسالة. وضح ذلك مع الاستدلال.

١٤- اذكر بعض المعجزات الحسية التي أيد الله بها محمدًا ﷺ.

١٥- اذكـــر ما سمّاه الله من الكتب السماوية في القرآن مع ذكر الآيات التي جاء فيها أسماء هذه الكتب.

١٦- تحدث عن موقف المسلم من الكتب السماوية باختصار.

١٧- اذكر أهم الخصائص التي تميز بها القرآن الكريم عن غيره من الكتب السماوية.

١٨- اذكر بعض أوجه التحريف الذي أدخله اليهود والنصارى على التوراة والإنجيل.

١٩- عدِّد الأدلة على وقوع التحريف في التوراة والإنجيل.

* * *

النشاط التعليمي للوحدة الأولى

عزيزي الدارس: حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول الموضوعات الواردة في هذه الوحدة، عليك أن تقوم بتنفيذ النشاط التعليمي التالي:

اكتب بحثاً تتناول فيه موضوع الإيمان بالملائكة والرسل والكتب بحيث تتناول فيه معنى الإيمان بكلٍ، وحكمه، وأدلته، وحكم من أنكر شيئًا من ذلك.

الوحدة الثانية

الإيمان باليوم الآخر وبالقضاء وبالقدر

الوحدة الثانية: الإيمانَ باليوم الآخر وبالقضاء والقدر

مبررات دراسة الوحدة:

إن الإيمـــان باليـــوم الآخر هو عبارة عن التصديق الجازم بانقلاب هائل يتم في الكـــون، ويمثل نهاية هذه الحياة الدنيا بكاملها، وابتداء حياة أخرى هي الدار الآخرة بكل ما فيها من حقائق مفزعة، من بعث الخلائق، وحشرهم، وحسابهم ومجازاتهم.

هذا الإيمان ليس واجباً فحسب بل هو أحد أركان ستة عليها تبنى عقيدة المؤمن، فلا تتم إذاً عقيدته إلا به، كما قال تعالى ﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين** ﴾ ونظراً لأهمية اليوم الآخر في سلوك المؤمن وعمله وحياته فقد قرنه الله عز وجل بالإيمان به في آيات القرآن الكريم مثل قوله تعالى ﴿ **إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر** ﴾.

كمـــا يجب على المسلم أن يؤمن بالقضاء والقدر، إذ إن للرضا بالقضاء ثمرات طيـــبة عديـــدة يجنيها المؤمنون به، ومن تلك الثمرات الطيبة، أنه يكسب صاحبه قوة الشـــكيمة، ومضاء العزيمة، إذ إن من أطمأنت نفسه إلى أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن مـــا أخطأه لم يكن ليصيبه، تخلو جميع أعماله من الحيرة والتردد، وينتفي من حياته القلق والاضطراب.

كما أن من ثمرات الرضا بالقضاء أنه يجعل صاحبه من أسعد الناس حالاً وأطيبهم نفســـاً، وأصـــلحهم بالاً، وأهدأهم خاطراً، ومن تلك الثمرات أيضاً أنه يكون أشجع الـــناس عقـــلاً وقلباً، وأكرمهم قولاً ونفساً، إذ إن من عرف أن أجله محدود، ورزقه معـــدود، فلا الجبن يزيد في عمره، ولا الشح يزيد في رزقه، فإنه ينافس في البطولات ويسابق في المكرمات.وسوف تتناول هذه الوحدة تفصيل موضوع الإيمان باليوم الآخر والقضاء والقدر فابدأ في دراستها الآن.

الأهداف التعليمية للوحدة الثانية:

عزيزي الدارس: يرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادراً على أن:

١- أن تحدد المقصود بالإيمان باليوم الآخر.

٢- أن توضح الحكمة من اهتمام القرآن بذكر اليوم الآخر في مواضع كثيرة.

٣- أن تذكر الأدلة النقلية والعقلية على وجوب الإيمان باليوم الآخر.

٤- أن تتحدث عن فتنة القبر وما فيه من عذاب ونعيم.

٥- أن تذكر أشراط الساعة الصغرى والكبرى.

٦- أن تبين المقصود بالبعث والحشر، والجزاء والعرض والحساب.

٧- أن تذكر صفة حوض الرسول ﷺ.

٨- أن تتحدث عن وزن الأعمال بعد الحساب.

٩- أن تذكر صفة الصراط وأحوال الناس في المرور عليه.

١٠- أن تستحدث عن الجنة وما أعد الله فيها من نعيم للمؤمنين، وعن النار وما أعد فيها من عذاب شديد.

١١- أن تذكر تعريف القضاء والقدر.

١٢- أن تحدد المقصود بالإيمان بالقدر.

١٣- أن تذكر مراتب الإيمان بالقدر.

١٤- أن ترد على شبهات المحتجين بالقدر.

١٥- أن توضح أثر الإيمان بالقضاء والقدر في حياة المسلم.

١٦- أن تبين العلاقة بين الإيمان بالقدر والأخذ بالأسباب.

الفصل الأول: الإيمان باليوم الآخر

– اهتمام القرآن باليوم الآخر وحكمته:

١– لأثـــره العظيم في حياة الإنسان لارتباطه بالثواب والعقاب. ٢– نسيان العباد له وغفلتهم عنه.

– أدلة الإيمان باليوم الآخر ورد شبه المنكرين: تتضح هذه الأدلة في أشياء كثيرة منها، الأدلة في خلق الإنسان وتكوينه ومراحل خلقه في بطن أمه، وبعد ولادته، وشبابه، وحتى الموت.

– تفصيل الإيمان باليوم الآخر: ١– فتنة القبر وسؤال الملكين. ٢ – عـــذاب القـــبر ونعيمه. ٣– أشراط الساعة: أ– طلوع الشمس من المغرب. ب– خروج الدابة. ج– ظهور الدجال. د– نزول عيسى عليه السلام. هـــ– ظهور يأجوج ومأجوج. – بدايـــة اليوم الآخر – البعث – الحشر – جزاء الأعمال – العرض والحساب – الحوض – الميزان – الصراط – الجنة والنار.

الوحدة الثانية: الإيمان باليوم الآخر وبالقضاء

الفصل الثاني: الإيمان بالقضاء والقدر

– تعريف القضاء والقدر.

– معنى الإيمان والقدر:

أ– الدرجة الأولى: الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم؛ لأنه موصوف به أزلاً.

ب– الدرجـــة الثانـــية: الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

– احتجاج الكفار بالقدر. – أثر عقيدة القدر في المسلم.

– الإيمان بالقدر لا ينافي الأخذ بالأسباب.

الفصل الأول
الإيمان باليوم الآخر

ومعناه بصورة إجمالية: الإيمان بكل ما أخبر الله ﷻ في كتابه وأخبر به رسوله ﷺ مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، والبعث والحشر، والصحف والحساب، والميزان والحوض، والصراط والشفاعة، والجنة والنار، وما أعد الله تعالى لأهلهما جميعًا.

اهتمام القرآن بهذا الركن وحكمته:

ولقد حفل القرآن الكريم بذكر اليوم الآخر، واهتم بتقريره في كل موقع، ونبه إليه في كل مناسبة، وأكد وقوعه بشتى الأساليب العربية.

ومن مظاهر هذا الاهتمام بهذا اليوم العظيم في كتاب الله، أنه كثيرًا ما ربط الإيمان به بالإيمان بالله ﷻ، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ [البقرة:١٧٧]، وقوله تعالى: ﴿ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة:٦٢]، وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ [البقرة:٢٣٢]، وقوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ [التوبة:٢٩]، وقوله تعالى: ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [العنكبوت:٣٦]، وأمثال هذه الآيات كثير جدًّا في كتاب الله ﷻ.

ومن مظاهره أيضًا إكثار القرآن من ذكر اليوم الآخر، حتى إنك لا تكاد تمر على صحيفة من صحائف القرآن إلا وتجد فيها حديثًا عن اليوم الآخر وما سيكون فيه من الأحداث والأحوال، بأساليب كثيرة ومتنوعة، كذلك تجد القرآن يفصل أحوال ذلك

اليوم تفصيلاً قلما تجده في أمور الغيب الأخرى.

ومن مظاهره أيضًا كثرة ما سماه الله من الأسماء التي يدل كل واحد منها على ما سيقع فيه من الأهوال، فمن أسمائه في القرآن: القيامة، والساعة، والآخرة، ويوم الدين، ويوم الحساب، ويوم الفتح، ويوم التلاق، ويوم الجمع، ويوم التغابن، ويوم الخلود، ويوم الخروج، ويوم الحسرة، ويوم التناد، والآزفة، والطامة، والصاخة، والحاقة، والغاشية، والواقعة وغيرها[1].

وأما حكمة ذلك الاهتمام البالغ بهذا الركن فمنها:

أن الإيمان باليوم الآخر له أثر عظيم في حياة الإنسان، ذلك أن الإيمان به وبما فيه من جنة ونار، وحساب، وعقاب، وثواب وفوز وخسران ـ له أشد الأثر في توجيه الإنسان وانضباطه والتزامه بالعمل الصالح وتقوى الله ﷻ، وشتان ما بين اثنين أحدهما لا يعتقد ببعث ولا حساب على أعماله وأقواله، ولا يقيده غير مصلحته الشخصية ومنفعته الذاتية، وآخر يعتقد بيوم يحاكم فيه الإنسان على أعماله وأقواله أمام أعدل العادلين، فيثاب على الخير ويعاقب على الشر، فالأول منفلت من أي ضابط سوى هواه وشهوته، والغاية عنده غاية أنانية تبرر أية وسيلة، وأي خلق، وأي عمل مهما كان ضرره، والآخر منضبط في حدود الحق والخير والصلاح، وهي الأمور التي لها وزن واعتبار عند الله في ذلك اليوم، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف:٨، ٩].

ويشير إلى هذه الحكمة أسلوب القرآن في الربط بين الإيمان باليوم الآخر والعمل الصالح في كثير من الأحيان، من ذلك قوله تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ

(١) انظر: العقائد الإسلامية لسيد سابق ص٢٦١-٢٦٤.

﴿ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ [الماعون:١-٣]، وقوله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [التوبة:١٨]، وقوله أيضًا: ﴿ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ۝ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ [التوبة:٤٤، ٤٥]، وقوله تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [المجادلة:٢٢]، وقوله: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ﴾ [الممتحنة:٦]، وقوله: ﴿ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [الطلاق:٢]، وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [الأنعام:٩٢]، وغيرها كثير.

فإنه لما كان الإنسان مفطورًا على طلب المصلحة لنفسه ودفع المفسدة عنها، كان الإيمان باليوم الآخر مقويًا للوازع النفسي عنده، ذلك الذي يرغب في الخير ويصد عن الشر؛ ولذلك كانت عناية القرآن بكثرة التذكير به، والتفنن في تصويره حتى يتعمق ذلك الوازع في قلب المؤمن ويشتد تأثيره.

ولعل من حكمة الاهتمام البالغ بالتذكير باليوم الآخر كثرة نسيان العباد له وغفلتهم عنه؛ بسبب تثاقلهم إلى الأرض وحبهم لمتاع الدنيا، فيكون الإيمان به وبما فيه من عذاب ونعيم مخففًا من الغلو في حب الدنيا، فيعلم العباد أن شهوات الدنيا كلها لا تستحق منهم الطلب والجهد والتنافس فيها، وأن الذي يستحق ذلك منهم إنما هو ما أعد لهم في ذلك اليوم العظيم، ويشير إلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [التوبة:٣٨].

ولعل من حكمته أيضًا أن وجود ذلك اليوم كان وما يزال يثير استغراب الكافرين وتعجبهم؛ لما يرونه ببصيرتهم القاصرة من مخالفة البعث لما يرونه من تحول إلى رفات وعظام بعد الموت، قال تعالى عن أمثال هؤلاء: ﴿ قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴾ [ق:١-٣]، فبيّن لهم الله سبحانه في كثير من الآيات -التي سنذكر بعضها فيما بعد- أن هذا الحس الذي يواجهون به هذه الحقيقة حس عاجز وقاصر؛ لأن أمثال البعث في حياة الإنسان كثيرة، ولكنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

أدلة الإيمان باليوم الآخر ورد شبه المنكرين له:

ولقد دل على الإيمان باليوم الآخر كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، كما يدل عليه العقل والفطرة السليمة، فأكثر سبحانه من ذكره في كتابه، وأقام عليه الأدلة، ورد شبه المنكرين للبعث في كثير من المواضع، كما فصل في القرآن أمور ذلك اليوم وحوادثه تفصيلاً لم يسبق له مثيل في الكتب السابقة، مع أن كل رسول أرسله الله بشّر قومه وأنذرهم بهذا اليوم العظيم، وكفر كل من ينكره أو يشك فيه.

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [النساء:٨٧]، وقال: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [البقرة:١٧٧]، وقال أيضًا: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء:١٣٦].

ويخبرنا القرآن عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ [نوح:١٧، ١٨]، وعن إبراهيم عليه السلام أنه قال: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ [الشعراء:٨٢]، وقال سبحانه لموسى عليه السلام: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ۝ فَلَا يَصُدَّنَّكَ

عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ [طه:١٥، ١٦]، وقد أمر سبحانه نبيه محمدًا ﷺ أن يقسم به على البعث في أكثر من موضع، من ذلك قوله تعالى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾ [التغابن:٧].

والذين ينكرون البعث إنما يكذبون رسل الله جميعًا، أولئك الذين قامت الأدلة العقلية والحسية القاطعة على صدقهم في كل ما أخبروا به، وتكذيبهم في أي خبر حَجْرٌ على العقل الذي حكم بصدقهم، وتكذيب له، وعناد لا معنى له.

والمنكرون للبعث ليس لهم دليل على إنكارهم؛ ذلك أنه أمر من أمور الغيب لا يعلمه إلا الله، والضابط في هذه الأمور أنه لا سبيل لأحد في إثباتها أو إنكارها إلا سبيل واحد هو إعلام الله ﷻ، فمن قامت الحجج القاطعة على تلقيه من عند الله تعالى فهو الصادق فيما يخبر به عن شيء من هذه الأمور[1]، وهذا أمر لم يثبت إلا للرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام، فهم الذين أيدهم الله بالمعجزات، وأطلعهم على بعض الغيب، وقد تقدم اتفاقهم على الإخبار باليوم الآخر.

وإنما أثار المنكرون للبعث بعض الشبهات والشكوك حول وجود ذلك اليوم كاستبعادهم العودة إلى الحياة بعد تحولهم إلى رفات وعظام وتراب، فقالوا كما أخبر الله عنهم: ﴿ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾ [ق:٣]، وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ

(١) وهذا الضابط بدهية من بدهيات العقول، فإننا نعلم بالبديهية أنه لا يمكن لأحد أن يثبت أو ينفي وجود شيء في مكان أو زمان إلا بأن يطلع أو يخبره مطلع إذا كان وجود هذا الشيء أو عدمه لا يتناقض مع العقل وليس مستحيلاً في حكمه، فلو أن شخصًا من العامة أثبت أو نفى وجود نجم في موقع من مواقع السماء ولم يخبره عالم فلكي حكمنا بكذبه، وكذلك أي شخص يزعم عدم وجود اليوم الآخر نحكم بكذبه، حتى ولو لم يخبرنا بوجوده أحد، فكيف وقد بذلك من يستحيل في حقهم الكذب وهم الأنبياء والرسل، والناس كلهم بالنسبة لعالم الغيب عوام، والمطلع عليه هو الله وحده، فلا نتبع في شأنه إلا من علمهم الله وهم رسله الكرام.

إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية:٢٤]، وشبههم جميعًا لا تعدو الاستبعاد والاستعظام والتعجب.

وقد رد الله سبحانه على هذه الشبه وبيّن تفاهتها في أكثر من موضع في كتابه العزيز، وبيّن لهم أن الإيمان بالمعاد لا ينكره العقل بل يؤيده، ولا يخالف المعهود بل له أمثلة في حياة الناس وشواهد من صنع الخالق، من ذلك:

١- قال تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۝ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ۝ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٤٩-٥٢].

فانظر إلى هذه الشبهات التي أثاروها، وما يثيره المنكرون في كل عصر لا يتعداها، إنهم يستعظمون على الله تحويل ما تؤول إليه الأجسام من الرفات والعظام إلى خلق جديد يحس ويشعر، ويستكثرون عليه قدرته على ذلك، ويستبعدون هذا الأمر لأنهم لا يعلمون من هو. وهي شبهات -كما ترى- مبعثها الجهل بطبيعة الحياة والموت، والغفلة عن قدرة الله ﷻ، والتعامي عن آثار هذه القدرة المطلقة في الإنشاء من العدم، وكان يكفيهم -لو كانوا يعقلون- أن يتذكروا قدرة الله عندما خلقهم أول مرة ولم يكونوا شيئًا؛ ليوقنوا بصدق الباري فيما أخبرهم عن المعاد والحساب والثواب والعقاب.

فالقضية بسيطة، والجواب مفحم مع بساطته وبداهته، فإن الإنسان قد وجد نفسه مخلوقًا بعد أن لم يكن؛ فلابد له من خالق أوجده من العدم، ثم تحول من حال إلى حال بمفارقة الحياة، فلابد من فاعل لهذا التحول، وليس هو إلا الله الذي خلق أول مرة، ولو

كان غيره لاستطاع أن يدفع عن نفسه الموت، فإذا أخبر بعد ذلك هذا الخالق المحيي المميت بأنه سيحيي الإنسان مرة أخرى ويعيد خلقه، كانت مناقشته في ذلك عنادًا واستكبارًا، قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الجاثية:٢٦].

٢- وقال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ۝٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ۝٨٠ أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [يس:٧٨-٨١].

يقول صاحب شرح العقيدة الطحاوية في شرح هذه الآيات الكريمة: "فلو رام أعلم البشر وأفصحهم وأقدرهم على البيان أن يأتي بأحسن من هذه الحجة أو بمثلها، بألفاظ تشبه هذه الألفاظ في الإيجاز، ووضح الأدلة، وصحة البرهان لما قدر، فإنه سبحانه افتتح هذه الحجة بسؤال أورده ملحد اقتضى جوابًا، فكان في قوله تعالى: ﴿ وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥ ﴾ ما وفّى الجواب وأقام الحجة وأزال الشبهة، ولما أراد سبحانه تأكيد الحجة وزيادة تقريرها قال: ﴿ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖ ﴾، فاحتج بالإبداء على الإعادة، وبالنشأة الأولى على النشأة الأخرى، إذ كل عاقل يعلم ضروريًّا أن من قدر على هذه قدر على هذه، وأنه لو كان عاجزًا عن الثانية لكان عن الأولى أعجز وأعجز.

ولما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على المخلوق وعلمه بتفاصيل خلقه أتبع ذلك بقوله: ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴾، فهو عليم بتفاصيل الخلق الأول وجزئياته ومواده وصورته فكذلك الثاني، فإذا كان تام العلم كامل القدرة، كيف يتعذر عليه أن يحيي العظام وهي رميم؟

ثم أكد الأمر بحجة قاهرة وبرهان ظاهر، يتضمن جوابًا عن سؤال ملحد آخر يقول: العظام إذا صارت رميمًا عادت طبيعتها باردة يابسة والحياة لابد أن تكون مادتها وحاملها الطبيعة حارة رطبة، فقال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾، فأخبر سبحانه بإخراج هذا العنصر الذي هو في غاية الحرارة واليبوسة من الشجر الاخضر الممتلئ بالرطوبة والبرودة، فالذي يخرج من الشيء ضده، وتنقاد له مواد المخلوقات وعناصرها ولا تستعصي عليه، هو الذي يفعل ما أنكره الملحد ودفعه.

ثم أكد هذا باخذ الدلالة من الشيء الأجل الأعظم على الأيسر الأصغر، فإن كل عاقل يعلم أن من قدر على العظيم الجليل فهو على ما دونه بكثير أقدر وأقدر، فمن قدر على حمل قنطار فهو على حمل أوقية أشد اقتدارًا، فقال سبحانه: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ﴾، فالذي أبدع السماوات والأرض على جلالتهما، وعظم شأنهما، وكبر أجسامهما، وسعتهما وعجيب خلقهما ـ أقدر على أن يحيي عظامًا قد صارت رميمًا فيردها إلى حالتها الأولى"[1].

٣- وقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ [الحج: ٥-٧].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص: ٤٦٠، ٤٦١.

فتدبر هذه الآيات الكريمات من سورة الحج، فإن فيها من الأدلة على البعث والآيات البينات على قدرة الله في إحياء الموتى ما يمحو كل شك من القلوب حول هذه الحقيقة، ويزيل كل استغراب، ويفند شبهات المعاندين، ففيها:

أ- دليل إنشاء الخلق وبدئهم من تراب ليس فيه مظهر من مظاهر الحياة وقد تقدم الكلام عن هذا الدليل.

ب- وفيها إبراز لمظهر من مظاهر قدرة الله في خلق الإنسان ونقله من طور إلى طور، وحال إلى حال أخرى تختلف عن الأولى كل الاختلاف، فإن من نقله من النطفة إلى العلقة، ثم إلى المضغة، ثم شق سمعه وبصره، وركب فيه الحواس والقوى والعظام والأعصاب وغيرها، ثم أحكم خلقه غاية الإحكام، وأخرجه على هذا الشكل والصورة التي هي أتم الصور وأحسن الأشكال، كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين:٤]، كيف يعجز عن بعثه وإعادة الحياة إليه؟ فليس هذا إلا عملية نقل من حال إلى حال أخرى، والمعاند يرى أمثالها في نفسه، وفي كل إنسان على وجه هذه الأرض.

ولقد نبه الأستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى -بعد تفسيره للآيات السابقة- إلى معنى لطيف تضمنته تلك الآيات، فقال: "وإن هذه الأطوار التي يمر بها الجنين ثم يمر بها الطفل بعد أن يرى النور، لتشير إلى أن الإرادة المدبرة لهذه الأطوار ستدفع بالإنسان إلى حيث يبلغ كماله الممكن في دار الكمال، إذ أن الإنسان لا يبلغ كماله في حياة الأرض، فهو يقف ثم يتراجع ﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾ فلابد من دار أخرى يتم فيها تمام الإنسان.

فدلالة هذه الأطوار على البعث دلالة مزدوجة... فهي تدل على البعث من ناحية أن القادر على الإنشاء قادر على الإعادة، وهي تدل على البعث؛ لأن الإرادة المدبرة تكمل تطوير الإنسان في الدار الآخرة.

هكذا تلتقي نواميس الخلق والإعادة، ونواميس الحياة والبعث، ونواميس الحساب والجزاء، وتشهد كلها بوجود الخالق المدبر الذي ليس في وجوده جدال"[1].

هذا وفي ذكر أطوار الإنسان وتكونه من النطفة والعلقة لفتة أخرى، ففيه توجيه أنظار المعاندين المنكرين للبعث وإحياء الموتى إلى أن هذا الفعل الرباني ماثل في كل واحد منهم وفي كل إنسان، فإنه قبل أن يكون خلقًا سويًّا كان نطفة من ماء مهين لا قيمة لها، وعلقة ومضغة؛ أي قطعة من لحم لا شكل فيها ولا تخطيط، وجمعها مراحل حقيرة أشبه ما يكون فيها الإنسان بالميت، ومع ذلك فإن الله سبحانه يخلق فيها الحياة ويشكلها ويودع فيها أسباب الحياة، إلى أن تغدو في نهاية الأمر بشرٌ سويًّا، يفكر ويشعر، ويخاصم ويجادل، فما أشبه هذا الصنيع الرباني بإحياء الموتى الذي يستنكره المنكرون للبعث؛ ولذلك قال ﷻ: ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾ [القيامة:٣٧-٤٠].

ج- وفي الآيات السابقة دليل آخر على البعث، وآية أخرى على قدرة الله في إحياء الموتى: هذه الأرض القاحلة، لا ترى فيها أثرًا لحياة ولا ينبت فيها شيء، فإذا أنزل الله عليها المطر ظهرت فيها الحياة، وأنبتت من الزروع وأشتات النبات في اختلاف ألوانها وطعومها وروائحها وأشكالها ومنافعها، وكما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فصلت:٣٩]، وقد سئل رسول الله ﷺ: كيف يحيي الله الموتى؟ وما آية ذلك في خلقه؟ قال: "**أما مررت بوادي أهلك ممحلاً**"، قال: بلى، قال: "**ثم مررت به يهتز خضرًا؟**"، قال: بلى، قال: "**فكذلك يحيي الله الموتى، وذلك آيته في خلقه**"[2].

---

(١) في ظلال القرآن (٥/٥٨٣).

(٢) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه. انظر: تفسير ابن كثير (٢/٢٠٨)، وصحيح الجامع الصغير (١/٤٢٠).

٤- وقال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٥]، وقال أيضًا: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ [القيامة:٣٦].

فهاتان الآيتان وأمثالهما تقرران أن الإيمان بالمعاد والحساب والجزاء هو من مقتضيات توحيد الله، في صفاته الكاملة وأسمائه الحسنى، فهذا الركن من لوازم الركن الأول من أركان الإيمان، ومن كفر به لم يكن مؤمنًا بالله ﷻ؛ لأن ذلك يستلزم كفره بحكمة ربه وعدله في خلقه، وتعطيل صفاته ﷻ.

ومن لوازم هذا الكفر احتقار الإنسان لنفسه، باعتقاده أنه خلق عبثًا لا لحكمة بالغة، وأن وجوده في الأرض موقوت محدود بهذا العمر القصير، المليء بالنكد والهموم والمصائب والظلم والبغي والآثام، وأنه يترك سدى فلا يجزى الظالم بظلمه، والعادل بعدله، والمصلح بإصلاحه، والمفسد بإفساده، والمسيء بإساءته، فالإيمان بالبعث واليوم الآخر هو الذي يليق بجلال الله وعدله وحكمته، ويحكم به العقل، وتطمئن إليه الفطرة السليمة[1].

تفصيل الإيمان باليوم الآخر:

وإذا كان الإيمان باليوم الآخر من أهم الأركان التي يقوم عليها الإيمان، فإنه لا يتحقق ولا يكون تامًّا وكاملاً إلا بأمرين:

الأول: أن يؤمن العبد باليوم الآخر بصورة إجمالية، وهذا هو الحد الأدنى لتحصيل هذا الركن من أركان الإيمان.

الثاني: أن يؤمن بكل ما أخبره به رسول الله ﷺ من أمور الغيب التي تكون بعد

(١) الوحي المحمدي ص١٧٨، ١٧٩، ومبادئ الإسلام للمودودي ص٩١، والعقائد الإسلامية ص٢٧٩، ٢٨٠، وشرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل هراس ص١٢٩، ١٣٠.

الموت، ونذكر فيما يلي أهم ما وردت به الأحاديث الصحيحة والآيات الكريمة من هذه الأمور:

١- فتنة القبر وسؤال الملكين:

فيجب أن نؤمن بما أخبر به الرسول ﷺ من فتنة القبر وسؤال الملكين للإنسان عن ربه ودينه ونبيه، فقد أخبر ﷺ في الأحاديث الصحيحة أن الناس يمتحنون في قبورهم، فيقال للعبد: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول المؤمن: ربي الله، والإسلام ديني، ومحمد ﷺ نبيّي، وأما المرتاب فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته، فيضرب ويعذب.

ومن الأحاديث الواردة في ذلك:

ما أخرجه البخاري ومسلم عن أسماء رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: "**ما من شيء لم أكن أريته إلا رأيته في مقامي حتى الجنة والنار، فأوحي إلي أنكم تفتنون في قبوركم، مثل أو قريبًا من فتنة المسيح الدجال، يقال: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن أو الموقن فيقول: هو محمد رسول الله، جاءنا بالبينات والهدى، فأجبنا واتبعنا، هو محمد ثلاثًا، فيقال: نم صالحًا، قد علمنا أن كنت لموقنًا به، وأما المنافق أو المرتاب فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته**"[1].

وما أخرجه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم**"، قال: "**يأتيه ملكان فيقعدانه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟**"، قال: "**فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله**"، قال: "**فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة**"، قال نبي الله ﷺ: "**فيراهما جميعًا**"، قال قتادة: "وذكر لنا أنه يفسح له في قبره سبعون ذراعًا، ويملأ عليه خضرًا إلى يوم يبعثون، ثم رجع إلى

(١) انظر: صحيح البخاري مع فتح الباري (١/١٤٨)، وهو حديث متفق عليه واللفظ للبخاري.

حديث أنس، قال: وأما المنافق والكافر، فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين"[1].

وما أخرجه البخاري ومسلم عن البراء بن عازب ﷺ عن النبي ﷺ قال: "﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ [إبراهيم:٢٧]"، قال: "نزلت في عذاب القبر، فيقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله ونبيي محمدﷺ، فذلك قوله ﷻ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾"[2].

وهناك أحاديث صحيحة كثيرة وردت بإثبات فتنة القبر وسؤال الملكين.

٢- عذاب القبر ونعيمه:

وبعد فتنة القبر يجب أن نؤمن بما أخبر به الصادق ﷺ من عذاب القبر ونعيمه، وقد تظاهرت على هذا الأمر دلائل من الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۝ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر:٤٥، ٤٦].

فقد توعد الله آل فرعون بنوعين من العذاب:

الأول: أشار إليه بقوله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾.

والثاني: أشار إليه بقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾، وقد عطف الثاني على الأول، والعطف يقتضي التغاير بين المعطوف والمعطوف عليه، فلابد أن يكون المشار إليه أولاً غير الثاني، فإذا كان العذاب الثاني

(١) متفق عليه، انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٢٠٣/١٧)، وصحيح البخاري مع فتح الباري (١٨٤/٣).
(٢) متفق عليه، واللفظ لمسلم. انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٢٠٤/١٧)، وصحيح البخاري مع فتح الباري (٣/ ١٨١).

بعد قيام الساعة، فلابد أن يكون الأول واقعًا بهم ما بين الموت والنشور، وهو عذاب القبر.

وأشار ﷻ إلى عذاب يكون بعد الموت في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾ [الأنعام:٩٣]، فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية أنه قال: هذا عند الموت، والبسط الضرب، يضربون وجوههم وأدبارهم.

قال ابن حجر: ويشهد له قوله تعالى في سورة القتال: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾ [محمد:٢٧]، ثم قال: "وهذا وإن كان قبل الدفن فهو من جملة العذاب الواقع قبل يوم القيامة، وإنما أضيف العذاب إلى القبر لكون معظمه يقع فيه"(١).

وأما الأحاديث الصحيحة المثبتة لعذاب القبر فكثيرة جدًّا تبلغ حد التواتر، يقول النووي في شرحه لصحيح مسلم: "اعلم أن مذهب أهل السنة إثبات عذاب القبر، وقد تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ [غافر:٤٦]، وتظاهرت به الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ من رواية جماعة من الصحابة في مواطن كثيرة، ولا يمتنع في العقل أن يعيد الله تعالى الحياة في جزء من الجسد ويعذبه، وإذا لم يمنعه العقل، وورد به الشرع وجب قبوله واعتقاده"(٢).

وقد أورد الإمام مسلم في صحيحه أحاديث كثيرة في إثبات عذاب لقبر، وسماع النبي ﷺ من يعذب فيه، وسماع الموتى قرع نعال دافنيهم، وكلامه ﷺ لأهل القليب، وقوله: "ما أنتم بأسمع منهم"، والفسح للميت في قبره إن كان من الناجين، وعرض مقعده من

(١) انظر: فتح الباري (٣/١٨٠).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٧/٢٠٠، ٢٠١).

الجنة أو النار عليه وغير ذلك[1].

ومن الأحاديث الواردة في ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن زيد بن ثابت ﷺ قال: "بينما النبي ﷺ في حائط لبني النجار على بغلة له ونحن معه، إذ حادت به فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة، فقال ﷺ: **"من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟"**، فقال رجل: أنا، قال: **"فمتى مات هؤلاء؟"**، قال: ماتوا في الإشراك، فقال: **"إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه"**، ثم أقبل علينا بوجهه فقال: **"تعوذوا بالله من عذاب النار"**، فقالوا: نعوذ بالله من عذاب النار، فقال: **"تعوذوا بالله من عذاب القبر"**، قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، قال: **"تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن"**، قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن. قال: **"تعوذوا بالله من فتنة الدجال"**، قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال[2].

ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر النبي ﷺ على قبرين فقال: **"إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير"**، ثم قال: **"بلى، أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله"**[3].

ومن ذلك أيضًا ما أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **"إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة"**[4].

---

(١) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٧/٢٠٠-٢٠٧).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٧/٢٠٢).

(٣) متفق عليه، واللفظ للبخاري. انظر: صحيح البخاري مع فتح الباري (٣/١٨٨).

(٤) متفق عليه، انظر صحيح البخاري مع فتح الباري (٣/١١٨)، وصحيح مسلم بشرح النووي (١٧/٢٠٠).

وأما كيفية عذاب القبر ونعيمه، وكيفية عودة الروح إلى الميت، فلا يجوز فيها الزيادة على ما صح عن رسول الله ﷺ، يقول شارح العقيدة الطحاوية: "وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا نتكلم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته؛ لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول، فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا؛ بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا..

واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه، قبر أو لم يقبر، أكلته السباع، أو احترق حتى صار رمادًا ونسف في الهواء، أو صلب، أو غرق في البحر، وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور، وما ورد من إجلاسه واختلاف أضلاعه ونحو ذلك، فيجب أن يفهم عن الرسول ﷺ مراده من غير غلو ولا تقصير، فلا يحمل كلامه ما لا يحتمله، ولا يقصر به عن مراده وما قصده من الهدى والبيان"[1].

ويقول ابن القيم: "مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تصل بالبدن أحيانًا، ويحصل له معها النعيم أو العذاب، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد، وقاموا من قبورهم لرب العباد، ومعاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى"[2].

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص٤٥١، ٤٥٢، والعقائد الإسلامية لسيد سابق ص٢٣٧.

(٢) العقائد الإسلامية لسيد سابق ص٢٣٧.

٣- أشراط الساعة:

ويجب علينا أن نؤمن أن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن موعدها لا يعلمه إلا الله، أخفاه عن الناس كلهم بما فيهم الرسل والأنبياء، وأنه ليس لأحد من سبيل إلى معرفة ما بقي من عمر الدنيا، قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٧].

ولكن يجب أن نؤمن بما ثبت عن رسول الله ﷺ من علاماتها وأشراطها.

هذا وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه ذكر للساعة علامات صغرى معظمها يدور حول فساد الناس في آخر الزمان، وظهور الفتن بينهم، وبُعدهم عن هدى الله وطريق الرسل، وعلامات كبرى.

فأما العلامات الصغرى فقد ورد فيها جملة من الأحاديث الصحيحة نذكر منها:

أ- ما أخرجه البخاري ومسلم من قول الرسول ﷺ: "**بعثت أنا والساعة كهاتين**"، وأشار بالسبابة والوسطى[1]، فهذا يدل على أن بعثة الرسول ﷺ وختم النبوة والرسالة به من علامات قرب الساعة، ففي الحديث دلالة على أن النبي ﷺ ليس بينه وبين الساعة نبي آخر، فهي تليه وتأتي بعده، وهي إخبار بقرب وقوعها[2].

ب- وفي حديث جبريل أنه سأل الرسول ﷺ عن الساعة، فقال: "**ما المسؤول**

(١) أخرجه البخاري، ومسلم، والترمذي. انظر صحيح البخاري مع فتح الباري (٢٩٣/١١).

(٢) العقائد الإسلامية لسيد سابق ص٢٤٥، وفتح الباري (٢٩٣/١١).

عنها بأعلم من السائل"، قال: فأخبرني عن أمارتها؟ قال: "أن تلد الأمة ربتها[1]، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان"[2].

ج- وأخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان[3] يكون بينهما مقتلة عظيمة ودعوتهما واحدة، وحتى يبعث[4] دجالون كذابون قريب من ثلاثين[5] كل يزعم أنه رسول الله، وحتى يقبض العلم[6]، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان[7]، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج وهو القتل، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض، حتى يهم رب المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه: لا أرَب لي به، وحتى يتطاول الناس في البنيان،

---

(١) قال ابن حجر في معنى هذا: "أن يكثر العقوق في الأولاد، فيعامل الولد أمه معاملة السيد أمته، من الإهانة بالسب والضرب والاستخدام، فأطلق عليه ربها مجازًا لذلك، أو المراد بالرب المربي فيكون حقيقة، وهذا أوجه الأوجه عندي؛ ولأن المقام يدل على أن المراد حالة تكون مع كونها تدل على فساد الأحوال مستغربة، ومحصله أن الساعة يقرب قيامها عند انعكاس الأمور بحيث يصير المربي مربيًا والسافل عاليًا، وهو مناسب لقوله في العلامة الأخرى: أن تصير الحفاة ملوك الأرض". انظر: فتح الباري (١/١٠١).

(٢) متفق عليه، انظر صحيح البخاري مع فتح الباري (١/٩٩، ١٠٠)، وصحيح مسلم بشرح النووي (١/١٥٨)، وعبارة البخاري "أن تلد الأمة ربها"، ومعنى تطاول رعاء الشاء في البنيان قال فيه القرطبي: "المقصود: الإخبار عن تبدل الحال بأن يستولي أهل البادية على الأمر، ويتملكوا البلاد بالقهر، فتكثر أموالهم وتنصرف همتهم إلى تشييد البنيان والتفاخر به، وقد شاهدنا ذلك في هذه الأزمان"، نقل هذا عن القرطبي ابن حجر في فتح الباري (١/١٠١).

(٣) قال ابن حجر: المقصود فئة علي ومن معه، وفئة معاوية ومن معه.

(٤) أي يظهر.

(٥) وأمثال هؤلاء: الأسود العنسي صاحب صنعاء، ومسيلمة الكذاب صاحب اليمامة، وممن ادعى النبوة: طليحة بن خويلد، وسجاح، وقد رجع هذان الأخيران عن دعواهما، ومن هؤلاء من المتأخرين: مؤسس القاديانية والبهائية. انظر: فتح الباري (١٣/٧٣)، والعقائد الإسلامية لسيد سابق ص٢٤٦.

(٦) أي يقبض علماء الدين والدعاة إلى الله ﷻ.

(٧) المراد نزع البركة من كل شيء حتى من الزمان، فتكون السنة في بركتها والانتفاع بها كالشهر، والشهر كالجمعة، والجمعة كاليوم، واليوم كالساعة. فتح الباري (١٣/١٣)، وتيسير الوصول (٤/٩١).

وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه، وحتى تطلع الشمس من مغربها[1]، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين ﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾.

ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته[2] فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليط[3] حوضه فلا يسقي منه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها"[4].

د- وعن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال: "إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويظهر الجهل، ويفشو الزنا، ويشرب الخمر، ويكثر النساء، ويقل الرجال، حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد".

هـ- وعن أبي هريرة ﷺ أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: متى الساعة؟ فقال: "إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة"، قال: وكيف إضاعتها؟ قال: "إذا أُسند الأمر لغير أهله فانتظر الساعة"[5].

و- وعن أبي هريرة ﷺ أيضًا أن النبي ﷺ قال: "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلا

(١) هذه من العلامات الكبرى، وبقية العلامات المذكورة في الحديث صغرى.

(٢) اللقحة: هي الناقة ذات اللبن.

(٣) أي يصلحه بالطين.

(٤) أخرجه البخاري، انظر صحيح البخاري مع فتح الباري (١٣/٧٠-٧٦).

(٥) انظر صحيح البخاري مع فتح الباري (١١/٢٧٩).

الغرقد فإنه من شجر اليهود"[1].

وهناك أحاديث صحيحة أخرى ذكرت لنا علامات أخرى تظهر قبل قيام الساعة ويمكن الرجوع إليها في كتب الصحاح[2].

وأما العلامات الكبرى فقد ورد في بعض الأخبار الصحيحة عن رسول الله ﷺ ذكر عشر منها، وذلك كحديث حذيفة بن أسيد الغفاري، حيث قال: "اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: **"ما تذاكرون؟"** قالوا: نذكر الساعة، قال: **"إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات"**، فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم[3].

وفيما يلي نبين أهم وأشهر هذه الآيات حسب ما ذكره العلماء:

أ- طلوع الشمس من المغرب:

وهذه الآية بداية التغيير الذي يحدثه الله على نظام الكون في الحياة الدنيا، حيث تظهر آيات غير مألوفة للبشر إيذانًا بقرب وقوع الساعة، الذي يكون معه تغيير شامل لنظام الكون، كما ذكره الله ﷻ في كثير من سور القرآن الكريم، فأول هذا التغيير كما ورد في كثير من الأحاديث طلوع الشمس من المغرب على خلاف ما نعهده من

(١) أخرجه الشيخان، واللفظ لمسلم. انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٨/٤٤).

(٢) تجد ذلك في الصحيحين في كتاب الفتن وأشراط الساعة، وكتاب الرقاق وفي مواضع أخرى.

(٣) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٨/٢٧).

طلوعها من المشرق، والذي أطلعها من المشرق قادر على تغيير مسارها فهو خالقها ومدبر أمرها.

وقد ورد في بعض الأحاديث الصحيحة عن الرسول ﷺ أن هذه الآية تكون أول[1] العلامات الكبرى ظهورًا، فقد روى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "**إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ماكانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبًا**"[2].

وقد تقدم في حديث أبي هريرة السابق أن هذه الآية إذا ظهرت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل، وهو ما أشار الله تعالى إليه بقوله: ﴿ **يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا** ﴾ [الأنعام:١٥٨]، وقد قال كثير من المفسرين ما حاصله: معنى الآية أن الكافر لا ينفعه إيمانه بعد طلوع الشمس من المغرب، وكذلك العاصي لا

---

(١) قال ابن حجر فيما يتعلق بترتيب ظهور علامات الساعة الكبرى ما نصه: "فالذي يترجح من مجموع الأخبار أن خروج الدجال من أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض، وينتهي ذلك بموت عيسى ابن مريم، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي وينتهي ذلك بقيام الساعة، ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب... والحكمة في ذلك أن عند طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة، فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر تكميلاً للمقصود من إغلاق باب التوبة، وأول الآيات المؤذنة بقيام الساعة النار التي تحشر الناس من المشرق إلى المغرب". فتح الباري (٢٩٦/١١، ٢٩٧)، فيتحصل من كلام ابن حجر أن الآيات الكبرى ثلاثة أنواع: المؤذنة بتغير الأحوال العامة في الأرض، والمؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، والمؤذنة بقيام الساعة، وأن المقصود بأولية طلوع الشمس من المغرب الوارد في حديث عبد الله بن عمرو أنها أول آية من النوع الثاني، وهو النوع الذي إذا ظهر أغلق باب التوبة، وأغلق باب الإيمان.

(٢) أخرجه مسلم وأبو داود، انظر: فتح الباري (٢٩٧/١١)، وسنن أبي داود في باب أمارات الساعة، وتيسير الوصول في باب "أشراط متفرقة"، وصحيح مسلم بشرح النووي (٧٧/١٨).

تنفعه توبته، ومن لم يعمل صالحًا من قبل ولو كان مؤمنًا لا ينفعه العمل بعد طلوعها من المغرب[1].

ب- خروج الدابة:

وهذه الآية أشار إليها الله تعالى في القرآن، حيث قال ﷻ: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ [النمل:٨٢].

وقد ورد ذكر خروج الدابة في أحاديث كثيرة بعضها صحيح وقد تقدم بعضها، وليس فيما صح من تلك لأخبار وصف لهذه الدابة التي يخرجها الله ﷻ قبيل قيام الساعة، وما ذكر من أوصافها في بعض الكتب ورد في روايات لم تبلغ حد الصحة، والمؤمن لا تعنيه معرفة هذه الأوصاف، وحسبه أن يقف عند النص القرآني والحديث الصحيح الذي يفيد أن خروج الدابة من علامات الساعة، وأنه إذا ما انتهى الأجل الذي تنفع فيه التوبة وحق القول على الباقين، فلم تقبل منهم توبة بعد ذلك، وإنما يقضى عليهم بما هم عليه، عندئذ يخرج الله لهم دابة تكلمهم، وتعرف على المؤمن وعلى الكافر، وإذا كان الناس لا يعهدون تكلم الدواب، فإن الخالق القادر يمكنها من ذلك، فيفهم منها الناس ويعلمون أنها الخارقة المنبئة بقيام الساعة أو اقترابها، وقد كانوا من قبل لا يؤمنون بآيات الله، ولا يصدقون بيوم القيامة[2].

ج- ظهور الدجال:

والدجال هو الكذاب شديد الدجل، والدجل في اللغة هو التغطية، وسمي الكذاب دجالاً لأنه يغطي الحق بباطله، ومن أمارات الساعة الكبرى ظهور شخص سماه الرسول ﷺ

(١) فتح الباري (١١/٢٩٧).

(٢) في ظلال القرآن (٦/٣٠٨).

بالدجال؛ لكثرة تدجيله وكذبه، يدعي الألوهية، ويحاول أن يفتن الناس عن دينهم بما يحدثه من خوارق العادات وعجائب الأمور بإذن الله ﷻ فيفتن به بعض الناس، ويثبت الله الذين آمنوا فلا ينخدعون بدجله وضلاله، ثم يأذن الله بالقضاء على فتنته، فينـــزل عيسى عليه السلام فيقتله، جاء في شرح النووي على صحيح مسلم: "الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره في قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده، وإنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده، وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى، من إحياء الميت الذي يقتله، ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه، وجنته وناره، ونهريه، واتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت، فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته، ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره، ويبطل أمره ويقتله عيسى عليه السلام، ويثبت الله الذين آمنوا، هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار، خلافًا لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة، وخلافًا لمن ادعى أنه صحيح الوجود، وأن الذي يدعيه مخارف وخيالات لا حقائق لها، وزعموا أنه لو كان حقًا لم يوثق بمعجزات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وهذا غلط من جميعه؛ لأنه لم يدع النبوة، فيكون ما معه كالتصديق له، وإنما يدعي الألوهية وهو في نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله، ووجود دلائل الحدوث فيه، ونقص صورته، وعجزه عن إزالة العور الذي في عينيه، وعن إزالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه، ولهذه الدلائل وغيرها لا يغتر به إلا رعاع من الناس لسد الحاجة والفاقة رغبة في سد الرمق، أو تقية وخوفًا من أذاه، لأن فتنته عظيمة جدًا تدهش العقول، وتحير الألباب، مع سرعة مروره في الأمر، فلا يمكث بحيث يتأمل الضعفاء حالة ودلائل الحدوث فيه والنقص، فيصدقه من صدقه في هذه الحالة؛ ولهذا حذرت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من فتنته، ونبهوا على نقصه، ودلائل إبطاله، وأما أهل التوفيق فلا

يغترونّ به ولا يخدعون لما معه؛ لما ذكرنا من الدلائل المكذبة له مع ما سبق لهم من العلم بحاله"[1].

هذا وقد ورد في ذكر الدجال جملة أحاديث صحيحة، نذكر منها:

- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قام رسول الله ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقال: **"إني لأنذركموه وما من نبي إلا وقد أنذره قومه، ولكني سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه: إنه أعور، وإن الله ليس بأعور"**[2].

روى حذيفة بن اليمان ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: **"لأنا أعلم بما مع الدجال منه؛ معه نهران يجريان، أحدهما رأي العين ماء أبيض، والآخر رأي العين نار تأجج، فإما أدركن أحد فليأت النهر الذي يراه نارًا، وليغمض ثم ليطأطئ رأسه فيشرب منه، فإنه ماء بارد، وإن الدجال ممسوح العين، عليها ظفرة[3] غليظة مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب"**[4].

وعن النواس بن سمعان ﷺ قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة، فخفض فيه ورفع[5]، حتى ظننناه في طائفة النخل[6]، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا، فقال: **"ما شأنكم؟"** قلنا: يا رسول الله، ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت، حتى ظننناه في طائفة النخل،

---

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/٥٨، ٥٩).

(٢) انظر صحيح البخاري مع فتح الباري (١٣/٨٠)، وصحيح مسلم بشرح النووي (١٨/٥٩).

(٣) بفتح الظاء والفاء، وهي جلدة تغشى البصر، أو لحمة تنبت عند المآقي.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي (١٨/٩١).

(٥) المقصود: حقر من شأنه مما يتصف به من العور وغيره، ومما سيؤول أمره إليه من الاضمحلال، ورفع أي عظم من فتنته والمحنة به، حتى حذر كل نبي من فتنته. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/٦٣).

(٦) أي على مقربة من نخل المدينة.

فقال: "غير الدجال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلمٍ، إنه شاب قطط[1]، عينه طافئة، كأنني أشبهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خلة[2] بين الشام والعراق، فعاث يمينًا وعاث شمالاً، يا عباد الله فاثبتوا" قلنا: يا رسول الله، وما لبثه في الأرض؟ قال: "أربعون يومًا؛ يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم"، قلنا: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسنة، أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: "لا، اقدروا له قدره"، قلنا: يا رسول الله، وما إسراعه في الأرض؟ قال: "كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم، فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم[3] أطول ما كانت ذرى[4]، وأسبغه ضروعًا[5]، وأمده خواصر[6]، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل[7]، ثم يدعو رجلاً ممتلئًا شابًا فيضربه بالسيف، فيقطعه جزلتين[8] رمية الغرض[9]، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مَهْرُودَتَين[10]، واضعًا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل[1] لكافر يجد ريح نفسه إلا مات،

(١) شديد جعودة الشعر.

(٢) أي سيظهر في مكان بين الشام والعراق.

(٣) السارحة هي الماشية التي تسرح، أي تذهب أول النهار إلى المرعى.

(٤) الذرى بضم الذال هي الأعالي والأسنمة.

(٥) أي ضروعها كثيرة اللبن.

(٦) أمده خواصر أي لكثرة امتلائها من الشبع.

(٧) أي كجماعة النحل، واليعاسيب هي ذكور النحل.

(٨) أي قطعتين.

(٩) أي يجعل بين الجزلتين مقدار رمية الغرض.

(١٠) أي ثوبين مصبوغين.

قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل[1] لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لُدٍّ فيقتله..."[2].

هذه الأحاديث وغيرها حجة لمذهب أهل السنة في وجوب الاعتقاد بظهور الدجال، حسب ما أخبر به النبي ﷺ، وما وصفه به من الصفات، وما يؤول أمره إليه، وأنه من العلامات الكبرى لقيام الساعة.

فإذا قيل: كيف يجري الله الآيات الباهرة على يده، والمعجزات لا تكون إلا للأنبياء؟ فقد قال الخطابي في الجواب عن هذا التساؤل: "الجواب أنه على سبيل الفتنة للعباد، إذ كان عندهم ما يدل على أنه مبطل غير محق في دعواه وهو أنه أعور، مكتوب على جبهته كافر يقرؤه كل مسلم، فدعواه داحضة مع وسم الكفر ونقص الذات والقدر، إذ لو كان إلهًا لأزال دلك عن وجهه، وآيات الأنبياء سالمة من المعارضة فلا يشتبهان"[3].

ويقول ابن حجر: "وفي الدجال مع ذلك دلالة بينة لمن عقل على كذبه؛ لأنه ذو أجزاء مؤلفة، وتأثير الصنعة فيها ظاهر مع ظهور الآفة به من عور عينيه، فإذا دعا الناس إلى أنه ربهم فأسوأ حال من يراه من ذوي العقول أن يعلم أنه لم يكن يسوي خلق غيره ويعدله ويحسنه، ولا يدفع النقص عن نفسه، فأقل ما يجب أن يقول: يا من يزعم أنه خالق السماء والأرض صور نفسك وعدل لها، وأزل عنها العاهة، فإن زعمت أن الرب لا يحدث في نفسه شيئًا، فأزل ما هو مكتوب بين عينيك"[4].

---

(١) أي لا يمكن ولا يقع لكافر.

(٢) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٨/٦٣) وما بعدها

(٣) نقله ابن حجر في فتح الباري (١٣/٨٩).

(٤) المرجع السابق.

د- نزول عيسى عليه السلام:

فقد دلت السنة وأجمعت الأمة على أن عيسى عليه السلام ينـــزل في آخر الزمان قرب الساعة أثناء وجود الدجال فيقتله، ويحكم بشريعة الإسلام، ويحيي من شأنها ما تركه الناس، ثم يمكث في الأرض ما شاء الله أن يمكث ثم يموت، ويصلي عليه المسلمون ويدفن، وقد ورد بذلك أحاديث صحيحة كثيرة تقدم بعضها، فيجب على كل مسلم أن يصدق به، وأن يعتقد بما أخبر به كتاب ربنا من أن عيسى عليه السلام لم يقتله اليهود، وإنما رفعه الله إليه، وأنه لن يموت حتى ينـــزل قبـــل قيـــام الساعة، فقـــد قال ﷻ: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء:١٥٧-١٥٩].

فانظر إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾، قال ابن كثير: "قال ابن جرير: وأولى هذه الأقوال بالصحة القول الأول، وهو أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام إلا آمن به قبل موت عيسى عليه السلام. ولا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح؛ لأنه المقصود من سياق الآي في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك، وإنما شبه لهم فقتلوا الشبه وهم لايتبينون ذلك، ثم أنه رفعه إليه وأنه باق حي، وأنه سينـــزل قبل يوم القيامة كما دلت عليه الأحاديث المتواترة... فيقتل مسيح الضلالة، ويكسر الصليب، ويقتل الخنـــزير، فأخبرت هذه

الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ، ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم..."[1].

ومن الأحاديث الواردة في ذكر نزول عيسى عليه السلام ما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينـزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلاً فيكسر الصليب[2]، ويقتل الخنـزير، ويضع الجزية[3]، ويفيض المال[4] حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا[5] من الدنيا وما فيها[6]**"، والأحاديث في هذا كثيرة صحيحة[7].

قال القاضي عياض: "نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال حق وصحيح عند أهل السنة للأحاديث الصحيحة في ذلك، وليس في العقل ولا في الشرع ما يبطله، فوجب إثباته، وأنكر ذلك بعض المعتزلة ومن وافقهم، وزعموا أن الأحاديث مردودة بقوله تعالى: ﴿ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب:٤٠]، وبقوله ﷺ: "**لا نبي بعدي**" وبإجماع المسلمين أنه لا نبي بعد نبينا ﷺ، وأن شريعته مؤبدة إلى يوم القيامة لا تنسخ، وهذا استدلال فاسد؛ لأنه ليس المراد بنـزول عيسى عليه السلام أنه ينـزل نبيًّا بشرع ينسخ

---

(١) تفسير ابن كثير (٥٧٧/١).

(٢) المراد بذلك أنه عليه السلام يكسره حقيقة، ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه، وقيل: إن المراد من كسره إظهار كذب النصارى حيث ادعوا أن اليهود صلبوا عيسى عليه السلام على خشب. انظر: الدين الخالص (٩٢/١).

(٣) المقصود بوضع الجزية: أن عيسى عليه السلام يسقطها عن أهل الكتاب، فلا يقبل منهم إلا الإسلام، وليس معنى ذلك أن عيسى عليه السلام ينسخ حكمًا من شريعة الإسلام، ولكن هذا الحديث يدل على أن قبول الجزية في شريعة الإسلام ملغيًّا بنـزول عيسى عليه السلام. المرجع السابق (٩٣/١).

(٤) أي يكثر المال بسبب ما ينشره عيسى عليه السلام من العدل بين الناس.

(٥) المقصود أن رغبات الناس تقل في اقتناء المال؛ لقصر أعمالهم وعلمهم بقرب وقوع الساعة، وتكثر رغبتهم في طاعة الله عز وجل.

(٦) متفق عليه.

(٧) انظر: صحيح البخاري مع فتح الباري (٣٠٢/٧)، وصحيح مسلم بشرح النووي (١٨٩/٢)، وصحيح الترمذي (٧٦/٩)، وسنن ابن ماجه المجلد الثاني كتاب الفتن، والفتح الرباني (١٤٣/٢).

شرعنا، ولا في هذه الأحاديث ولا في غيرها شيء من هذا؛ بل صحت هذه الأحاديث أنه ينـــزل يحكم بشرعنا، ويحيي من أمور شرعنا ما هجره الناس"[1].

هـ - ظهور يأجوج ومأجوج:

وقد ورد ذكر هذه العلامة في القــرآن الكريم، قــال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴾ [الكهف:٩٢-٩٨][2]، وقال ﷻ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٧٥/١٨، ٧٦).

(٢) قال سيد قطب رحمه الله في تفسيره هذه الآيات: "ونحن لا نستطيع أن نجزم بشيء عن المكان الـــذي بلغ إليه ذو القرنين ﴿ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ ﴾ ولا ما هما هذان السدان، كل ما يؤخذ من النص أنه وصل إلى منطقة بين حاجزين طبيعيين، أو بين سدين صناعيين تفصلهما فجوة أو ممر، فوجد هناك قومًا متخلفين ﴿ لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴾ وعندما وجدوه قويًا وتوسموا فيه القدرة والصلاح عرضوا عليه أن يقيم لهم سدًا في وجه يأجوج ومأجوج الذين يهاجمونهم من وراء الحاجزين، ويغيرون عليهم من ذلك الممر، فيعيثون في أرضهم فسادًا، ولا يقدرون على دفعهم وصدهم، وذلك في مقابل خراج من المال يجمعونه له من بينهم، وتبعًا للمنهج الصالح الذي أعلنه ذلك الحاكم الصالح من مقاومة الفساد في الأرض، فقد رد عليهم عرضهم الذي عرضوه من المال وتطوع بإقامة السد، ورأى أن أيسر طريق لإقامته هي ردم الممر بين الحاجزين الطبيعيين، فطلب إلى أولئك القوم المتخلفين أن يعينوه بقوتهم المادية والعضلية ﴿ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾، فجمعوا له قطع الحديد وكوموها في الفتحة بين الحاجزين، فأصبحا كأنهما صدفتان تغلفان ذلك الكوم بينهما ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ ﴾ وأصبح الركام بمساواة القمتين ﴿ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ﴾ على النار لتسخين الحديد ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا ﴾ كله لشدة توهجه واحمراره ﴿ قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ أي نحاسًا مذابًا يتخلل الحديد ويختلط به فيزيده

كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء:٩٦، ٩٧].

ومما ورد في ذكرهم من الأحاديث الصحيحة ما أخرجه الشيخان عن زينب بنت جحش رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ دخل عليها يومًا فزعًا يقول: "**ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه**" وحلّق بأصبعيه: الإبهام والتي تليها، قالت زينب بنت جحش: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: "**نعم، إذا كثر الخبث**"(١).

ومنها ما أخرجه الإمام مسلم وغيره من حديث النواس بن سمعان الذي تقدم ذكره وفيه خبر الدجال ونزول عيسى، وذكر يأجوج ومأجوج، حيث قال رسول الله ﷺ: "**ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء**"(٢).

وهناك أحاديث صحيحة أخرى ذكرت يأجوج ومأجوج، ومجموع النصوص

صلابة، وقد استخدمت هذه الطريقة حديثًا في تقوية الحديد، فوجد أن إضافة نسبة من النحاس إليه تضاعف مقاومته وصلابته، وكان هذا الذي هدى الله إليه ذا القرنين، وسجله في كتابه الخالد سبقًا للعلم البشري الحديث بقرون لا يعلم عددها إلا الله، بذلك التحم الحاجزين وأغلق الطريق على يأجوج ومأجوج ﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ ﴾ يتسوروه ﴿ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴾ فينفذوا منه، وتعذر عليهم أن يهاجموا أولئك القوم الضعاف المتخلفين فأمنوا واطمأنوا، ونظر ذو القرنين إلى العمل الفخم الذي قام به فلم يأخذه البصر والغرور، ولم تسكره نشوة القوة والعلم ولكنه ذكر الله فشكره، ورد إليه العمل الصالح الذي وفقه إليه، وتبرأ من قوته إلى قوة الله، وأعلن ما يؤمن به من أن الجبال والحواجز والسدود ستدك قبل يوم القيامة، فتعود الأرض سطحًا أجرد مستويًا"، ثم قال رحمه الله: "وبعد، فمن يأجوج ومأجوج؟ وأين هم الآن؟ وماذا كان من أمرهم؟ وماذا سيكون؟ كل هذه أسئلة تصعب الإجابة عليها على وجه التحقيق، فنحن لا نعرف عنهم إلا ما ورد في القرآن وفي بعض الأثر الصحيح، والقرآن يذكر في هذا الموضع ما حكاه عن قول ذي القرنين: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴾. انظر: في ظلال القرآن (٥/٤١١-٤١٣).

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري (١٣/٩١) وما بعدها.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٨/٦٨).

الواردة بذكرهم يفيد العلم اليقيني بظهور هذه الأمة المفسدة في أواخر عمر هذه الدنيا، فكان لابد للمؤمن من تصديق ما ورد به القرآن والخبر الصحيح من أمرهم، وأما تحديد الزمن الذي تظهر فيه هذه الأمة، والتفصيلات المتعلقة بأشكالهم وأوصافهم، ومكان وجودهم قبل ظهورهم... فكل هذا من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله تعالى.

٤- بداية اليوم الآخر:

ويجب أن نؤمن بعد ذلك بما أخبر به الله ﷻ في كتابه الكريم -ولا سيما في سورتي التكوير والانفطار- بكل ما يحدث في آخر يوم من أيام الدنيا وبدء اليوم الآخر، فإن مجموع الآيات الكريمة تدل على أن اليوم الآخر يبدأ بإحداث تغيير عام في هذا الكون فتنشق السماء، وتتناثر النجوم، وتتصادم الكواكب، وتتفتت الأرض وتغدو صعيدًا جرزًا، وتصبح الجبال كثيبًا مهيلاً، ويخرب كل شيء، ويدمر كل ما عرفه الناس في هذا الوجود، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم:٤٨]، ويكون هذا على إثر النفخة الأولى، ينفخها إسرافيل بأمر ربه فيصعق كل من في السماوات ومن في الأرض إلا ما شاء الله تعالى[1]، قال ﷻ: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر:٦٨]، وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ۝ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾ [الحاقة:١٣-١٦]، وروى أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: "يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟"[2].

---

(١) انظر: صحيح البخاري مع فتح الباري (٣١٣/١١).

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري (٣١٣/١١).

٥- البعث:

ونؤمن بعدها أن الله سبحانه يأمر بالنفخة الثانية[1]، فتعود الحياة على إثرها إلى الأموات، وهذا هو يوم البعث وهو إعادة الإنسان روحًا وجسدًا كما كان في الدنيا، ثم يخرج الله الناس من الأجداث أحياء فيقول الكفار والمنافقون حينئذ: ﴿ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَا ﴾، ويقول المؤمنون: ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾ [يس:٥٢]، وقد ورد في الأحاديث الصحيحة أن محمدًا ﷺ هو أول من يخرج من قبره، فقد قال ﷺ: **"يصعق الناس حين يصعقون فأكون أول من قام، فإذا موسى آخذ بالعرش، فما أدري أكان فيمن صعق"**[2].

٦- الحشـــر:

ونؤمن أنه يكون الحشر بعد بعث الخلائق وإخراجهم مـــن قبورهم، قـــال تعالى: ﴿ يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ۝ وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ﴾ [مريم: ٨٥، ٨٦].

والحشر هو سوقهم جميعًا إلى الموقف، وهو المكان الذي يقفون فيه انتظارًا لفصل القضاء بينهم، فبعد بعث الناس بأمر الله ملائكته فتسوقهم إلى المواقف، وحالهم كما خلقوا أول مرة، حفاة غير منتعلين، عراة غير مكتسين، غرلاً غير مختنين، فقد صح عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: **يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً**، قلت: يا رسول الله، ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال ﷺ: يا

---

(١) أشار الله سبحانه إلى النفخة الأولى والثانية في قوله ﷻ: ﴿ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴾، فالراجفة هي النفخة الأولى، والرادفة هي الثانية، هكذا ورد من تفسير ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: صحيح البخاري وفتح الباري (١/ ٣١٠، ٣١١).

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري (١١/٣١٢).

عائشة، الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض"[1].

وروى ابن عباس رضي الله عنهما قال: "خطب رسول الله ﷺ فقال: "يا أيها الناس، إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً"، ثم قال: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٤]، ثم قال: "ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم، ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح[2]: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة:١١٧]، فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم"[3].

وفي الموقف يصيب الخلائق كرب شديد، فقد روى المقداد بن الأسود ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: "تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل[4]، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا"، وأشار ﷺ بيده إلى فيه[5]، وفي أثناء ذلك يكون أناس في ظل الله ﷻ كما أخبر المصطفى ﷺ، فعن أبي هريرة ﷺ وأبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٧/١٩٢، ١٩٣)، وصحيح البخاري مع فتح الباري (١١/٣٢٥).

(٢) أي عيسى عليه السلام.

(٣) انظر: صحيح البخاري مع فتح الباري (٨/٢٣٠)، (١١/٣٢٢).

(٤) قال سليم بن عامر -راوي الحديث عن المقداد-: فوالله ما أدري ما يعني بالميل، أمسافة أرض أم الميل الذي يكتحل به العين. صحيح مسلم بشرح النووي (١٧/١٩٦).

(٥) المرجع السابق.

الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه"[1].

فإذا اشتد الأمر بالناس وعظم الكرب في هذا الموقف العظيم، استشفعوا إلى الله ﷻ بالرسل والأنبياء أن ينقذهم مما هم فيه، ويعجل لهم فصل القضاء، وكل رسول يحيلهم على من بعده، حتى يأتوا نبينا محمدًا ﷺ، فيشفع فيهم ويقبل الباري شفاعته[2]، فينصرف الناس إلى فصل القضاء.

٧- جزاء الأعمال:

ونؤمن بجزاء الأعمال في اليوم الآخر، فيجزى العباد ويجازون على كل ما كسبوه في الحياة الدنيا من خير أو شر، قال ﷻ: ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور:٢٥]، والدين هو الجزاء، فيقال: كما تدين تُدان: أي كما تجازي تجازَى[3]، وقال سبحانه: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [القصص:٨٤]، وقال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ: "يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها

---

(١) انظر: صحيح البخاري بحاشية السندي (١/١٧٠)، وصحيح مسلم بشرح النووي (١٧/١٢٠-١٢٢) واللفظ له، والسنن الكبرى (١٠/٨٧)، وسنن النسائي (٨/٢٢٢، ٢٢٣).

(٢) وهذه هي الشفاعة العظمى الخاصة بنبينا محمد ﷺ من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وهي متفق عليها بين الأمة؛ لأنها ثبتت بالأحاديث الصحيحة، وهي من المقام المحمود الذي وعد به النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء:٧٩]، انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص٢٥٢، ٢٥٣، وأحاديث الشفاعة في صحيح مسلم بشرح النووي (٣/٥٤-٧٧)، وشرح العقيدة الواسطية ص١٢٨، والعقائد الإسلامية لسيد سابق ص٢٧٤.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص٤٦٥.

لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه"[1].

٨- العرض والحساب:

ونؤمن أن الجزاء يكون بعد محاكمة عادلة، يعرض فيها الناس على ربهم، وتقام فيها الحجج عليهم ولهم، ويطلعون على أعمالهم، ويقرؤون صحفهم، فيجب أن نؤمن بالعرض والحساب وقراءة الكتب، فجميعها حق، ودل عليها الكتاب والسنة وإجماع علماء المسلمين.

فأما العرض، فدليله قوله تعالى: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۝ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ۝ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ [الحاقة:١٥-١٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ﴾ [الكهف:٤٨].

فيجب على كل مسلم أن يؤمن بأن كل عبد يعرض على ربه، فيتولى سبحانه حسابه بنفسه وبدون وساطة، عن عدي بن حاتم ﷺ أن النبي ﷺ قال: "**ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة، ليس بينه وبينه ترجمان، ثم ينظر فلا يرى شيئًا قدامه، ثم ينظر بين يديه فتستقبله النار، فمن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بشق تمرة**"[2].

ويدخل في معنى العرض إبراز الأعمال وإظهارها، فيعرف صاحبها بذنوبه، فإن كان من أهل النجاة -وهو الذي يؤتى كتابه بيمينه- تجاوز الله عن ذنوبه ولم يناقشه الحساب، وأدخله الجنة، ولم يعذبه بالنار، وأما من كثرت معاصيه وأوتي كتابه وراء

(١) من حديث قدسي طويل رواه مسلم. انظر: رياض الصالحين ص٦٢، ٦٣.

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري (١١/٣٤٠).

ظهره، فذلك يناقش الحساب، ويسأل عن كل صغيرة وكبيرة، فقد حدثت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: "**ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك**"، فقالت رضي الله عنها: يا رسول الله، أليس قد قال الله: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [الانشقاق:٧، ٨]؟ فقال رسول الله: "**إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذّب**"[١]، والمراد بالمناقشة الاستقصاء في المحاسبة، والمطالبة بالجليل والحقير وترك المسامحة[٢].

وأما أخذ العباد صحائف أعمالهم يوم القيامة وقراءتهم لها، فحق يجب الإيمان به ومن أنكره كفر، قال تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء:١٣، ١٤]، ويجب علينا أن نؤمن بما جاء في قوله تعالى عن هذا الأمر، حيث قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴾ [الانشقاق:٦-١٥].

والمراد بهذه الصحف التي يقرؤها العباد الكتب التي كتبت فيها الملائكة ما فعلوه في الحياة الدنيا[٣]، فقد عرفت أن من أركان الإيمان التصديق بما أخبر به الله سبحانه عن ملائكته وأعمالهم، والإيمان بهم يكون بتصديق كل ما أخبر عنهم ربهم إجمالاً

(١) صحيح البخاري (١١/١٣٨).

(٢) فتح الباري (١١/٣٣٧).

(٣) شرح البيجوري على جوهرة التوحيد ص٢١٢.

وتفصيلاً، وأنه يجب علينا أن نؤمن بأن الله ﷻ وكّل بنا من ملائكته من يحفظنا، ويكتب أعمالنا وأقوالنا، وهم الحافظون الكرام الكاتبون، الذين قال عنهم ﷻ: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الانفطار:١٠-١٢]، وقال أيضًا: ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية:٢٩]، فما يستنسخه هؤلاء الكرام يقرؤه العباد يوم القيامة.

وأما الحساب فالمراد به توقيف الله تعالى العباد قبل الانصراف من المحشر على أعمالهم وأقوالهم واعتقاداتهم، خيرًا كانت أو شرًّا، وذلك بعد أخذهم صحائفهم فيعرفون على أعمالهم وما لهم وما عليهم، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام:١٠٨].

ثم إن الناس في الحساب متفاوتون، فمنهم من يحاسب حسابًا يسيرًا، فيعرض عليه عمله، فيطلعه الله على سيئاته بحيث لا يطلع عليها أحد، ثم يعفو عنه ويأمر به إلى الجنة.

ومنهم من يناقش الحساب بأن يسأل عن كل جزئية، ويطالب بالعذر والحجة فلا يقبل منه عذر ولا حجة فيهلك مع الهالكين، ويأمر الله تعالى مناديًا ينادي عليه بسيئات أعماله، فيفتضح بين الخلائق، فعلى المؤمن أن يحاسب نفسه قبل أن يحاسب، ويبادر بالأعمال الصالحة قبل الأوان، ويؤمن بالحساب ويستعد له، فقد قال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال رسول الله ﷺ: **"لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه؟ وعن علمه فيم فعل فيه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وعن جسمه فيم أبلاه؟"**(١).

(١) أخرجه الترمذي وقال عنه: حديث حسن صحيح. انظر صحيح الترمذي بشرح ابن العربي (٩/٢٥٣).

وقد دلت الأحاديث الصحيحة أن قومًا من أمة محمد ﷺ يتفضل عليهم ربهم ويستثنيهم من هذا الحساب، ويدخلهم الجنة من غير حساب ولا عذاب، فقد روى الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: **"يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفًا بغير حساب"**[1].

وأما كيفية الحساب فنؤمن بما ورد في القرآن عنها، وفي حديث رسول الله ﷺ، ولا نزيد ولا ننقص، ولا نسأل عن أكثر مما ورد، فنؤمن أن الله سبحانه يذكر كل عبد بما قدمه في الحياة الدنيا من خير أو شر، ويشهد على العباد جميع من يستشهدهم الله عليهم[2]، فتشهد الأرض بما حدث على ظهرها، كما قال ﷻ: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة:١-٨]، فقد ورد عن أبي هريرة ﷺ قال: "قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ فقال: **"أتدرون ما أخبارها؟"** قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: **"فإن أخبارها أن تشهد على عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، أن تقول: عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا"**، قال: **فهذه أخبارها**[3].

ونؤمن أيضًا بأنه يكون في هذا الحساب شهادة الأعضاء من ألسنة وأيد وأرجل وجلود وغيرها على كل ما فعله العبد، وبما أخبر الله تعالى من تحاور أعداء الله مع هذه الشهود، قال ﷻ: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝١٩ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٣/ ٨٨).

(٢) قال محمود حطاب السبكي: "واعلم أن الله سبحانه يشهد على العاصي أحد عشر شاهدًا و اليوم المشهود: اللسان، والأيدي، والأرجل، والسمع، والبصر، والجلد، والأرض، والليل، والنهار، والحفظة الكرام، والمال"، ثم ساق على ذلك عددًا من الآيات والأحاديث. انظر: الدين الخالص (١/ ١٠٥) وما بعدها.

(٣) رواه الترمذي، وقال: حسن غريب. انظر صحيح الترمذي بشرح ابن العربي (٩/ ٢٦٠).

جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [فصلت: ١٩-٢٢].

ونؤمن أيضًا بما أخبرنا به رسول الله ﷺ من رحمة الله ﷻ بعباده المؤمنين عند الحساب دون الكافرين، فيخلو سبحانه بعبده المؤمن، ويقرره بذنوبه، ويستر عليه، ولا يناقشه الحساب، فقد ورد أنه قيل لابن عمر رضي الله عنهما: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى -أي مناجاة الله لعبده المؤمن في الآخرة-؟ قال: سمعته يقول: "**يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول: أعملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، ويقول: أعملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم. فيقرره، ثم يقول: إني سترت عليك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم، ثم يعطى صحيفة حسناته، وأما الكفار فينادى على رؤوس الأشهاد: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾** [هود:١٨]"[(١)].

٩- الحـــوض:

ويجب علينا أن نؤمن بما أخبر به المصطفى ﷺ على الحوض الذي تفضل الله به عليه وعلى أمته، فإن الأحاديث الواردة في ذلك تبلغ حد التواتر رواها من الصحابة أكثر من ثلاثين صحابيًّا[(٢)].

---

(١) متفق عليه، انظر: صحيح البخاري مع فتح الباري (١٣/٤٠٧، ٤٠٨).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص٢٥٠، وشرح النووي على صحيح مسلم (١٥/٥٣)، وشرح العقيدة الواسطية ص١١٥، وشرح البيجوري على الجوهرة ص٢٢٣، والدين الخالص (١/١١١).

ويكون أول من يرده نبينا محمد ﷺ، ثم ترده بعده أمته، ويطرد عنه الكفار وطائفة من العصاة وأهل الكبائر[1]، وذلك بعد الانتهاء من الموقف بما فيه من أهوال وعرض وحساب وقراءة الصحف وغيرها، قال رسول الله ﷺ: "**أنا فرطكم[2] على الحوض، من ورد شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدًا، وليردن أقوام أعرفهم ويعرفونني، ثم يحال بيني وبينهم**"، فيقول ﷺ: "**إنهم أمتي، فيقال: إنك لا تدري ما عملوا بعدك، فأقول: سحقًا سحقًا لمن بدل بعدي**"[3]، وعن عقبة بن عامر ﷺ أن رسول الله ﷺ خرج يومًا فصلى على أهل أحد صلاته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر فقال: "**إني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف أن تتنافسوا فيها**"[4].

وأخرج البخاري ومسلم عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "**إني على الحوض حتى أنظر من يرد علي منكم، وسيؤخذ أناس دوني فأقول: يا رب مني ومن أمتي، فيقال: أما شعرت ما عملوا بعدك؟ والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم**"[5].

هذا ونؤمن بما ورد في صفته على لسان رسول الله ﷺ، ونحمله على ظاهره، لا نزيد

---

(١) الدين الخالص (١/١١١).

(٢) الفرط هو من يتقدم الواردة ليرتاد لهم الماء، ويهيئ لهم الأرشية والدلاء، والمعنى: أنا متقدمكم وسابقكم إلى الحوض.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/٥٣، ٥٤).

(٤) متفق عليه، انظر: صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد، وصحيح مسلم بشرح النووي (١٥/٥٧).

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/٥٥).

عليه ولا ننقص منه، قال شارح العقيدة الطحاوية: "والذي يتلخص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض: أنه حوض عظيم، ومورد كريم، يمد من شراب الجنة من نهر الكوثر، الذي هو أشد بياضًا من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحًا من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، وفي بعض الأحاديث: أنه كلما شرب منه وهو في زيادة واتساع.. فسبحان الخالق الذي لا يعجزه شيء"[1].

ومن الأحاديث الواردة في صفة الحوض ما أخرجه البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال: "قال النبي ﷺ: **حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه[2] كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبدًا**"[3].

والأحاديث الصحيحة الواردة في ذكر حوض نبينا ﷺ كثيرة، بلغت حد التواتر، وتصديقها من الإيمان، قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: "أحاديث الحوض صحيحة، والإيمان به فرض، والتصديق به من الإيمان، وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة، لا يتأول ولا يختلف فيه... وحديثه متواتر النقل، رواه خلائق من الصحابة فذكره مسلم من رواية ابن عمرو بن العاص، وعائشة، وأم سلمة، وعقبة بن عامر، وابن مسعود، وحذيفة، وحارثة بن وهب، وأبي ذر، وثوبان، وأنس، وجابر بن سمرة، رواه غير مسلم من رواية أبي بكر الصديق، وزيد بن أرقم، وأبي أمامة، وعبد الله بن زيد، وأبي برزة، وسويد بن جبلة، وعبد الله بن الصنابحي، والبراء بن عازب، وأسماء بنت أبي

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص٢٥١.

(٢) أي آنيته أو أباريقه.

(٣) صحيح البخاري مع فتح الباري (١١/٣٩٦-٣٩٨)، وهو في صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/٥٥).

بكر، وخولة بنت قيس ﷺ، وغيرهم، وفي بعض هذا ما يقتضي كون الحديث متواترًا"[1].

هذا وقد ورد في بعض الأحاديث الصحيحة أن لكل نبي حوضًا، وأن حوض نبينا ﷺ أعظمها وأحلاها وأكثرها واردًا[2].

١٠- الميـــزان:

ويجب علينا أن نؤمن بما أخبر به الله ﷻ ورسوله ﷺ من أن أعمال العباد خيرها وشرها، توزن يوم القيامة بميزان، إظهارًا لعدل الله فقد قال ﷻ: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء:٤٧]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف:٨، ٩]، وقال أيضًا: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾ [القارعة:٦-٩].

وتدل الأخبار على أنه ميزان حقيقي له كفتان، وأن الله سبحانه يحول أعمال العباد إلى أجسام لها ثقل، فتوضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة[3]، وفي ذلك قال ابن القيم في قصيدته المشهورة:

---

(١) نقله عن القاضي عياض النووي في شرحه على صحيح مسلم (١٥/٥٣).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص١٥١، وشرح البيجوري على الجوهرة ص٢٢٣، والدين الخالص (١/١١١).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص٤٧٢، وشرح العقيدة الواسطية ص١٢٣، والدين الخالص (١/١٠٧).

أفما تصدق أن أعمـــال العباد تحط يوم العرض في الميـــزان

وكذلك تثقل تارة وتخفق أخرى ذاك في القـــرآن ذو تبيـــان

ولـــه لســـان كفتـــان تقيمـــه والكفتـــان إليـــه ناظـــرتان

مـــا ذاك أمـــرًا معنـــويًّا بل هو المحسوس حقًّا عند ذي الإيمان[1]

هذا ويكون وزن الأعمال بعد إتمام الحساب؛ لأن الوزن للجزاء فيكون بعد المحاسبة التي هي تقرير الأعمال الحادثة، فيكون الوزن لإظهار مقاديرها، ليكون الجزاء بحسبها[2]، ولكن لا يكون وزن في حق الأنبياء والملائكة، ومن استثناهم الله من الحساب"[3].

١١- الصـــراط:

ونؤمن أنه يكون بعد الحساب والميزان انصراف الناس من الموقف، ليمروا فوق الجسر المنصوب على جهنم، وهو الصراط.

والمرور على الصراط عام لجميع الناس؛ الأنبياء، والصديقين، والمؤمنين، والكفار، ومن يحاسب ومن لا يحاسب، ومن استقام على صراط الله الذي هو دين الحق في الدنيا، استقام على هذا الصراط[4] في الآخرة، وقد ورد في بعض الأحاديث الصحيحة أن الناس يمرون عليه وتكون سهولة ذلك عليهم بقدر أعمالهم في الدنيا، فمنهم من يمر كانقضاض الكواكب، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر

(١) انظر قصيدة ابن القيم مع شرحها (٢/٥٩٣).

(٢) نقل ذلك عن القرطبي شارح العقيدة الطحاوية ص٤٧٢.

(٣) شرح البيجوري على الجوهرة ص٢١٥.

(٤) أصل الصراط الطريق، ويلفظ بالسين أيضًا، واشتقاقه من سرط أي ابتلع، وقيل: سمي بذلك لأنه يسترط السابلة (المارة)، أي يبتلعهم، انظر: المصباح المنير.

يرمل رملاً، فيمرون على قدر أعمالهم، حتى يمر المقل في العمل الصالح تخرّ يد، وتعلق يد، وتخر رجل، وتعلق رجل، وتصيب جوانبه النار، فإذا خلصوا قالوا: الحمد لله الذي نجانا منك بعد أن أراناك، لقد أعطانا الله ما لم يعط أحداً[1].

هذا وقد ورد في ذكر الصراط جملة أحاديث صحيحة، نذكر منها هذا الحديث الذي أخرجه الشيخان عن أبي هريرة ﷺ، فقد أخبر أن ناسًا قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: "**هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟**" قالوا: لا يا رسول الله، قال: "**فإنكم ترونه كذلك، يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت[2] الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها[3] فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك[4]، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه، ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز، ولا يتكلم يومئذ إلا**

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص٤٧٠، وشرح العقيدة الواسطية ص١٢٦.

(٢) قال أهل اللغة: الطاغوت كل ما عبد من دون الله تعالى. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/٣).

(٣) قال العلماء: إنما بقوا في زمرة المؤمنين؛ لأنهم كانوا في الدنيا متسترين بهم فيسترون بهم أيضًا في الآخرة ويسلكون مسلكهم، ويدخلون في جملتهم ويتبعونهم ويمشون في نورهم حتى يضرب الله بينهم بسور، ويذهب عنهم نور المؤمنين، حتى يكون مقرهم الدرك الأسفل من النار. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٣/ ١٩).

(٤) قال القرطبي في تأويل ذلك: هو مقام هائل يمتحن الله به عباده ليميز الخبيث من الطيب، وذلك أنه لما بقي المنافقون مختلطين بالمؤمنين، راعهم أنهم منهم، ظانين أن ذلك يجوز في ذلك الوقت، كما جاز ذلك في الدنيا، امتحنهم الله بأن أتاهم بصورة هائلة قالت للجميع: أنا ربكم، فأجابه المؤمنون بإنكار ذلك لما سبق لهم من معرفته سبحانه وأنه منزه عن صفات هذه الصورة، فلهذا قالوا: نعوذ بالله منك، لا نشرك بالله شيئًا. نقل هذا عن القرطبي ابن حجر في فتح الباري (١١/ ٣٨٠، ٣٨١).

الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلِّم سلِّم، وفي جهنم[1] كلاليب[2] مثل شوك السعدان[3]، هل رأيتم السعدان؟"، قالوا: نعم يا رسول الله، قال: "فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم[4]، فمنهم المؤمن بقي بعمله[5]، ومنهم المجازى حتى ينجو"[6].

هذا والمرور على الصراط هو الورود المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم:٧١]، إنه لا ينجو منه أحد -كما تقدم-، فقد روى الإمام مسلم أن رسول الله ﷺ قال: "لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها"، فقالت حفصة رضي الله عنها: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾، فقال النبي ﷺ: "قد قال الله ﷻ: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم:٧٢]"[7]، فأشار ﷺ إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها[8]، فالجميع يمرون من فوق جهنم فوق الصراط وينجي الله المؤمنين ويذر الظالمين فيها جثيًّا، ثم إذا عبر المؤمنون الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص بعضهم لبعض، فإذا هذبوا أذن لهم في دخول الجنة، روى أبو سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: "يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم

---

(١) لفظ البخاري "وبه" أي في الجسر المنصوب على جهنم.

(٢) جمع كَلُّوب بفتح الكاف وضم اللام المشددة، وهو حديدة معوجة الرأس.

(٣) نبت له شوكة عظيمة من كل الجوانب.

(٤) يجوز أن يكون المعنى تخطفهم بسبب أعمالهم، ويجوز أن يكون معناه: تخطفهم على قدر أعمالهم. شرح النووي على صحيح مسلم (٣/٢١).

(٥) لفظ البخاري: "فمنهم الموبق بعمله، ومنهم المخردل" أي المقطع أو المصروع.

(٦) جزء من حديث أخرجه الشيخان، واللفظ لمسلم. انظر: صحيح البخاري (١١/٣٦٧)، وصحيح مسلم بشرح النووي (٣/١٧).

(٧) أخرجه مسلم. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/٥٧).

(٨) شرح العقيدة الطحاوية ص٤٧١.

من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنـــزله في الجنة منه بمنـــزله كان في الدنيا"[1].

١٢- الجنـــة والنـــار:

وبعد ذلك كله نؤمن بوجود الجنة والنار، وأنهما مخلوقتان من مخلوقات الله ﷻ، أعدهما الله للثواب والعقاب، وأنه ﷻ خلقهما قبل الخلق، وأنهم موجودتان الآن وأنهما باقيتان ولا تبيدان، قال تعالى عن النار: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم:٦]، وقال أيضًا: ﴿ يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ﴾ [ق:٣٠]، وقال ﷻ مخبرًا عن بعض ما فيها: ﴿ أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ۝ إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ ۝ إِنَّهَا شَجَرَةٞ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ۝ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝ فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّ لَهُمۡ عَلَيۡهَا لَشَوۡبٗا مِّنۡ حَمِيمٖ ﴾ [الصافات:٦٢-٦٧]، وقال رسول الله ﷺ في وصف النار: "ناركم جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم"، قيل: يا رسول الله، إن كانت لكافية، قال: "فضلت عليهن بتسعة وستين جزءًا كلهن مثل حرها"[2]، وقال ﷺ في وصف أخف العذاب في النار: "إن أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة لرجل توضع في أخمص قدميه جمرة يغلي منها دماغه"[3].

وأما الجنة فقد أكثر الله سبحانه من ذكر نعيمها في كتابه الكريم، من ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ۝ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ۝ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري (٣٣٦/١١).

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري (٢٥٦/٦، ٢٥٧)، والموطأ ص٦١٤.

(٣) صحيح البخاري مع فتح الباري (٣٦١/١١).

وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [الدخان:٥١-٥٧]، وقال أيضًا: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [ق:٣١-٣٥]، وقال أيضًا: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾ [الطور:١٧-٢٤]، وقال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن رب العزة تبارك وتعالى في وصف نعيم الجنة: "**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرأوا إن شئتم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾**" [السجدة:١٧] [1].

كذلك نؤمن بما يكون من تحاور وتخاطب بين أهل الجنة وأهل النار، فانظر إلى هذا المشهد في سورة الأعراف: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴾ [الأعراف:٤٤، ٤٥]، ثم قال ﷻ: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري (٦/٢٤٧).

أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٠].

وأما خلود الجنة والنار وخلود المؤمنين في الأولى والكافرين في الثانية، فقد تكرر ذكره والتأكيد عليه في معظم المواقع التي ذكرت فيها الجنة والنار في كتاب الله ﷻ، وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ: "**إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح، ثم ينادي مناد: يا أهل الجنة لا موت، يا أهل النار لاموت، فيزداد أهل الجنة فرحًا إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزنًا إلى حزنهم**"[1].

* * *

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري (١١: ٣٥١).

الفصل الثاني
الإيمان بالقضاء والقدر

الإيمان بالقدر أحد أركان العقيدة الإسلامية، وهو الركن السادس للإيمان، فمن كفر بقدر الله خرج من دين الله ﷻ.

وقد تقدم حديث عمر ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال -عندما سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان-: "**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**"[1].

تعريف القضاء والقدر:

اختلفت عبارات العلماء في تعريف القضاء والقدر، فمنهم من جعلهما شيئًا واحدًا، ومنهم من عرف القضاء تعريفًا مغايرًا للقدر، فقال:

القدر: علم الله تعالى بما تكون عليه المخلوقات في المستقبل[2].

والقضاء: إيجاد الله تعالى الأشياء حسب علمه وإرادته.

وقد عكس بعضهم، فجعل تعريف القضاء السابق للقدر، وتعريف القدر للقضاء، والأمر محتمل[3].

ومن عرفهما تعريفًا واحدًا قال: "هو النظام المحكم الذي وضعه الله لهذا الوجود والقوانين العامة، والسنن التي ربط بها الأسباب بمسبباتها"[4]، وهذا المعنى هو ما وردت به

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) تبسيط العقائد الإسلامية لحسن أيوب ص٧٧.

(٣) كبرى اليقينيات الكونية ص١٤٧.

(٤) العقائد الإسلامية لسيد سابق ص ٩٥.

آيات القرآن التي ذكرت القدر، مثل قوله تعالى: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴾ [الرعد:٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الحجر:٢١]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر:٤٩].

وما أجمل جواب الإمام أحمد عندما سئل عن القدر فقال: القدر قدرة الرحمن، يقول ابن القيم رحمه الله في قصيدته الكافية الشافية[1]:

فحقيقة القدر الذي حار الورى ... في شأنه هو قدرة الرحمـــن

واستحسن ابن عقيل ذا عن أحمد ... لما حكاه عن الرضى الرباني

والحق أن تعريف أحمد رحمه الله تعالى قد كفى وشفى، فالقدر يعني مـــا قرره الله ﷻ في قـــوله: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [آل عمران:١٥٤]، وفي قوله: ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ ﴾ [هود:١٢٣]، وفي قوله: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [يس:٨٣]، وقوله: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ﴾ [يونس:٣]، وغير ذلك من الآيات التي تدل على أنه لا يحدث شيء في الكون إلا بإرادة الله ومشيئته.

وعقيدة القدر مبنية في حقيقتها على الإيمان بصفات الله العلى وأسمائه الحسنى، ومنها العلم والقدرة والإرادة، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٩]، وقال: ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الحديد:٢]، وقال: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [البروج:١٦].

قال الطحاوي: "وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنفذ، لا مشيئة العباد إلا ما شاء الله، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره"[2].

(١) شرح قصيدة ابن القيم (١/٢٥٤).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص١٥٣.

معنى الإيمان بالقدر:

ويجب على كل مسلم أن يؤمن بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، ويقصد بالإيمان بالقدر الإيمان بعلم الله القديم، والإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، وفي بيان ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الإيمان بالقدر على درجتين، كل درجة تتضمن شيئين:

الدرجة الأولى:

الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون، بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلاً، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال، ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق، فأول ما خلق الله القلم، قال له: اكتب، قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، جفت الأقلام وطويت الصحف، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:٧٠]، وقال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد:٢٢].

وأما **الدرجة الثانية:**

فهي الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السماوات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه، لا يكون في ملكه ما لا يريد، وأنه سبحانه على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات، فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه لا خالق غيره، ولا رب سواه، ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله، ونهاهم عن معصيته، وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسطين، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ولا يحب

الكافرين، ولا يرضى عن القوم الفاسقين، ولا يأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد، والعباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم، والعبد هو المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمصلي والصائم، وللعباد قدرة على أعمالهم، ولهم إرادة والله خالق قدرهم وإرادتهم"[1].

فيتحصل من كلام ابن تيمية رحمه الله أن الإيمان بالقدر يشتمل على أربع مراتب هي:

الأولى: الإيمان بعلم الله القديم، وأنه علم أعمال العباد قبل أن يعملوها.

الثانية: كتابة ذلك في اللوح المحفوظ.

الثالثة: مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة.

الرابعة: إيجاد الله لكل المخلوقات، وأنه الخالق وكل ما سواه مخلوق.

هذا وإن تقسيم القدر الذي يجب الإيمان به إلى خير وشر، إنما هو بإضافته إلى الناس والمخلوقات، أما بالنسبة لله ﷻ فالقدر خير كله، والشر لا ينسب إلى الله[2]، فعلم الله ومشيئته وكتابته وخلقه للأشياء والحوادث، هذا كله حكمة وعدل ورحمة وخير، فإن الشر لا يدخل في شيء من صفات الله تعالى ولا أفعاله، ولا يلحق ذاته تبارك وتعالى نقص ولا شر، فله الكمال المطلق واجلال التام[3]؛ ولذلك لا يجوز إضافة الشر إلى الله مفردًا، وإنما يجوز أن يدخل الشر في العموم، كقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ [الزمر:٦٢]، ويجوز أن يضاف إلى السبب كقوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ [الفلق:١، ٢]، ويجوز أن يذكر بحذف فاعله، كقوله تعالى فيما حكاه عن الجن: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ﴾ [الجن:١٠].

---

(١) انظر: الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية ص٣٥٢، ٣٥٣.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٨/٩٤، ٩٥)، وشرح العقيدة الطحاوية ص٢٨٢، والروضة الندية ص٣٥٦.

(٣) انظر كتاب الخمسة والسبعة لابن تيمية ص١٩٠، وتيسير العزيز الحميد ص٦٢٥.

والحق أن الله تعالى لم يخلق شرًّا محضًا من جميع الوجوه، فإن حكمته سبحانه تأبى ذلك، فلا يمكن في جانبه تعالى أن يريد شيئًا يكون فسادًا من كل وجه، ولا مصلحة في خلقه بوجه ما، فإنه تعالى بيده الخير كله والشر ليس إليه؛ بل كل ما إليه فخير، والشر إنما حصل لعدم النسبة إليه، فلو نسب إليه لم يكن شرًّا، وهو من حيث نسبته إلى الله تعالى خلقًا ومشيئة ليس بشر[1].

فالمرض مثلاً شر ومصيبة بالنسبة للإنسان عاجلاً، ولكنه خير في الآجل، وخير بالنسبة لله ﷻ؛ لما يعلم ما يعقبه من مغفرة الذنوب وتطهير النفوس، وكذلك سجن أعداء الله للمؤمنين شر في ظاهره لما فيه من الآلام والمحن، ولكنه تمحيص للنفوس، وتطهير للصفوف، وتربية للأرواح، فضلاً عن الثواب الجزيل والخير العميم، وخلق إبليس فيه حكم كثيرة ظاهرة: كتوبة البشر بعد الزلل، واستخراج عبودية المؤمنين لله تعالى بجهاد إبليس وحزبه، والصبر على إغرائه وإغوائه، والالتجاء إلى حمى الله، واللياذ بركنه الركين[2].

---

(١) الدين الخالص (١/١٤٤)، والروضة الندية ص٣٥٦.

(٢) ذكر ابن قيم الجوزية حكمًا كثيرة مترتبة على خلق إبليس منها:

أ- أن تظهر للعباد قدرة الرب تعالى على خلق المتضادات المتقابلات، فخلق هذه الذات التي هي أخبث الذوات وسبب كل شر في مقابلة ذات جبريل عليه السلام التي هي من أشرف الذوات وأطهرها وأزكاها، وهي سبب كل خير، وظهرت قدرته سبحانه أيضًا في خلق الليل والنهار، والداء والدواء، والحياة والموت، والحسن والقبيح، وغير ذلك مما يدل على أعظم الدلالة كمال قدرته سبحانه.

ب- ظهور آثار أسماء الله القهرية، مثل: القهار، والمنتقم، والشديد العقاب، والسريع الحساب، ذي البطش الشديد، المعز، والمذل، فهذه الأسماء والأفعال لابد من وجود ما يتعلق به، ولو كان الجن والانس على طبيعة الملائكة لم يظهر أثر هذه الأسماء.

ج- ظهور آثار أسمائه المتضمنة لحلمه وعفوه ومغفرته وستره وتجاوزه عن حقه، وعتقه لمن شاء من عبيده، فلولا خلق الأسباب المفضية إلى ظهور آثار هذه الأسماء لتعطلت هذه الحكم والفوائد.

د- ظهور آثار أسماء الحكمة والخبرة، فهو يعز من يشاء ويذل من يشاء، وهو أعلم حيث يجعل رسالته، وأعلم بمن يصلح لقبولها ويشكر له جميل صنعه.

هـ- إظهار واستخراج العبوديات المتنوعة التي لولا خلق إبليس لما ظهرت، كالجهاد والموالاة والمحبة في الله والبغض في الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتوبة إلى الله والرجوع إليه، ومخالفة عدو الله والاستعاذة بالله منه، والاتعاظ والحذر من الغرور وغير ذلك. انظر: مدارج السالكين (٢/١٩٤).

وهكذا فإن كل ما كان شرًّا إنما هو أمر نسبي إضافي، فهو خير من جهة تعلق فعل الرب وتكوينه به، وشر بالنسبة إلى من هو شر في حقه، فله وجهان هو من أحدهما خير، وهو الوجه الذي نسب منه إلى الخالق ﷻ، خلقًا وتكوينًا ومشيئة؛ لما فيه من الحكمة البالغة التي استأثر بعلمها، واطلع من شاء من خلقه على ما شاء منها[1].

احتجاج الكفار بالقدر:

هذا وقد أراد المشركون أن يحتجوا بقدر الله ومشيئته على شركهم، وأنه لو لم يشأ لهم الشرك لما وقعوا فيه، فأبطل الله حجتهم ودحضها بقوله ﷻ: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنعام:١٤٨، ١٤٩]، فهذا هو جواب رب العزة لمن يحتج بقدرته سبحانه على معصيته، ولله الحجة البالغة، وجوابه سبحانه للمحتجين بالقدر واضح كل الوضوح؛ لقيامه على أمرين بدهيين مسلّمين لا يماري فيهما إلا من استحب العمى على الهدى فاستحق الهلاك، وهما:

الأول: أن الله ﷻ أذاق الكافرين الأول بأسه، وأنزل بهم عقابه، فلو لم يكونوا مختارين لما ارتكبوه من الجرائم والآثام والكفر والشرك لما عذبهم الله؛ لأنه عادل لا يظلم أحدًا.

والذي يحتج بقدر الله على الكفر والمعصية لا يعدو أحد اثنين:

فإما أن يكون مؤمنًا بوجود الله، وإما أن يكون منكرًا، فإذا كان الأول لزمه الاعتقاد بعدل

(١) الروضة الندية ص ٣٥٦.

الله وتنـــزيهه عن الظلم؛ لأن الظلم نقص لا يليق بالخالق؛ لأنه تجاوز الحد، والله سبحانه لا يعتريه نقص بحال من الأحوال، ولا شك في أن عقاب المكره على الفعل ظلم، والاحتجاج بقدر الله على معصيته مع ظهور عقابه سبحانه للعصاة فيه نسبة الظلم إليه، وهو أمر يتنافى مع الإيمان بالله ﷻ، وإن كان المحتج بالقدر منكرًا لله فإن احتجاجه بالقدر تناقض ومماحكة لا يستحق الجواب.

الثاني: أن المحتج بالقدر على كفره ومعصيته متقول على الله بغير علم، إذ كيف يصح للكافر أو العاصي أن يحتج بأن الله كتب عليه الكفر أو المعصية قبل صدور ذلك منه، وقدر الله وقوعه غيب لا يعلمه إلا الله ﷻ، مع أنه مخاطب قبل إقدامه على عصيان ربه بطاعته والتزام أمره؟ وبعبارة أقرب: كيف يصح لرجل أن يقول: كتب عليّ ربي أن أسرق فأنا ذاهب لتنفيذ قدره؟ فهل اطلع على اللوح المحفوظ، فقرأ ما فيه حتى يعلم ما كتب الله عليه في وقت كان مخاطبًا بالامتناع عن معصية الله بالسرقة وغيرها؟.

ومثل هذه الحجة البالغة أجاب سبحانه على هؤلاء المتذرعين بقدر الله في مواضع أخرى من القرآن، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٢٨].

والواقع أن هذا الأسلوب القرآني في الرد على أمثال هؤلاء جاء ليصحح للناس منهجهم في الفكر والنظر، ويبين لهم أن المطلوب منهم هو تنفيذ أوامره سبحانه واجتناب نواهيه، وليس المطلوب أن يبحثوا عن غيبه المستور ليكيفوا أنفسهم على حسبه.

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى في ظلال آية الأنعام السابقة: "واللمسة

الثانية[1] كانت بتصحيح منهج الفكر والنظر... أن الله أمرهم بأوامر ونهاهم عن محظورات، وهذا ما يمكن أن يعلموه علمًا مستيقنًا... فأما مشيئة الله فهي غيب لا وسيلة لهم إليه، فكيف يعلمونه؟ وإذا لم يعلموه يقينًا فكيف يحيلون عليه... إن لله أوامر ونواهي معلومة علمًا قطعيًّا، فلمادا يتركون هذه المعلومات القطعية ليمضوا وراء الحدس والخرص في واد لا يعلمونه؟

هذا هو فصل القول في هذه القضية، إن الله لا يكلف الناس أن يعلموا غيب مشيئته وقدره حتى يكيفوا أنفسهم على حسبه، إنما يكلفهم أن يعلموا أوامره ونواهيه ليكيفوا أنفسهم على حسبها... وهم حين يحاولون هذا يقرر الله سبحانه أنه يهديهم إليه، ويشرح صدورهم للإسلام... وهذا حسبهم في القضية، التي تبدو عندئذ في واقعها العملي يسيرة واضحة، بريئة من غموض ذلك الجدل وتحكمته

إن الله قادر لو شاء على أن يخلق بني آدم ابتداء بطبيعة لا تعرف إلا لهدى أو يقهرهم على الهدى، أو يقذف بالهدى في قلوبهم فيهتدوا بلا قهر... ولكنه سبحانه شاء غير هذا، شاء أن يبتلي بني آدم بالقدرة على الاتجاه إلى الهدى أو الضلال، ليعين من يتجه منهم إلى الهدى على الهدى، وليمد من يتجه منهم إلى الضلال في غيه وفي عميانه... وجرت سنته بما شاء...

فالقضية واضحة، مصوغة في أيسر صورة يدركها الإدراك البشرى، فأما المعاظلة فيها والمجادلة فهي غريبة عن الحس الإسلامي، وعلى المنهج الإسلامي... و م ينته الجدل فيها في أية فلسفة أو أي لاهوت إلى نتيجة مريحة؛ لأنه جدل يتناول القضية بأسلوب لا يناسب طبيعتها...

وبعد فلقد جاء هذا الدين ليحقق واقعًا عمليًّا، تحدده أوامر ونواه واضحة،

(١) يقصد قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾ [الأنعام:١٤٨].

فالإحالة إلى المشيئة الغيبية دخول في متاهة، يرتادها العقل بغير دليل، ومضيعة للجهد الذي ينبغي أن ينفق في العمل الإيجابي الواقعي"[1].

فيا أخي القارئ.. أنت مطالب قبل الفعل بطاعة الله وعدم معصيته، وبعد الفعل فإن أطعت الله فعليك شكره إذ هداك، وإن عصيته فأنت مخاطب بوجوب التوبة والرجوع إليه، وتستيقن بعدله وحكمته، وأن تكره المعصية قبل وقوعك فيها ليصدك ذلك عنها، وبعد وقوعها ليدفعك ذلك إلى التوبة إلى الله تعالى، ولتعلم أن ليس في كراهيتك للمعصية كراهة قدر الله، وإنما أنت مطالب بكره ما يكره الله وحب ما يحب، وأن توافق ربك في رضاه وسخطه، فترضى بما رضي به وتسخط مما سخط الله منه، ولتعلم أيضًا أن الله لا يحب الكفر ولا يرضاه لعباده ولا يحب أن يُعصى، ولا يرضى ذلك لعباده، فقد قال سبحانه: ﴿ إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [الزمر:٧].

خفاء القدر وكراهية الخوض فيه:

ذاك ما يحتاج إليه المؤمن في القضاء والقدر، فيكفيه أن يعلم معناه ودرجاته وأن يؤمن به، وأن الله عليم بكل شيء، وخالق كل شيء، وما لم يشأ لم يكن، وأنه عادل لا يظلم أحدًا، وأنه حكيم منـــزه من العبث، ولا يحتاج هذا الموضوع إلى أكثر من ذلك، وما علم الله حاجتنا إليه بينه لنا، وما طواه عنا لا يجوز أن نتكلف البحث عنه فنختلف ونهلك، فإن عقولنا محدودة خلقها الله للإسهام في عمارة الأرض، وليست وظيفتها اكتشاف الغيب الذي استأثر بعلمه خالقها، وليس أمامنا إلا التسليم والإيمان بما يعرفها الله عليه من أمور الغيب وقضاياه، ومن هذه القضايا الصلة بين خلق الله للأفعال وإرادة الإنسان وفعله لهذه الأفعال.

(١) في ظلال القرآن (٨/١٢٢٧).

وليست هذه هي القضية الغيبية الوحيدة التي لا يدرك العقل كنهها، فصفات الله ﷻ ندرك آثارها ولا ندرك كيفياتها، شأنها شأن الذات الإلهية التي لا يستطيع العقل البشرى إدراكها[1].

ولهذا نهى الرسول ﷺ عن الخوض في القدر والتعمق فيه، فقد أخرج الإمام أحمد بإسناده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم والناس يتكلمون في القدر، قال: فكأنما تفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب، قال: فقال لهم: "**ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض؟ بهذا هلك من كان قبلكم**"[2].

وقد جاء رجل عليًّا ﷺ يسأله عن القدر فقال: طريق مظلم فلا تسلكه، قال: أخبرني عن القدر، قال: بحر عميق فلا تلجه، قال: أخبرني عن القدر، قال: سر الله فلا تكلفه[3].

وما أحسن ما قاله الإمام الطحاوي رحمه الله: "وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان وسلم الحرمان ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظرًا وفكرًا ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه كما قال تعالى: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٣]، فمن سأل: لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين، فهذا جملة ما يحتاج إليه من هو منور قلبه من أولياء الله تعالى. وهي درجة الراسخين في العلم؛ لأن العلم علمان: علم في الخلق موجود، وعلم في الخلق مفقود، فإنكار العلم الموجود كفر، وادعاء العلم المفقود كفر، ولا يثبت الإيمان إلا بقبول العلم الموجود، وترك طلب العلم المفقود"[4].

---

(١) تبسيط العقائد الإسلامية لحسن أيوب ص٨٤.

(٢) انظر: الفتح الرباني (١/١٤٢)، وسنن ابن ماجه (١/٣٣).

(٣) تيسير العزيز الحميد ص٦٢٠، والعقائد الإسلامية لسيد سابق ص٩٩، والشريعة للآجري ص٢٠٢.

(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص٢٧٦، ٢٩٢.

أثر عقيدة القدر في المسلم:

لقد بني هذا الدين على التسليم لحكمة الله وإرادته، وعدم الأسئلة عن تفاصيل الحكمة الربانية في الأوامر والنواهي، وكذلك كان أصحاب الأنبياء، فإن قدم الإسلام لا تثبت إلا على درجة التسليم، فأول مراتب تعظيم الأمر التصديق به، ثم العزم الجازم على امتثاله ثم المسارعة إليه والمبادرة به[1].

وهكذا كان الصحب الكرام، فقد كانوا شديدي الأدب مع ربهم ﷻ ومع نبيهم ﷺ، فقد قال فيهم ابن عباس رضي الله عنهما: "ما رأيت قومًا خيرًا من أصحاب رسول الله ﷺ، ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة حتى قبض"[2].

وفى مسألة القدر أجمع الصحابة والتابعون وجميع أهل السنة والحديث أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب.

عن ابن الديلمي قال: أتيت أبيّ بن كعب فقلت له: قد وقع في نفسي شيء من القدر فحدثني لعل الله يذهبه من قلبي، فقال: لو أن الله تعالى عذب أهل سماواته وأهل أرضه عذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أحد ذهبًا في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، ولو مت على غير هذا لدخلت النار، قال: ثم أتيت ابن مسعود فقال مثل ذلك، ثم أتيت حذيفة فقال مثل ذلك، ثم أتيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي ﷺ مثل ذلك[3].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص٢٩١.

(٢) إعلام الموقعين (١/٧١).

(٣) رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد والطبراني وابن حبان، وفى إسناده سعيد بن سنان الشيباني وثقه ابن معين، وتكلم فيه أحمد وغيره. انظر: جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد (٢/٣١٨)، وكتاب الشريعة للآجري ص ٢٠٣، وصحيح الجامع الصغير (٥/٥٧، ٥٨).

وعن عبادة بن الصامت ﷺ قال لابنه عند الموت: يا بني، إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**إن أول ما خلق الله القلم، قال له: اكتب، قال: يا رب، وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**"، يا بني، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**من مات على غير هذا فليس مني**"[1].

هذا وقد كان لهذه العقيدة في نفوس أصحاب الرسول ﷺ أجل الأثر، فقد انطلقوا في الأرض وهم يحملون عقيدة القدر كما علمهم إياها رسول الله ﷺ، فقد قال لابن عباس رضي الله عنهما: "**يا غلام، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**"[2].

هذه العقيدة سكبت في قلوبهم السكينة، وأفاضت على نفوسهم الطمأنينة، وربتهم على العزة، فارتاحت أعصابهم وهم منطلقون لتبليغ هذا الدين إلى البشرية، وقد استصغروا قوى الأرض جميعًا أمام إيمانهم بقدر الله.

سئل سلمان الفارسي ﷺ: ما قول الناس حتى تؤمن بالقدر خيره وشره؟ فقال: "حتى تؤمن بالقدر تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك"[3]. ولم يكن هذا قول سلمان فحسب، وإنما كان قول أصحاب رسول الله ﷺ جميعًا.

---

(١) رواه أبو داود. انظر: جمع الفوائد (٣٢٨/٢)، وكتاب الشريعة للآجري ص٢١١.

(٢) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح. انظر: جمع الفوائد (٣٢٩/٢).

(٣) الشريعة للآجري ص٢٠٦.

فأية سعادة تضفيها على النفس هذه العقيدة، وأية شجاعة انطوت عليها قلوب آمنت أن الأمر بيد الله، وأن البشر لا أمر لهم، إن قوى الأرض جميعًا لا تقف أمام إنسان يحمل هذا المبدأ، ويكن بين جنباته هذا الإيمان، ومن هنا نجد التفسير الصحيح للأعمال التي حققها هذا الإيمان على يد العصبة المؤمنة التي انطلقت بهذا الدين، إنما أعمال تشبه الخوارق ولكنها حقائق، إن تلك الإنجازات العظيمة التي حققها رسول الله ﷺ وصحبه الكرام إن هي إلا ثمرة إيمانهم بالله واليوم الآخر وقدر الله ﷻ.

إن الإنسان الذي ينعم بعقيدة القدر ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن الأمة لو اجتمعت لن تضره إلا بشيء قد كتبه الله عليه، وأنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها ــ هو وحده الذي يتحرر من العبودية للعباد بدخوله في العبودية لرب العباد، إذ كيف تنحني جبهته لأية قوة على ظهر الأرض وهو يعلم أن الأمر بيد خالق السماوات والأرض ومن فيهن؟ وكيف تذل نفسه لعبد من تراب؟

يقول ابن رجب رحمه الله: "فمن تحقق أن كل مخلوق فوق التراب فهو تراب، فكيف يقدم طاعة من هو تراب على طاعة رب الأرباب؟ أم كيف يُرضي التراب بسخط المالك الوهاب؟ إن هذا لشيء عجاب"[1].

إن هذه العقيدة لتنتزع كل مظهر للجبن من القلب الذي تعمره، فتدفع صاحبها إلى جهاد الكفار والطغاة دون أن يحسب لوسائلهم وأساليبهم أي حساب، لماذا ينشغل بالحساب لهم وقد ضمن له خالقه وخالقهم أن يستوفي رزقه وأجله؟ ولماذا يجبن وهو يعلم أن المقدور نازل به لا محالة، وغير المقدور لن يحيق به أبدًا؟ فما أحسن قول من قال:

أي يومي من الموت أفر ... يوم لا قــدر أو يوم قدر

(١) انظر: جامع العلوم والحكم ص ٣٨٥.

يوم لا قدر لا أرهبـــه ومن المقدور لا ينجو الحذر

إن النفس المؤمنة بقدر الله ﷻ لتنعم بنعمة أخرى لا تعدلها نعم الدنيا كلها إنها نعمة الرضا في كل حال، ذلك أن هذه النفس ترى أن المقادير تجري بأمر الله ﷻ ومشيئته وتدبيره، وأن الأحداث تنبثق بحكمة الله وإرادته، وهو يعلم والناس لا يعلمون، كما قال تعالى: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢١٦].

فتعلم هذه النفس المؤمنة أن الله الذي قدر لها الخير أو الشر حكيم رحيم فلا تبطر بنعمة، ولا تجزع من مصيبة، فهي شاكرة في السراء صابرة في الضراء أمرها كله خير، كما قال المصطفى ﷺ: **"عجبًا للمؤمن، إن أمره كله له خير، وليس لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له"**(١).

فالمؤمن من ينظر إلى المصيبة فيعلم أنها قدر الله فيطمئن ويرضى فيكون أكثر أدبًا من أن يعترض على مولاه وخالقه، وينظر إلى عاقبة المصيبة ومآلها من الثواب فيرضى ويصبر، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: **"أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة ابتلي على حسب ذلك، وإن كان فيه رقة هون عليه، فما يزال البلاء بالرجل حتى يدعه يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة"**(٢).

وقد عبر عن ذلك ابن القيم أجمل تعبير فقال:

وإذا اعتـــرتك بلية فاصبر لها صبر الكـــريم فإنه بك أكـــرم

(١) رواه مسلم وأحمد من حديث صهيب. رياض الصالحين مع دليل الفالحين (١/١٤٧).
(٢) متفق عليه.

وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم

وهذا علقمة رحمه الله يفسر قوله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ [التغابن:١١]، فيقول: "هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلّم"(١).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: "يهدي قلبه اليقين، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه"(٢).

ولقد ارتفعت نفوس الصحابة ﷺ في ظلال هذا التصور الإيماني، وسمت أرواحهم، وأرهفت ضمائرهم حتى استوت في نظرهم السراء والضراء، وتماثل لديهم الشكر والصبر، كما يقول عمر ﷺ: "ولو كان الصبر والشكر بعيرين ما باليت أيهما أركب".

ويقول أبو محمد الحريري: "الصبر أن لا يفرق بين النعمة والمحنة مع سكون الخاطر فيهما".

وقد سئل الإمام أحمد رحمه الله عن الرجل يكون معه مائة ألف دينار هل يكون زاهدًا؟ قال: نعم، بشرط أن لا يفرح إذا زادت، ولا يحزن إذا نقصت.

وقال بعض السلف: الزاهد من لا يغلب الحلال شكره ولا الحرام صبره(٣).

وكتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما: "أما بعد، فإن الخير كله في الرضا، فإن استطعت أن ترضى وإلا فاصبر"(٤).

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/٢٧٥).

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر هذه الأقوال وغيرها في عدة الصابرين ص٩٠، ٢٢٦.

(٤) مدارج السالكين (٢/١٧٧).

وقال ابن عطاء: "الرضى سكون القلب إلى قديم اختيار الله للعبد أنه اختار له الأفضل"[1].

هذا والصبر واجب باتفاق العلماء، وأعلى من ذلك الرضا بحكم الله، وقيل عن الرضا: إنه واجب، وقيل: هو مستحب، وقد أجمع العلماء على أن حكمه لا يقل عن الاستحباب[2].

وأساس الرضا الإيمان بقدر الله ﷻ -كما تقدم-، واستشعار لطف الله بعباده، قال عبد الواحد بن زيد: "الرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، ومستراح العابدين، وأهل الرضا يلاحظون ثواب المبتلي وخيرته لعبده في البلاء، وأنه غير متهم في قضائه، وتارة يلاحظون ثواب الرضا بالقضاء، فينسيهم ألم المقضي به، وتارة يلاحضون عظمة المبتلي وجلاله وكماله، فيستغرقون في مشاهدة ذلك حتى إنهم لا يشعرون بالألم؛ بل ربما يتلذذون بما أصابهم لملاحظة صدوره من حبيبهم"[3].

ولتعلم أيها الأخ القارئ أن الرضا والصبر اللذين يثمرهما الإيمان بالقدر إنما هما الرضا بالمقدور من المصائب والنوائب، والصبر على طاعة الله تعالى، والصبر عن معصيته وعلى أنواع المكاره[4]، وليس المقصود الرضا بالكفر والعصيان والفسوق عن أمر الله، ولا الصبر على الذل والضيم، فإن الله لا يرضى لعباده الكفر والمعصية والهوان، فليكن رضاك تبعًا لرضى ربك، وصبرك في طاعة الله وفي سبيله.

إن الرضا بالقدر والصبر على البلاء والطمأنينة إلى حكم الله ﷻ لهي أهم القواعد التي يقام عليها السكن النفسي، وهي من أبرز الدوافع لانطلاق جميع الطاقة البشرية

---

(١) مدارج السالكين (٢/١٧٥).

(٢) مدارج السالكين (٢/١١٧)، والروضة الندية ص٤٨٩.

(٣) مدارج السالكين (١/١٦٧)، والروضة الندية ص٤٨٦، وجامع العلوم والحكم ص ١٧٠

(٤) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٣/١٠١).

للعمل في هذه الأرض ضمن منهج الله، فلا التفات للوراء، ولا محطات للتحسر والندم، ولا لو كان كذا وكذا لكان كذا وكذا، ولكن قدر الله وما شاء فعل.

ففي هذه العقيدة هدوء القلب وراحة البدن والنفس والأعصاب، ومفارقة الهم والحزن، فلا تمزق نفسي، ولا توتر عصبي، ولا شذوذ ولا انفصام، وإنما رضا وسكينة، وسعادة وراحة وطمأنينة، وبرد اليقين وقرة العين، وهناءة الضمير وانشراح الصدر، والاطمئنان إلى رحمة الله وعدله، وعلمه وحكمته، فهو الملاذ والمعاذ من الوسواس والهواجس.

إن الاعتقاد بعقيدة القدر يحدث في واقع الناس وفوق هذه الأرض نتائج إيجابية هائلة، وأما المجتمعات التي تركت هذه العقيدة وفرغت من الإيمان بالله وتدبيره لشؤون الحياة والأحياء، فنصيبها في الآخرة خلود في العذاب المهين، وفي هذه الدنيا ضياع السعادة، وتمزق الأعصاب، وضنك العيش، وتوتر الحياة؛ مصداقًا لقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه:١٢٣، ١٢٤].

الإيمان بالقدر لا ينافي الأخذ بالأسباب:

ويجب أن لا يغيب عن بالنا أننا مأمورون بالأخذ بالأسباب مع التوكل على الله ﷻ، والإيمان أن بيده ملكوت كل شيء، والإيمان أن الأسباب لا تعطي النتائج إلا بإذن الله ﷻ، فالذي خلق الأسباب هو الذي خلق النتائج والثمار، فمن أراد النسل الصالح فلابد أن يتخذ لذلك سببًا وهو الزواج الشرعي، ولكن هذا الزواج قد يعطي الثمار - وهي النسل- وقد لا يعطي حسب إرادة العزيز الحكيم ومشيئة اللطيف الخبير، ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى:٤٩، ٥٠].

ولذا يحرم على المسلم ترك الأخذ بالأسباب، فلو ترك إنسان السعي في طلب الرزق لكان آثمًا، مع أن الرزق بيد الله تعالى.

وقد بين رسول الله ﷺ أن الأسباب المشروعة هي من القدر، فقيل له: أرأيت رقى نسترقي بها، وتقى نتقي بها، وأدوية نتداوى بها، هل ترد من قدر الله شيئًا؟ فقال: **"هي من قدر الله"**[1].

فالالتفات إلى الأسباب واعتبارها مؤثرة في المسببات شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب المأمور بها قدح في الشرع[2].

لذا فقد أمر النبي ﷺ بالتداوي، فقد روى أصحاب السنن عن أسامة بن شريك ﷺ قال: أتيت النبي ﷺ وأصحابه فكأنما على رؤوسهم الطير، فسلمت ثم قعدت، فجاء الأعراب من ههنا وههنا، فقالوا: يا رسول الله، أنتداوى؟ فقال: **"تداووا، فإن الله ﷻ لم يضع داء إلا وضع له دواء، غير داء واحد: الهرم"**[3].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء"**، وبناء على هذا الأمر بالتداوي قال الفقهاء باستحبابه، وبعضهم قال بوجوبه.

قال شارح العقيدة الطحاوية: "وقد ظن بعض الناس أن التوكل ينافي الاكتساب وتعاطي الأسباب، وأن الأمور إذا كانت مقدرة فلا حاجة إلى الأسباب وهذا فاسد، فإن الاكتساب منه فرض، ومنه مستحب، ومنه مكروه، ومنه حرام... وقد كان النبي

---

(١) انظر: زاد المعاد (٢/٦٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٨/٥٢٨).

(٣) رواه الأربعة، وقال الترمذي: حسن صحيح. انظر: مختصر أبي داود ص٣٤٦.

ﷺ أفضل المتوكلين، يلبس لأمة الحرب، ويمشي في الأسواق للاكتساب".

وهكذا كان فهم الصحابة الكرام ﷺ للعلاقة بين الإيمان بالقدر وتعاطي الأسباب، وأن هذا الثاني داخل في معنى الإيمان بالقدر ولا ينافيه، وإنما هو مقتضى من مقتضياته.

روى البخاري أن عمر ﷺ لما خرج إلى الشام لقيه أمراء الأمصار وأخبروه بانتشار الوباء فيها، فاستشار المهاجرين والأنصار، ثم مهاجرة الفتح من مشايخ قريش، فاجتمع المهاجرة على الرجوع؛ بعدًا عن الوباء، وأمر بذلك عمر ﷺ، فقال له أبو عبيدة ﷺ: أفرار من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة.. نعم، نفرّ من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل هبطت واديًا له عدوتان إحداهما خصبة والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟

ولذا بكّت عمر بن الخطاب جماعة من أهل اليمن كانوا يحجون بلا زاد فذمهم. قال معاوية بن قرة: لقي عمر بن الخطاب ناسًا من أهل اليمن فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون، قال: بل أنتم المتأكلون، إنما المتوكل الذي يلقي حبه في الأرض، ثم يتوكل على الله[1].

يقول ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى: "لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله تعالى... وإن تعطيلها يقدح في نفس التوكل... وإن تركها عجزًا ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ولابد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب، وإلا كان

(١) جامع العلوم والحكم ص٣٨٤.

معطلاً للحكمة والشرع، فلا يجعل العبد عجزه توكلاً، ولا توكله عجزًا..."[1].

وقال سهل بن عبد الله: من طعن في الحركة فقد طعن في السنة، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان، فالتوكل حال النبي ﷺ، والكسب سنته، فمن عمل على حاله، فلا يتركن سنته[2].

* * *

(١) زاد المعاد (٣/٦٧).

(٢) مدارج السالكين (٣/١١٦).

خلاصة الوحدة الثانية

١- الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان الستة.

٢- حفل القرآن بذكر اليوم الآخر، واهتم بتقريره في كل موقع.

٣- الإيمان باليوم الآخر له أثر عظيم في حياة الإنسان.

٤- الأدلة العقلية والنقلية شاهدة بوجوب الإيمان باليوم الآخر.

٥- إنشاء الله للخلق يعدّ من أكبر الأدلة على قدرته ﷻ على البعث.

٦- الإنسان يفتتن في قبره، ويسأل عن ربه ودينه ونبيه.

٧- يجب الإيمان بما يصيب الإنسان في قبره من عذاب أو نعيم.

٨- للساعة موعد لا يعلمه إلا الله، ولكن الله جعل لها أشراط وعلامات كبرى وصغرى تؤذن بقربها.

٩- علامات الساعة الصغرى معظمها يدور حول فساد الناس وظهور الفتن بينهم.

١٠- من علامات الساعة الكبرى: طلوع الشمس من المغرب، وخروج الدابة، وظهور الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، وظهور يأجوج ومأجوج.

١١- اليوم الآخر يبدأ بإحداث تغيير عام في الكون.

١٢- يبعث الله الخلائق يوم القيامة، ويخرجهم من قبورهم، ثم يحشرهم إلى الموقف، ثم يعرضون عليه فيحاسبهم، ويجازيهم على ما كسبوه في حياتهم الدنيا.

١٣- أول من يرد الحوض هو نبينا ﷺ ثم ترده أمته من بعده.

١٤- أعمال العباد خيرها وشرها توزن يوم القيامة بميزان له كيفية خاصة.

١٥- يمـــر جميع الناس على لصراط، وهو الجسر المنصوب على جهنم وتكون سهولة ذلك عليهم بحسب أعمالهم في الحياة الدنيا.

١٦- الجـــنة والـــنار مخلوقـــتان من مخلوقات الله ﷻ أعدهما للثواب والعقاب، وهما موجودتان الآن، وباقيتان ولا تبيدان.

١٧- الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره من أركان الإيمان.

١٨- القـــدر هو: علم الله تعالى بما تكون عليه المخلوقات في المستقبل، والقضاء هو: إيجاد الله تعالى الأشياء حسب علمه وإرادته.

١٩- الإيمـــان بالقدر يشتمل على أربعة مراتب هي: الإيمان بعلم الله القديم، والإيمان بكتابة ذلـــك في اللوح المحفوظ، والإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، ثم الإيمان بإيجاده ﷻ لجميع المخلوقات، وأنه الخالق وكل ما سواه مخلوق.

٢٠- أبطل القرآن الكريم حجج الكفار المحتجين بالقدر ودحض شبهاتهم.

٢١- الإيمان بالقدر لا ينافي الأخذ بالأسباب.

٢٢- عقيدة الإيمان بالقدر لها آثار إيجابية هائلة في حياة المسلم.

٢٣- نهى رسول الله ﷺ عن الخوض في القدر والتعمق فيه.

٢٤- لا تـــتم حقـــيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدرًا وشرعًا.

* * *

الاختبار البعدي للوحدة الثانية

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

عزيزي الدارس: ضع علامة (✓)أمام الإجابة الصحيحة وعلامة (X) أمام الإجابة الخطأ في كل مما يلي:

١- الحكمة من الاهتمام البالغ بالإيمان باليوم الآخر هو: أن له أثرا عظيماً في حياة الإنسان وسلوكه.

٢- اليوم الآخر من الأمور الغيبية التي تخالف العقل، ولذلك يجب التسليم الكامل لما جاء في شأنه في القرآن والسنة.

٣- نستطيع الاستدلال على البعث بالخلق الأول.

٤- خلق السماوات والأرض من الأدلة على البعث.

٥- دلالة أطوار الإنسان على البعث مزدوجة، فهي تدل عليه من ناحية أن القادر على الإنشاء قادر على الإعادة، ومن ناحية أن الإرادة المدبرة تكمل تطوير الإنسان في الدار الآخرة.

٦- ﴿ **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً** ﴾ هذه الآية تقرر أن الإيمان بالمعاد من مقتضيات توحيد الله في صفاته وأسمائه الحسنى.

٧- إذا آمن العبد باليوم الآخر بصورة إجمالية فإنه يكون قد حقق هذا الركن.

٨- عذاب القبر ثابت بالسنة دون القرآن.

٩- يمتنع في العقل أن يعيد الله الحياة في جزء من الجسد ويعذبه.

١٠- تواترت الأخبار عن الرسول ـــ ﷺ ـــ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه.

١١- السلف أن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة.

١٢- ضـــياع الأمانـــة الذى هو من علامات الساعة الكبرى يكون بإسناد الأمر لغير أهله.

١٣- خوارق العادات وعجائب الأمور من الأدلة المبرهنة على صدق صاحبها مطلقاً.

١٤- علامات الساعة الكبرى تدور حول فساد الناس في آخر الزمان.

١٥- أنكر ظهورَ الدجال بعضُ المعتزلة والخوارج والجهمية.

١٦- مذهب أهل السنة وجوب الاعتقاد بظهور الدجال.

١٧- يبدأ البعث بالنفخة الأولى التي ينفخها «إسرافيل» في الصور.

١٨- البعث هو سوق الناس جميعاً إلى الموقف الذى يقفون فيه انتظاراً لفصل القضاء.

١٩- العرض والحساب وقراءة الكتاب والميزان كلها ثابتة بالكتاب والسنة الصحيحة.

٢٠- يجب على كل مسلم أن يؤمن بأنه سوف يعرض على ربه فيتولى سبحانه وتعالى حسابه بنفسه وبدون وساطة.

٢١- لا يدخل في معنى العرض إبراز الأعمال وإظهارها دون مناقشة الحساب.

٢٢- ليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب.

٢٣- من أمة محمد ـــ ﷺ ـــ أقوام يتفضل الله عليهم ويدخلهم الجنة بغير حساب.

٢٤- يدخل في الحساب شهادة الأعضاء على كل ما فعله العبد، وهذا ثابت في القرآن.

٢٥- الأحاديث الواردة في الحوض تبلغ حد التواتر.

٢٦- أحاديث الحوض صحيحة، والإيمان به فرض، والتصديق به من الإيمان وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة.

٢٧- الميزان ميزان مجازي والمقصود أن الله سيحاسب العباد على الحسنات والسيئات بالعدل والقسط.

٢٨- يكون وزن الأعمال بعد إتمام الحساب.

٢٩- الصراط هو الجسر المنصوب على جهنم.

٣٠- الأنبياء والصديقون هم فقط الذين لا يمرون على الصراط.

٣١- يقتص الناس من بعضهم لبعض على الصراط من المظالم التي كانت بينهم في الدنيا.

٣٢- الصراط هو القنطرة التي بين الجنة والنار.

٣٣- مذهب أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان قبل الخلق وأنهما موجودتان الآن، وأنهما باقيتان ولا تبيدان.

٣٤- نار الدنيا جزء من سبعين ألف جزء من نار جهنم.

٣٥- جعل بعض العلماء القضاء والقدر شيئاً واحداً.

٣٦- القدر هو قدرة الرحمن في حقيقته.

٣٧- الإيمان بالقدر مبني في حقيقته على الإيمان بأسماء الله وصفاته.

٣٨- الإيمان بعلم الله هو المرتبة الأولى من مراتب الإيمان بالقدر.

٣٩- الإيمان بإيجاد الله لكل المخلوقات وأنه الخالق وكل ما سواه مخلوق ليس من مراتب الإيمان بالقدر ولكنه ثمرة له.

٤٠- الله لا يخلق أفعال الشر لأنه يأمر بالعدل والإحسان.

٤١- من لوازم الإيمان بالقدر الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء ومن ذلك الشر المحض لقوله تعالى: ﴿ **وإليه يرجع الأمر كله** ﴾ .

٤٢- من المحال أن يحدث في الكون ما لا يرضى الله عنه.

٤٣- العباد فاعلون حقيقة والله خالق أفعالهم.

٤٤- ينقسم القدر الذي يجب الإيمان به إلي خير وشر.

٤٥- الشر لا ينسب إلى الله أدباً، وإن كان الله خالق كل شيء.

٤٦- الله تعالى لا يخلق الشرور والمفاسد.

٤٧- العباد لهم مشيئة ولكن إرادة الله هي التي تجبرهم على فعل الخير أو الشر بدليل قوله: ﴿ **وما تشاءون إلا أن يشاء الله** ﴾ .

٤٨- خلْق إبليس من الشر المحض الذي خلقه الله تعالى.

٤٩- ليس من المعقول أن يخلق الله أفعال العباد ثم يجازيهم عليها لأن ذلك يتنافى مع عدله سبحانه.

٥٠- كل شيء يحدث في الكون بإرادة الله ولذلك فالله بلا شك يرضى حدوث

المعصية.

٥١- التعمق في القدر ذريعة الهلاك.

٥٢- العـــلم علمان: علم في الخلق موجود، وعلم في الخلق مفقود، وادعاء أي من العلمين كفر.

٥٣- من قال: إن الله خلق فعلي للمعاصي فقد أعظم على الله الفرية.

٥٤- الإيمان بالقدر ينتزع الجبن من القلب.

٥٥- أجمع العلماء على أن الرضى بالقدر واجب.

٥٦- ترك الأخذ بالأسباب المشروعة مستحب لأصحاب العزائم القوية لتأصيل عقيدة الإيمان بالقدر لدى عامة الناس.

٥٧- الاعتماد على الأسباب واعتبارها هي الموجدة للمسببات شرك في التوحيد.

٥٨- لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله تعالى.

٥٩- التوكل عبادة قلبية لا بُدَّ معها من مباشرة الأسباب.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

عزيـــزي الطالب: اختر الإجابة الصحيحة من بين البدائل التي تلي كل سؤال فيما يلي:

- الإيمان باليوم الآخر يستلزم الإيمان:

١ - بعذاب القبر ونعيمه. ٢ - بالبعث والحشر.

٣ - بالجنـــــة والنـــــــار. ٤ - بكل ما سبق.

- من مظاهر الاهتمام باليوم الآخر في القرآن:

١ - ربط الإيمان به بالإيمان بالله. ٢ - الإكثار من ذكره.

٣ - كثرة أسمائه. ٤ - كل ما سبق.

- الإيمان باليوم الآخر:

١ - هو الذي يليق بجلال الله وعدله.

٢ - لا تحكم به العقول لكونها قاصرة ناقصة.

٣ - لا تطمئن إليه الفطرة ولذلك كان لابد من إرسال الرسل.

٤ - كل ما سبق صحيح.

- ﴿ النار يعرضون عليها غدواً وعشياً، ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ . في هاتين الآيتين دليل على:

١ - فتنة القبر. ٢ - عذاب القبر. ٣ - سكرات الموت.

- أخفى الله موعد الساعة عن:

١ - جميع المخلوقات إلا محمداً.

٢ - جميع المخلوقات إلا جبريل وإسرافيل.

٣ - جميع المخلوقات بلا استثناء.

- بعثة رسول الله ـ ﷺ ـ :

١ - من علامات الساعة الصغرى.

٢ - من علامات الساعة الكبرى.

٣ - ليست من العلامات الصغرى ولا الكبرى بل هي رحمة.

- من العلامات الصغرى للساعة:

١ - كثرة الزلازل. ٢ - تقارب الزمان.

٣ - ظهور الفتن. ٤ - كل ما سبق.

- ﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكـــون عليهم شهيداً ﴾ استدل المفسرون بهذه الآية على:

١ - وجوب اتباع أهل الكتاب لشريعة محمد ـ ﷺ ـ

٢ - أن بعض أهل الكتاب كانوا مؤمنين في الباطن و لم يعلنوا إسلامهم قبل موت الرسول ـ ﷺ ـ.

٣ - أن النصارى ليسوا مؤمنين بصلب المسيح في الحقيقة.

٤ - نزول عيسى ـ عليه السلام ـ في آخر الزمان.

- من علامات الساعة الكبرى المذكورة في القرآن:

١ - بعثة الرسول. ٢ - خروج الدابة. ٣ - ظهور الدجال.

٤ - قتال المسلمين لليهود

- الدليل على كذب الدجال في دعواه:

١ - أنه يأتي بالخوارق.

٢ - عجزه عن إزالة العور الذى بعينيه.

٣ - عدم وجود دلائل الحدوث فيه.

٤ - كل ما سبق دليل على كذبه.

- إذا قال قائل: «كيف يجري الله الآيات الباهرة على يد الدجال والمعجزات لا تكون إلا للأنبياء» فنرد على هذه الشبهة:

١ - بأن ذلك على سبيل الفتنة للعباد واختبارهم.

٢ - بأن ذلك دليل على أن المعجزات ليست دليلاً على الصدق.

٣ - بأنه لم يثبت بنص صحيح أنه يأتى بخوارق العادات.

٤ - كل ما سبق يصلح أن يكون دليلاً.

- أول من يقوم حين يصعق الناس يوم القيامة:

١ - موسى. ٢ - محمد. ٣ - إبراهيم. ٤ - آدم.

- حال الناس عند الحشر:

١ - حفاة عراة متعلون. ٢ - عراة غير مكتسين.

٣ – غرٌّ غير محتنين. ٤ – كل ما سبق.

– أول الخلائق يكسى يوم القيامة:

١ – موسى. ٢ – محمد. ٣ – إبراهيم. ٤ – آدم.

– ﴿ يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ﴾ المقصود بالدين في الآية:

١ – شريعة الإسلام الكاملة.

٢ – عقيدة التوحيد.

٣ – جزاء الأعمال.

٤ – كل ما سبق صحيح.

– حكم إنكار العباد صحائف أعمالهم يوم القيامة:

١ – كفر. ٢ – ابتداع بغير كفر. ٣ – جهل.

– الأحاديث الواردة فى الحوض رواها:

١ – خمسة من الصحابة. ٢ – السبعة المكثرون من الرواية.

٣ – أكثر من ثلاثين صحابياً. ٤ – أصحاب السنن بأسانيد ضعيفة.

– أول من يرد الحوض هو:

١ – أبو بكر الصديق. ٢ – عمر بن الخطاب.

٣ – علي بن أبي طالب ٤ – سيد الشهداء حمزة.

٥ – كل ما سبق غير صحيح.

– يكون وزن الأعمال:

١ – بعد الحساب. ٢ – قبل الحساب. ٣ – أثناء الحساب.

- الصراط هو جسر منصوب:

١ - على الجنة. ٢ - على جهنم. ٣ - بين الجنة والنار. ٤ - على الأعراف.

- يكون المرور على الصراط:

١ - للأنبياء والصديقين.

٢ - لكل من استقام على صراط الله الذى هو دين الحق فى الدنيا.

٣ - الكفار.

٤ - كل ما سبق صحيح.

- «وإن منكم إلا واردها» تتحدث هذه الآية عن:

١ - المرور على الصراط.

٢ - أنه لا أحد من الكافرين إلا سيدخل النار مخلداً فيها.

٣ - أن دخول أهل الكبائر والمعاصي إلى النار سيكون وروداً فقط لا خلود.

٤ - أن كل الناس سيدخلون إلى أرض المحشر.

- تعريف القدر بأنه قدرة الله:

١ - ناقص. ٢ - كافٍ ووافٍ. ٣ - لا يعبر عن الحقيقة.

- يخلق الله:

١ - الخير فقط. ٢ - الخير المحض والشر المحض. ٣ - الخير والشر عموماً.

- إذا قال فاسق: «أنا أفعل الشر لأن الله قدر علىَّ ذلك».

يكون الرد المناسب عليه:

١ - إن الله لا يخلق الشر.

٢ - إن هذا ادعاء منه بعلم الغيب.

٣ - إن الشر يتناق مع الإرادة الكونية لله.

٤ - كل ما سبق يصلح أن يكون رداً.

- التداوي:

١ - من الأخذ بالأسباب.

٢ - من قدر الله.

٣ - واجب أو مستحب عند الفقهاء.

٤ - كل ما سبق صحيح.

- أفعال العباد:

١ - خلقها الله. ٢ - خلقها العباد.

٣ - لا توصف بالخلق ولكن بالحدوث.

٤ - خلق الله أفعال الخير منها فقط وأما الشر فللعباد.

- أول من يرد على الحوض:

١ - الأنبياء. ٢ - الشهداء. ٣ - الصائمون صوم الهواجر.

٤ - كل ما سبق غير صحيح.

- الذى قال: إن حقيقة القدر هي قدرة الرحمن. هو:

١ - أحمد بن حنبل.

٢ - ابن تيمية.

٣ - ابن القيم.

٤ - ابن عقيل.

ثالثاً: أسئلة المقال:

١- حفل القرآن بذكر اليوم الآخر واهتم بتقريره في كل موقع. علل ذلك؟

٢- اذكر بعض الأدلة على وجوب الإيمان باليوم الآخر؟

٣- وضح المقصود بفتنة القبر مع الاستدلال؟

٤- اذكر بعض الأدلة من الكتاب والسنة على عذاب القبر؟

٥- تحدث عن أشراط الساعة الصغرى مع الاستدلال؟

٦- قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ﴾ [الأنعام:١٥٨].

عن أي أشراط الساعة تتحدث الآية؟ وضح مع الاستدلال؟

٧- لماذا سمي الدجّال بذلك؟ وما هي صفاته؟

٨- كيف يجري الله الآيات الباهرة على يد الدجال، والمعجزات لا تكون إلا للأنبياء؟

٩- ما المقصود بما صح عن رسول الله ﷺ من أن عيسى عليه السلام إذا نزل في آخر الزمان وضع الجزية؟

١٠- اذكر باختصار ما تعرفه عن يأجوج ومأجوج؟

١١- رتب الأحداث التالية:

الحشر - البعث - جزاء الأعمال - المرور على الصراط - العرض - الصعق - النفخة الأولى - الوقوف على القنطرة - النفخة الثانية.

١٢- تحدث عن الحوض، وصفته، وأول من يرده مع الاستدلال لما تقول؟

١٣- اعقد مقارنة بين ما يجده أهل الجنة من نعيم، وما يلقاه أهل النار من عذاب وتنكيل، مع الاستدلال على ذلك من القرآن والسنة؟

١٤- عرّف القضاء والقدر موضحًا الفارق بينهما؟

١٥- ما هي مراتب الإيمان بالقدر؟ وضح مع الشرح والاستدلال.

١٦- وضح كيف ترد على من يحتج بالقدر على ما يرتكبه من المعاصي والمنكرات؟

١٧- لماذا نهى رسول الله ﷺ عن الخوض في القدر والتعمق فيه؟

١٨- تحدث عن أثر عقيدة القدر في حياة المسلم.

١٩- هل يتنافى الإيمان بالقدر مع الأخذ بالأسباب؟ ولماذا؟

٢٠- "نفرّ من قدر الله إلى قدر الله" من قائل العبارة؟ وفي أي مناسبة قالها؟ وعلى أي شيء تستدل بها؟

* * *

النشاط التعليمي للوحدة الثانية

عزيزي الدارس: حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول الموضوعات الواردة في هذه الوحدة، عليك أن تقوم بتنفيذ النشاط التعليمي التالي:

اجمع عدد من الفتاوى المرتبطة بالإيمان بالله – عز وجل – واليوم الآخر، وأيضاً الفتاوى المرتبطة بالإيمان بالقضاء وبالقدر، وذلك من خلال مراجعتك للمواقع الإسلامية التي تعرض الفتاوى على شكة الإنترنت، وبعض أقراص الليزر الخاصة بالفتاوى التي تصدر عن مؤسسات إسلامية معروفة.

الوحدة الثالثة

حقيقة الإيمان

ونواقضه

الوحدة الثالثة: حقيقة الإيمان ونواقضه

مبررات دراسة الوحدة:

يـــأتي الإيمـــان في لغة العرب علي استعمالين، فتارة يكون بمعنى التأمين أي إعطاء الأمـــان كما قال تعالى ﴿ **وآمنهم من خوف** ﴾ وقوله تعالى ﴿ **وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا**﴾، وتارة يأتي الإيمان بمعنى التصديق مثل قوله تعالى ﴿ **وما أنت بمؤمن لنا**﴾، أما معناه الشرعي فقد ذهب أهل السنة إلى أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل.

قـــال الإمام البغوي (اتفقت الصحابة والتابعون فمن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان.. وقالوا: إن الإيمان قول وعمل وعقيدة).

وقـــال الحافظ ابن عبد البر: (أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل ولا عمـــل إلا بنـــية.. إلا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه فهم ذهبوا إلى أن الطاعات لا تسمى إيماناً).

وقـــد اجمع أهل السنة على أن الإيمان يتفاضل وجمهورهم على أنه يزيد وينقص، ومن الأدلة علي ذلك قوله تعالى ﴿ **وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا**﴾ وقوله تعالى ﴿ **هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادو إيماناً مع إيمانهم**﴾.

كمـــا أن هناك أيضاً نواقض للإيمان تخرج صاحبها من ملة الإسلام، وقد تكون تلك النواقض اعتقادية أو عملية.

وسوف تتعرف من خلال دراستك لهذه الوحدة على حقيقة الإيمان ونواقضه، فابدأ الآن في دراستها.

الأهداف التعليمية للوحدة:

عزيزي الدارس: يرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادراً على:

١- أن تذكر تعريف الإيمان عند أهل السنة.

٢- أن تتحدث عن حقيقة الاختلاف في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه.

٣- أن تعدّد أسباب زيادة الإيمان.

٤- أن تحدد كيفية الدخول في دين الإسلام.

٥- أن توضح أنواع نواقض الإيمان مع ذكر أمثلة لكل نوع.

٦- أن تعدد بعض مظاهر الرضى بالكفر.

٧- أن تبين حدود الإكراه المعتبر في كلمات الكفر وأفعاله.

٨- أن تعدد بعض مظاهر عدم الرضى بالإسلام.

٩- أن توضح ما يجب مراعاته عند تكفير المعين.

١٠- أن تذكر ما يترتب على كفر العبد من أحكام في الدنيا والآخرة.

• • •

الوحدة الثالثة

حقيقة الإيمان ونواقضه

الفصل الأول
حقيقة الإيمان

- اختلف أهل العلم في هذا الموضوع على قولين:

الأول: إن الإيمان اسم يقع على الإقرار باللسان، والتصديق بالقلب، والعمل بالجوارح، وهو القول الذي ذهب إليه معظم أهل السنة.

الثاني: إن الإيمان اسم يقع على الإقرار باللسان والتصديق بالقلب، ولا يدخل فيه العمل بالجوارح، ولكنهم يقولون: إن العمل بكل ما صح عن رسول الله من الشرائع والبيان حق وواجب على المؤمنين الذين اكتسبوا هذا الاسم بالإقرار والتصديق.

- أسباب زيادة الإيمان ونقصه:

١- العلم. ٢- العمل.

٣- الذكر والتفكر.

الفصل الثاني
نواقض الإيمان

أولاً: متى يصير الكافر مؤمناً:

- كيفية الدخول في دين الله عز وجل

ثانياً: متى يصير المؤمن كافراً:

- أنواع النواقض: عدة أنواع تتضمن:
- إنكار الربوبية أو الطعن فيها.
- الطعن في أسماء الله وصفاته.
- إنكار الرسالة أو الطعن في صاحبها ﷺ
- الرضى بالكفر بعد الإسلام.
- بعض مظاهر عدم الرضى بالإسلام.
- نصوص بعض العلماء فيما يكون سبباً للردة.

الفصل الأول

حقيقة الإيمان

تلك هي الأمور التي يجب أن نؤمن بها، ولكن ما معنى الإيمان بها؟ وكيف يكون؟ وما الشيء الذي يصدق عليه هذا الاسم؟

اختلف أهل العلم في هذا الموضوع على قولين[1]:

القول الأول: إن الإيمان اسم يقع على الإقرار باللسان، والتصديق بالقلب، والعمل بالجوارح، وهو القول الذي ذهب إليه معظم أهل السنة[2].

---

(١) اختلاف الناس في هذا الأمر على أكثر من قولين، ولكن أهل السنة ليس عندهم فيه إلا قولان، والأقوال الأخرى سواهما لفرق أخرى، وقد فصلت كثير من كتب العقيدة هذه الأقوال، ولا حاجة لعرضها والرد عليها في هذا المقام؛ لظهور بطلانها واتفاق علماء السنة على مجانبتها للحق والصواب المستخرج من كتاب الله وسنة رسوله. انظر تفصيل هذه الأقوال والرد عليها في شرح العقيدة الطحاوية ص٣٧٣ وما بعدها.

(٢) قال ابن القيم:

وأشهد عليهم أن إيمان الورى ... قول وفعل ثم عقد جنان

قال الشارح: مذهب أهل السنة أن الإيمان تصديق بالجنان وعمل بالأركان وقول باللسان.

قال الإمام الشافعي رحمه الله في الأم: "وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون: إن الإيمان قول وعمل ونية لا تجزئ واحدة من الثلاثة إلا بالأخرى".

وقال الإمام أحمد بن حنبل: "ولهذا كان القول: إن الإيمان قول وعمل. عند أهل السنة، من شعائر السنة".

وروى أبو عمر الطلمنكي بإسناده المعروف عن موسى بن هارون الحمال قال: "أملى علينا إسحاق بن راهوية أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، لا شك أن ذلك -كما وصفنا- وإنما عقلنا هذه بالروايات الصحيحة والآثار العامة المحكمة، وأقوال أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين على ذلك وكذلك من بعد التابعين من أهل العلم على كل شيء واحد لا يختلفون فيه، وكذلك في عهد الأوزاعي بالشام، وسفيان الثوري بالعراق، ومالك بن أنس بالحجاز، ومعمر باليمن، على ما فسرنا وبينا أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص".

وقال الحافظ ابن عبد البر في التمهيد: "أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعات وينقص بالمعصية، الطاعات كلها عندهم إيمان، إلا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه، فإنهم ذهبوا إلى أن الطاعات لا تسمى إيمانًا، قالوا: إنما الإيمان التصديق والإقرار". شرح قصيدة ابن القيم (٢/١٣٩-١٤١).

القول الثاني: أن الإيمان اسم يقع على الإقرار باللسان والتصديق بالقلب، ولا يدخل فيه العمل بالجوارح، ولكنهم يقولون: إن العمل بكل ما صح عن رسول الله من الشرائع والبيان حق وواجب على المؤمنين الذين اكتسبوا هذا الاسم بالإقرار والتصديق[1].

ومع أن الأدلة من الكتاب والسنة أظهر في القول الأول وأدل عليه من القول الآخر[2]، ومع أن كل فريق منهما حاول دعم وجهة نظره بجملة من الأدلة، فإن الظاهر أن الخلاف بينهما خلاف نظري، لا يترتب عليه أي أثر عملي، وإن كان قد يترتب عليه خلافات نظرية أخرى.

يقول صاحب شرح العقيدة الطحاوية: "والاختلاف الذي بين أبي حنيفة والأئمة الباقين من أهل السنة اختلاف صوري، فإن كون أعمال الجوارح لازمة لإيمان القلب أو جزءًا من الإيمان مع الاتفاق على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان؛ بل هو في مشيئة الله، إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه، نزاع لفظي لا يترتب عليه فساد الاعتقاد"[3].

وسبب ذلك -والله أعلم- أن العمل بالجوارح لا يختلف الفريقان في تحديد قيمته وأهميته في دين الله وإن اختلفوا في تكييفه -إن كان جزءًا من الإيمان أو مجرد مقتضى من مقتضياته ولازمًا من لوازمه-، فالذين اعتبروه جزءًا من الإيمان لم يجعلوه كالإقرار باللسان

(١) انظر: العقيدة الطحاوية مع شرحها ص٣٧٣، وكتاب الإرشاد للجويني ص٣٩٩، والفقه الأكبر وشرحه لملا علي القاري ص٨٧، ٨٨.

(٢) انظر في ترجيح القول الأول: شرح النووي على صحيح مسلم (١/١٤٨)، ورسالة الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام ص ٥٤.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص٣٧٤.

والتصديق بالجنان، من حيث ذهاب اسم الإيمان بذهابهما، وعدم ذهاب هذا الاسم بعدم العمل، والآخرون وإن لم يعتبروه من أجزاء الإيمان فهم يرون وجوبه؛ لأنه من لوازم الإيمان.

وإذا كان كذلك فإن الخوض والتعمق في تلك القضية ليس له فائدة كبيرة، والأولى الاهتمام بغيرها، ولكن من المفيد بيان بعض المعايير المستنبطة من ذلك القدر المشترك بين الفريقين، والتي يمكن بها تحديد من يدخل من الناس في مسمى الإيمان ومن لا يدخل.

١- فقد اتفقوا على أنه لا يدخل في الإيمان من أقر بلسانه ظاهرًا وكذب بقلبه، وهؤلاء هم المنافقون الذين أخبر الله تعالى عنهم أنهم أشد عذابًا من الجاحدين، وأنهم في الدرك الأسفل من النار[1].

٢- كما اتفقوا على أن المعرفة بالقلب لا تكفي في تحقيق اسم الإيمان، فلابد من المعرفة والتصديق من الإقرار باللسان، فإن فرعون وقومه كانوا يعرفون صدق موسى وهارون عليهما السلام وكانوا كافرين، قال تعالى مخبرًا عما قاله موسى لفرعون: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ ﴾ [الإسراء:١٠٢]، وقال تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [النمل:١٤]، وأهل الكتاب كانوا يعرفون النبي ولم يؤمنوا به، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام:٢٠]؛ بل إن إبليس كان عارفًا بربه، ولكنه إمام الكافرين[2].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١/١٤٧).

(٢) كتاب الإيمان للقاسم بن سلام ص١٠٢، وشرح العقيدة الطحاوية ص٣٧٣، ٣٧٤.

فأهل السنة متفقون على أن المؤمن الذي يحكم بأنه من أهل القبلة، ولا يخلد في النار لا يكون إلا من اعتقد بقلبه دين الإسلام -اعتقادًا جازمًا خاليًا من الشكوك- ونطق بالشهادتين، فإن اقتصر على أحد هذين الأمرين لم يكن من أهل القبلة أصلاً، اللهم إلا إذا كان تخلفه عن النطق والإقرار باللسان ناشئًا عن سبب قاهر لا قبل له به، كمن عجز عن النطق لخلل في لسانه، أو لعدم التمكن لمعاجلة المنية له قبل النطق، أو لإكراه ملجئ منعه عن النطق[1].

٣- وأجمع أهل السنة على أن الله يطلب من العباد قولاً وعملاً، والمقصود بالقول: قول القلب وهو التصديق، وقول اللسان وهو الإقرار، إنما اختلافهم في كون هذا المطلوب جميعه داخلاً تحت اسم الإيمان، فبعضهم أدخله جميعًا بما فيه من قول وعمل، وآخرون أدخلوا جزءًا منه وجعلوا الجزء الآخر من مقتضياته وثماره[2].

٤- وأجمعوا أيضًا على أن العبد لو صدق بقلبه وأقر بلسانه وامتنع عن العمل بجوارحه فإنه يكون عاصيًا لله ولرسوله، ومستحقًا للوعيد الذي ذكره الله في كتابه، وأخبر به الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم[3].

٥- وأجمعوا أيضًا على أن مرتكب الكبيرة ليس كافرًا ما دام غير مستحل لها وإن مات قبل التوبة عنها، فالجمهور من أهل السنة وإن جعلوا العمل جزءًا من الإيمان إلا أنهم لم يقولوا بتكفير المصدق بقلبه المقر بلسانه إن لم يعمل، والحنفية وإن أخرجوا العمل

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١/١٤٩).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص٣٧٤.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص٣٧٤.

من الإيمان إلا أنهم اعتبروه من لوازمه ومقتضياته، والكل متفقون على عدم التكفير بترك العمل[1].

٦- ولا خلاف بين أهل السنة أن ما تقدم من تعريف الإيمان بالقول والتصديق والعمل إنما هو بالنظر إلى ما عند الله تعالى، واستحقاق دخول الجنة وعدم الخلود في النار، وإن الإيمان بالنظر إلى أحكام الدنيا هو مجرد الإقرار باللسان والنطق بالشهادتين، فمن أقر بهما أجريت عليه الأحكام في الدنيا، فطولب بالتزاماتهما وأعطي حقوقهما، ولم يحكم عليه بكفر إلا إذا جاء بما ينقضهما من القول والعمل[2].

ويدل على هذا الأصل حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: بعثنا رسول الله فصبحنا الحرقات من جهينة فأدركت رجلاً فقال: لا إله إلا الله، فطعنته فوقع في نفسي من ذلك فذكرته للنبي، فقال رسول الله ﷺ: "**أقال لا إله إلا الله وقتلته؟**" قلت: يا رسول الله، إنما قالها خوفًا من السلاح، قال: "**أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟**" فما زال يكررها حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ[3]، فيدلك قوله ﷺ: "**أفلا شققت عن قلبه**" أننا مكلفون بالعمل بالظاهر وما ينطق به اللسان، وأما القلب فليس لنا طريق إلى معرفة ما فيه.

زيادة الإيمان ونقصه:

وبناء على ما تقدم من اختلاف الفريقين السابقين في تحديد مسمى الإيمان، اختلفوا أيضًا في قضية أخرى هي زيادة الإيمان ونقصه، فمن أدخل العمل في مسماه قال بذلك، ومن قصره على الإقرار والتصديق لم يقل به، أما وقد عرفت أن الخلاف في تحديد مسمى الإيمان خلاف

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص٣٧٥.

(٢) فتح الباري (١/٣٩، ٤٠).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (٢/٩٩).

نظري وصوري، فكذلك الخلاف في هذه القضية، ذلك أن الفريق الذي لا يرى زيادة الإيمان ونقصه يصرح بأن الناس يتفاضلون بالتقوى والعمل الصالح، ويتفاوتون في الأجر والمكانة عند الله تعالى.

يقول الإمام الطحاوي رحمه الله في العقيدة الطحاوية: "والإيمان واحد، وأهله في أصله سواء، والتفاضل بينهم بالخشية والتقى ومخافة الهوى وملازمة الأولى"(١).

وعلى أية حال فإن ظواهر النصوص القرآنية الكريمة والنبوية الشريفة تدل على أن الإيمان يزيد وينقص، من هذه النصوص قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال:٢]، وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران:١٧٣]، وقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ [الفتح:٤]، ومن الأحاديث الدالة على هذا قول النبي ﷺ: "**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياة شعبة من الإيمان**"(٢)، وقوله أيضًا: "**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا**"(٣)، وقوله: "**من رأى منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**"(٤)، وعن عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "**ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم**

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص٣٧٥.

(٢) متفق عليه واللفظ لمسلم، انظر: صحيح البخاري مع فتح الباري (١/٤٤)، وصحيح مسلم بشرح النووي (١/٦).

(٣) رواه الترمذي والحاكم وقال: صحيح على شرطهما، وقال الترمذي: حديث حسن. انظر: الترغيب والترهيب (٣/٤٠٣).

(٤) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (٢/٢٢).

خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل"[1].

ومن أقوال الصحابة الدالة عليه ما ورد عن أبي الدرداء ﷺ أنه قال: "من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما نقص منه، ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد هو أم ينقص"، وكان عمر ﷺ يقول لأصحابه: "هلموا نزداد إيمانًا"، فيذكرون الله ﷻ، وأمثال هذا من النصوص والآثار الدالة على قوة الإيمان وضعفه بحسب العمل كثير[2].

وإذا كان ظاهر النصوص يدل على زيادة الإيمان ونقصه، فلا داعي للخروج عن هذا الظاهر، خاصة وإنه لا فائدة من التأويل ولا ثمرة في الخلاف.

على أن الأمر الأهم من كل ذلك أن يتعهد المؤمن إيمانه ويحاسب نفسه فيه إن كان زاد أم نقص، وأن ينظر في أسباب نقصانه إن كان نقص فيتحاشاها ويبتعد عنها، ويلتمس أسباب الزيادة والنماء وصلاح القلب، كما كان يفعل الصحابة رضوان الله عليهم.

ومن أهم أسباب زيادة الإيمان ما يلي:

١- العلم: فإن الاستزادة منه سبب في زيادة اليقين والمعرفة، قال جندب بن عبد الله وابن عمر وغيرهما: "تعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فزدنا إيمانًا"[3]، والمقصود في هذا المقام العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وآياته ﷻ، والعلم برسول الله ﷺ وما جاء به من الأخلاق والمناهج والتشريعات، وسيرته في عبادته

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٢/٢٧).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص٣٨٦.

(٣) انظر: شرح قصيده ابن القيم (٢/١٤١).

وجهاده ومعاملته، والعلم بكتاب الله وما فيه من الأخبار والأمثال والحكم والعبر والفرقان.

ذلك أن أصل الإيمان هو الإقرار بألوهية الله وما يليق به من الصفات والاعتراف برسالة محمد ﷺ وبكل ما جاء به من عند ربه، بصورة إجمالية وهي المتمثلة بالشهادتين، فمن قالهما معتقدًا بهما فقد حاز أصل الإيمان، ولكنه لا يستوي مع من علم معناهما ومقتضياهما بالتفصيل، فلا يستوي من علم بالتفصيل ما أخبر به الرسول ﷺ مما يكون بعد الموت من السؤال والعذاب والنعيم ومن لم يعلم بذلك، وإن كان هما يدخل بصورة إجمالية في شهادة أن محمدًا رسول الله، وكذلك لا يستوي من علم أحوال الآخرة بما يكون فيها من بعث ونشور وعرض وقراءة الصحف وحساب وأهوال وحوض وصراط وجنة ونار ـ مع من آمن باليوم الآخر إجمالاً من غير تفصيل، وكذلك من علم بالتفصيل سيرة المصطفى ﷺ وما فيها من كمال لا يستوي معه من لم يعرفها إلا بالاجمال؛ ولذا قال سبحانه: ﴿ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الزمر:٩].

٢- **العمل**: فإنه بالإكثار من العمل الصالح والطاعة يزداد اليقين ويقوى الإيمان، وبالإقلال من العمل والإغراق في الشهوات والمعاصي يضعف الإيمان، وقد يصل الحد ببعض الناس من كثرة معاصيهم إلى الإنكار والاستحلال وتكذيب الرسول ﷺ؛ تبريرًا لفجورهم وفسوقهم، فيدخلون في الكفر والعياذ بالله.

ذلك أن أساس الإيمان بالله -كما علمت- هو الإقرار له بالألوهية والإخلاص له بالعبودية، وهذا الإقرار والاعتراف في الواقع نوعان: اعتراف نظري بالتصديق، واعتراف عملي بالطاعة والتطبيق، فمن اقتصر على الأول كان إيمانه بالله ناقصًا، وبقدر ما يزداد من الطاعة يزداد من الإيمان، ولابد لتمام الإيمان من النوعين كليهما.

٣- **الذكر والفكر**: والمقصود بالاول ذكر الله بصفاته وما يليق بجلاله وعظمته

وتلاوة كلامه وآياته، فإنه يدم إيصال القلب بالخالق، وقلته تورث النسيان والغفلة عن الله ﷻ، وقد تقدم دعوة عمر بن الخطاب ﷺ لإخوانه من الصحابة إلى زيادة إيمانهم بذكر الله، وقد روي عن أبي جعفر عن جده عمير بن حبيب وهو من أصحاب رسول الله ﷺ أنه قال: الإيمان يزيد وينقص، قيل له: وما زيادته ونقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه فتلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا فتلك نقصانه؟، وكان عبد الله بن رواحة ﷺ يأخذ بيد الرجل من أصحابه يقول: "قم بنا نؤمن ساعة فنجلس في مجلس ذكر"[1]، كما أخبر ﷻ أن من صفات المؤمنين أنهم يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ [الأنفال:١٩١].

والمقصود بالفكر العمل على إدامة رؤية صنع الله بالتفكر في مخلوقاته والنظر إلى آياته ومعجزاته، ذلك أن من الإيمان بالله الاستشعار بعظمته وقدرته وجليل صفاته وعظمة أفعاله، وهذا الاستشعار متفرع من دوام النظر إلى ملكوت الله ﷻ، ووسيلة هذا النظر هو التفكر والاعتبار، ألا ترى لو أخبرت بمهارة شخص في صناعة من الصناعات، وأخبرك كثيرون عن قدرته في مضماره، فإن إحساسك بمهارته يزداد إذا رأيت بعينيك نموذجًا من صناعته ولو بصورة جمالية، فإذا شاهدت نماذج أكثر من صناعته ازداد ذلك الإحساس، ويزداد أكثر وأكثر إذا أتيحت لك الفرصة بتفحص هذه الصناعات والتدقيق فيها، وصفات الله ﷻ وأفعاله العظيمة متجلية للجميع في هذا الكون العظيم، ومن الناس من يخرون عليها صمًّا وعميانًا ولا يتجاوزون ما فيها من المتع والشهوات، وهؤلاء هم الكافرون وضعاف الإيمان، ومنهم من يقرأ فيها عظمة الله وعظمة سلطانه وقدرته وتدبيره فيزدادون إيمانًا ويقينًا، وهؤلاء الذين وصفهم الباري ﷻ بقوله: ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [آل عمران:١٩١]،

(١) شرح قصيدة ابن القيم (٢/١٤٠، ١٤١).

وقال عنهم سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ [الفرقان:٧٣]، وأما أولئك فقال عنهم: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَـٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ۝ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [البقرة:١٧، ١٨].

* * *

الفصل الثاني
نواقض الإيمان

عرفت فيما تقدم ما يجب على المؤمن أن يقر به من الأمور ولا ينكره، كما عرفت في مبحث "حقيقة الإيمان" معنى الإيمان الذي يجب أن يتعلق بهذه الأمور.

ونخصص هذا القسم لمعرفة الأمور التي تنقض إيمان العبد وتخرجه من عداد المؤمنين، وتدخله في عداد الكافرين.

على أن توضيح هذا الأمر يقتضي أن يقدم له ببحث يكشف لنا عن مبدأ الإيمان والإسلام، أي الحد الذي إذا وصله العبد المكلف من البشر اعتبر مؤمنًا ومسلمًا، وإذا قصر عنه اعتبر كافرًا وجرت عليه أحكام الكفر في الدنيا والآخرة، إن لم يبدل و لم يغير ومات قبل أن يصل إلى ذلك الحد الذي يصير به مؤمنًا؛ وذلك لنكون على بينة من حدود دائرة الإيمان، وحدود دائرة الكفر قبل الكلام فيما يخرج من الأولى ويدخل في الثانية.

ومن هنا كان هذا الباب مشتملاً على مبحثين، يعتبر الأول منهما مقدمة للثاني، وهما:

الأول: متى يصير الكافر مؤمنًا (كيفية الدخول في دين الله ﷻ).

الثاني: متى يصير المؤمن كافرًا (نواقض الإيمان).

المبحث الأول

متى يصير الكافر مؤمناً
كيفية الدخول في دين الله ﷻ

يظهر لك مما تقدم أن أركان الإيمان لها إجمال وتفصيل، وأن لكل ركن منها إجمالاً وتفصيلاً أيضًا. فمن عرف تفصيل تلك الأركان وصدق بها وعمل بما تقتضيه من الأعمال كان ممن قال الله ﷻ عنهم: ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال:٤].

ولكن شاءت حكمة الله تبارك وتعالى -تيسيرًا على عباده وتفضلاً عليهم- أن يجعل الباب الذي يلجه العباد إلى الإيمان دون ذلك التفصيل، فاكتفى منهم بالإجمال الذي يندرج تحته التفصيل، فقبل منهم في مبدأ الأمر أن يقروا بألسنتهم وقلوبهم بأن الله سبحانه هو ربهم ومعبودهم بحق دون سواه، وأن محمدًا ﷺ هو رسول الله، وأن جميع ما جاء به من عند ربه حق وصدق وواجب العمل به، وجعل لذلك عنوانًا هو لكلمة الطيبة: "لا إله إلا الله".

فمن قال هذه الكلمة بلسانه، وصدق بها بجنانه، ولم يقرنها بما ينقضها من القول أو العمل أو الاعتقاد، دخل في دين الله، وفارق الكفر الذي كان عليه[1].

---

(١) وقد يقول قائل: ولكن أركان الإيمان كما جاءت في الحديث الصحيح أكثر من الإيمان بالله والإيمان برسوله، فكيف يكتفى بالشهادتين لدخول الإيمان؟ والجواب على ذلك: أن الإيمان نوعان: إيمان مجمل، وإيمان مفصّل، فالأول هو الإيمان بالله وبكل ما جاء به رسول الله ﷺ، من غير تعرض لتفصيل ما جاء به، فعندما يشهد العبد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، يكون قد صدَّق بكل ما جاء به الرسول ﷺ وما أخبر به من أركان الإيمان وأركان الإسلام، وإن لم يعرفها بالتفصيل، فإن مقتضى ما صدر منه من الشهادتين أنه إذا بلغه شيء مما جاء به الرسول ﷺ آمن به وصدق، لكن الذي بلغه التفصيل بالفعل فآمن به وعمل به، يكون أقوى إيمانًا وأعظم فضلاً عند الله تعالى.
وأما من آمن إيمانًا مجملاً ثم بلغه شيء مما جاء به الرسول ﷺ فلم يؤمن به كان ناقضًا لما صدر منه من الشهادتين وكان مرتدًّا بذلك -كما سيأتي-، انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية، من كتاب: مجموعة التوحيد ص٥١٠، وأصول السرخسي (٢٥٣/١).

أدلة الأصل المتقدم:

والذي يدل على أن المطلوب هو الإقرار الإجمالي بأمور الإيمان، وهو الإقرار بالشهادتين، وليس الإقرار التفصيلي بكل خصلة من خصال الإيمان والإسلام، هو جملة أحاديث صحيحة، رتبت حصول الإيمان والإسلام، واستحقاق دخول الجنة، وعدم الخلود في النار، على التصديق بأن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

وكذلك حوادث السيرة التي دلت على أن الرسول ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم، كانوا يحكمون بدخول الشخص في الإسلام إذا نطق بالشهادتين، ولا يطالبونه في أول الأمر أن يقرنهما بغيرهما.

وفيما يلي نذكر لك بعض الأحاديث الصحيحة الدالة على ذلك الأصل، ثم نتبعها بذكر بعض وقائع السيرة الدالة عليه:

الأحاديث:

فمن هذه الأحاديث:

١- قال رسول الله ﷺ: "**أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك بهما، إلا دخل الجنة**"(١)، وفي رواية: "**لا يلقى الله بهما عبد غير شاك، فيحجب عن الجنة**"(٢).

٢- وقال ﷺ: "**من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة**"(٣).

٣- وعن عبادة بن الصامت ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**من شهد أن**

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١/٢٢٤).
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١/٢٢٦).
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (١/٢١٨).

لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله حرم الله عليه النار"[1].

وغير هذه الأحاديث مما هو في معناها كثير[2]، وكله يدل على أن من مات على التوحيد، ولقي الله ﷻ بالشهادتين دخل الجنة ولو في المآل، ولم يخلد في النار، وإن عذب فيها على ما كان منه من المعاصي والذنوب.

السنة العملية ووقائع السيرة:

وفي السنة العملية والسيرة المطهرة نجد أن الرسول ﷺ كان يشهد بالإسلام والإيمان لمن أقر بالشهادتين ومن ذلك:

١- أخرج مسلم ومالك في الموطأ وأبو داود والنسائي من حديث معاوية بن الحكم السلمي أن النبي ﷺ قال لجارية أراد معاوية بن الحكم أن يعتقها عن كفّارة: **أين الله؟** فقالت: في السماء. فقال: **من أنا؟** قالت: أنت رسول الله. فقال: **أعتقها**[3].

٢- وأخرج أبو داود والنسائي من حديث الشريد بن سويد الثقفي، أن النبي ﷺ قال لجارية: **من ربك؟** قالت: الله. قال: **فمن أنا؟** قالت: رسول الله. قال: **أعتقها فإنها مؤمنة**[4].

٣- وفي قصة إسلام أبي بكر ﷺ، جاء في السيرة أنه لقي رسول الله ﷺ وقال له: أحق ما تقول قريش يا محمد من تركك آلهتنا، وتسفيهك عقولنا، وتكفيرك آبائنا؟ فقال رسول الله ﷺ: **بل إني رسول الله ونبيه، بعثني لأبلغ رسالته، وأدعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له، ولا تعبد غيره، والموالاة على طاعته**، وقرأ ﷺ عليه

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١/٢٢٩).

(٢) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (٢/٢١٨-٢٤٠).

(٣) انظر: الموطأ ص٤٨٥، ٤٨٦، ونيل الأوطار (٧/٢٠٨).

(٤) نيل الأوطار (٧/٢٠٨).

القرآن. فأسلم ﷺ وكفر بالأصنام وخلع الأنداد وأقر بحق الإسلام، ورجع أبو بكر وهو مؤمن مصدق[1].

وهذا الذي دعا رسول الله ﷺ إليه أبا بكر إنما هو في حقيقته الشهادتان.

٤- وفي قصة إسلام خالد بن سعيد ﷺ، ورد في السيرة أنه لقي رسول الله ﷺ وهو بأجياد، فقال: يا محمد، إلام تدعو؟ قال: **أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، تخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يضر ولا ينفع، ولا يدري من عبده ممن لا يعبده.** قال خالد: فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله. فسُرّ رسول الله ﷺ بإسلامه[2].

٥- وفي قصة إسلام أبي ذر الغفاري أنه قال: كنت ربع الإسلام، أسلم قبلي ثلاثة نفر وأنا الرابع، أتيت رسول الله ﷺ فقلت: السلام عليك يا رسول الله، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فرأيت الاستبشار في وجه رسول الله ﷺ[3]. وهذا سياق مختصر، وقد أخرج البخاري قصة إسلام أبي ذر كاملة، وفيها أن النبي ﷺ قال لأبي ذر بعد أن أسلم: **ارجع إلى قومك، فأخبرهم حتى يأتيك أمري**، فقال: والذي بعثك بالحق، لأصرخن بها بين ظهرانيهم، فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ثم قام القوم فضربوه حتى أضجعوه[4].

وفي هذا الخبر دلالة واضحة على أن الصحابة كانوا يدخلون الإسلام بالشهادتين.

---

(١) انظر: السيرة النبوية لابن كثير (١/٤٣٣)، والسيرة الحلبية (١/٤٤٤).

(٢) السيرة النبوية لابن كثير (١/٤٤٥).

(٣) السيرة النبوية لابن كثير (١/٤٤٧).

(٤) صحيح البخاري مع فتح الباري (٧/١٣٩)، وحياة الصحابة (١/٢٩٠)، والسيرة الحلبية (١/٤٥١).
هذا وقد ورد في بعض الروايات أن أبا ذر كان خامس من أسلم، وأن خالد بن سعيد كان الرابع، انظر هذه الروايات في السيرة الحلبية (١/٤٥٢، ٤٥٣).

٦- وفي قصة إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي ﷺ، تحدثنا السيرة أنه كان سيدًا مطاعًا شريفًا في دوس، وكان قد قدم مكة فاجتمع به أشراف قريش وحذروه من رسول الله ﷺ، ونهوه أن يجتمع به أو يسمع كلامه، قال الطفيل: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئًا ولا أكلمه، حتى حشوت أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفًا (قطنًا)؛ فرقًا من أن يبلغني شيء من قوله وأنا لا أريد أن أسمعه، فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة، قال: فقمت منه قريبًا، فأبى الله إلا أن يُسمعني بعض قوله، قال: فسمعت كلامًا حسنًا، فقلت في نفسي: واثكل أمي، والله إني لرجل لبيب ما يخفى عليّ الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول؟ فإن كان الذي يأتي به حسنًا قبلته، وإن كان قبيحًا تركته، قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته، فاتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه فقلت: يا محمد، إن قومك قالوا لي كذا وكذا -للذي قالوا-، فوالله ما برحوا يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعني قولك، فسمعته قولاً حسنًا فاعرض علي أمرك. قال: فعرض علي رسول الله ﷺ الإسلام وتلا علي القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمرًا أعدل منه، فأسلمت وشهدت شهادة الحق...[1]. وشهادة الحق هي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ، كما جاءت مفسرة في بعض المواضع.

٧- وفي قصة إسلام خالد بن الوليد، تحكي لنا كتب السيرة أنه قدم على رسول الله ﷺ في المدينة، وكان قد استكتبه أخوه الوليد بن الوليد يدعوه إلى القدوم والإسلام، قال خالد: فلقيني أخي، فقال: أسرع، فإن رسول الله ﷺ قد أخبر بك فسر لقدومك، وهو ينتظركم -وكان معه عمرو بن العاص وعثمان بن طلحة-، فأسرعنا المشي فاطلعت عليه، فما زال يتبسم إلي حتى وقفت عليه، فسلمت عليه بالنبوة، فرد علي السلام بوجه

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/٤٠٧، ٤٠٨).

طلق، فقلت: إني أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، فقال ﷺ: "**تعال**"، ثم قال رسولُ الله ﷺ: "**الحمد لله الذي هداك، قد كنت أرى لك عقلاً رجوتُ ألا يسلمك إلا إلى خير**"[1].

وهكذا كان مبدأ إسلام كثير من الصحابة ﷺ قبل الهجرة وبعدها[2].

فهذه الوقائع وتلك الأحاديث الصحيحة تدل مجتمعة على أمر واحد اتفق عليه أهل السنة، وهو أن الدخول في دين الله لا يكون إلا بالشهادتين، وليس لأحد بعد هذه النصوص أن يحكم بإسلام أحد إذا لم يقر بهما بلسانه وقلبه، كما أنه ليس لأحد بعدها أن يحكم بكفر أحد إذا أقر بهما و لم يصدر منه ما ينقضهما أو ينقض إحداهما.

هذا ولا يكفي للدخول في الإسلام مجرد إحدى الشهادتين، ولابد منهما جميعًا. وقد يقال: قد ورد في بعض الأحاديث المتقدمة وغيرها الاكتفاء بالشهادة الأولى "لا إله إلا الله". والجواب: أن المقصود هو الشهادتان؛ لأنه جاء مفسرًا في الأحاديث الأخرى بهما جميعًا[3].

ولا خلاف بين العلماء أن النطق بالشهادتين والتصديق بهما لا يكون منجيًا من الخلود في النار، وكافيًا في دخول الإيمان والإسلام، إذا كان مقترنًا بما ينقضهما أو ينقض إحداهما، فلا يحكم بإيمان إنسان جاء يقول: أقر بأنه لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ولكن لا أعترف بوجوب الزكاة والحج، أو بحرمة الزنا أو الربا أو القتل أو غير ذلك من أحكام الإسلام التي أخبر بها القرآن أو الرسول ﷺ، ولكني أعتقد أنها كانت خاصة بقوم أو بجيل معين، أو قرن إقراره بالشهادتين بتفسير خاص لهما يؤول

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير (٢/٥٢٠).

(٢) انظر مثلاً: قصة إسلام أبي العاص بن الربيع ﷺ في سيرة ابن هشام (٢/٣٠٣، ٣٠٤)، وقصة إسلام عمر بن الخطاب ﷺ في عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير لابن سيد الناس، وقصة إسلام حمزة ﷺ في السيرة الحلبية (١/٤٧٧).

(٣) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١/١٤٩، ٢١٩).

إلى إنكار توحيد الله في بعض صفاته وأسمائه، أو أقر بهما وهو ينكر بعض القرآن ولو آية أو كلمة أو حرفًا، فلا تنفعه الشهادتان وقد جاء معهما بما يكذب به القرآن أو الرسول ﷺ[1].

وكذلك من كان على ملة لا تكفي الشهادتان في نقض مبدأ من مبادئها أو أكثر، ولابد في حقه من أن يتبرأ من دلك المبدأ بالإضافة إلى الشهادتين، فلو أن شخصًا كان يعتقد بالتوحيد وبأن محمدًا رسول الله ولكن إلى قوم معينين أو زمن معين، فإن نطقه بالشهادتين لا يكون كافيًا لاعتباره مسلمًا؛ لأن اعترافه برسالة محمد ﷺ لا ينفي ما كان مشهورًا من اعتقاده باختصاصها بقوم أو زمن، فلابد مع هذا من أن يقر بأن محمدًا رسول الله إلى الناس أجمعين[2].

وقد ذكر بعض العلماء في هذا الموضوع قاعدة عامة مفادها أنه لا يحكم بإسلام الشخص إلا إذا أقر بالشهادتين، وكان هذا الإقرار كافيًا في نقض جميع معتقداته الباطلة التي اشتهر بها، فإن لم يكن كذلك كان لابد من النطق بهما والتبري من المعتقدات الباطلة التي لم يندرج نقضها تحت الشهادتين[3].

ويجدر بالملاحظة في هذا المقام أن كلمة "لا إله إلا الله" تنقض جميع التصورات الباطلة عن الخالق وربوبيته وألوهيته؛ ذلك أنها تقتضي توحيد الله في ذاته وفي صفاته وأسمائه وأفعاله، وتنـــزيهه عن كل ما لا يليق به، فمن نطق بها كان متبرئًا من جميع اعتقاداته الباطلة حول الخالق ﷻ، وأما الشهادة الأخرى فإنها تنقض معظم التصورات الباطلة حول

---

(١) انظر: رسالة كشف الشبهات لمحمد بن عبد الوهاب ص١٤١، ١٤٢.

(٢) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١/١٤٩)، وشرح السير الكبير (١/١٥٠)، والمغني لابن قدامة (٩/ ٢١)، والمهذب (٢/٢٢٣).

(٣) انظر: شرح السير الكبير (١/١٥٠).

مكانة نبينا محمد ﷺ، وحول ما أخبر به من المغيبات جميعها[1]، ولا تنقض بعضها كما تقدم من اعتقاد بعض الناس بخصوصية رسالته إلى بعض الأقوام، فلابد في حق هؤلاء من التصريح بعموم رسالته ﷺ.

وهذا الذي تقدم خاص بمن كان كافرًا ابتداء و لم يسبق له الدخول في دين الله، وأما المرتد عن الإسلام فإنه لا يحكم بإسلامه إلا إذا أقر بما كان قد جحده من أمور الإيمان، بالاضافة إلى الشهادتين. فإن كان ارتداده بسبب جحوده الوحدانية أو الرسالة اكتفي بهما، وإلا فلابد منهما وأن يُقر معهما بالأمر الذي كان قد أنكره[2]، فمن كان ينكر فرضية الزكاة مثلاً أو حرمة الربا أو الزنا، فإنه لا يعود إليه إسلامه حتى يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقر بفرضية الزكاة أو حرمة ما أنكره.

ولعل من المفيد في هذا المقام أن ننبه إلى ما تقدم ذكره عند الكلام عن حقيقة الإيمان من اتفاق العلماء على أن النطق بالشهادتين يكفي لاعتبار الناطق بهما مسلمًا من حيث الظاهر، ومن أجل إجراء الأحكام الدنيوية عليه، وأنه لا يكفي من أجل الخلاص من الخلود في النار، حتى يقترن بالتصديق القلبي، فمن أقر بهما مع ما تقدم من الشروط عومل بمقتضى الإسلام في الحياة الدنيا وإن كان منافقًا في حقيقة أمره؛ لأننا مأمورون ببناء الأحكام في هذه الحياة على الظاهر، وترك السرائر لله تعالى، فإنه لا يعلمها إلا هو سبحانه، وقد أنكر النبي ﷺ على أسامة بن زيد عندما ترك العمل بالظاهر، وقتل من قال: لا إله إلا الله، ظنًّا منه أنه لم يكن مخلصًا في قوله.

(١) الدين الخالص (١/١٤٨).

(٢) المغني لابن قدامة (٩/٢١)، وحاشية ابن عابدين (٣/٣٩٧).

المبحث الثاني

متى يصير المؤمن كافرًا

(نواقض الإيمان)

عرفت فيما تقدم كيف يدخل الناس في دين الله ﷻ، والذين يلجون باب الإيمان أنواع:

فمنهم من يثبته الله عليه فيموت مقرًّا مصدِّقًا بأنه لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ومنهم من يرتد على عقبيه بسبب إنكاره وجحوده.

والنوع الأول يتفاوت فيه المؤمنون: فمنهم المحسنون، ومنهم المقتصدون، ومنهم الظالمون لأنفسهم، ومنهم من يدخل الجنة بغير حساب، ومنهم من يحاسب حسابًا يسيرًا، ومنهم من يعذب في النار حتى يمن الله عليه فيخلصه منها بفضله سبحانه.

وأما أسباب الخروج من الإسلام بعد الدخول فيه، فنذكر لك أولاً القاعدة الجامعة التي اتفق عليها أهل السنة والجماعة، ثم نشرع في تفصيلها:

القاعدة:

فأما القاعدة العامة التي تحكم ما يكفر من الاعتقادات والأقوال والأفعال، فنختار في التعبير عنها ما قاله الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى في العقيدة الطحاوية: "ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ما داموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين، وله بكل ما قاله وأخبر مصدقين... ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله، ولا نقول: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله... ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه"[(١)].

---

(١) انظر: العقيدة الطحاوية مع شرحها ص٣٥٠، ٣٥١، ٣٧٢.

وبيان هذه القاعدة أن الشارع قد جعل للإيمان والإسلام مدخلاً وبابًا يدخل منه، وهو كما علمت الإقرار والتصديق بالشهادتين، فمن ولج إلى الإسلام من هذا الباب فإنه لا يخرج إلا أن يصدر عنه قول أو عمل أو اعتقاد يناقض إقراره السابق وتصديقه بالشهادتين. وقد علمت فيما تقدم أن معنى شهادة "لا إله إلا الله" توحيد الله في ربوبيته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وتوحيده في ألوهيته، وعدم توجه الإنسان بالعبادة إلى غيره سبحانه. وأن معنى شهادة "محمد رسول الله" الإقرار والتصديق بكل ما جاء به محمد رسول الله ﷺ من الشرائع، وما أخبر به من أمور الغيب، وأنه من عند ربه ﷻ، والاعتراف له بجميع أخلاق وصفات النبوة، من صدق وأمانة وفطانة وتبليغ وعصمة وغير ذلك.

وبعد هذا فإن من قال قولاً أو فعل فعلاً يدل على إنكار شيء مما يكون قد نقض إقراره السابق بالشهادتين وخرج من دين الله سبحانه، فإن كان قوله أو فعله مطابقًا لحقيقة نيته واعتقاده، كان كافرًا في الدنيا والآخرة، فيعامل بأحكام الكفار في الدنيا وتطبق عليه أحكام الردة، والتي من أهمها الاستتابة ثم القتل إن لم يتب، ويكون من المخلدين في نار جهنم إن مات على هذه الحال.

وأما إذا أذنب المؤمن وقال قولاً أو فعل فعلاً يعد في الشرع معصية لله تعالى، فلا يكون هذا بمجرده دليلاً على خروجه من الإيمان، وإن لم يتب عنه، إن لم يكن فيه ما يدل على نقضه الشهادتين أو إحداهما، وهو في مشيئة الله: إن شاء عذبه بذنبه ومعصيته وأدخله النار، ثم مآله إلى الجنة، لكثرة الأحاديث الصحيحة الدالة على أنه يخرج من النار من مات وفي قلبه مثقال ذرة من إيمان، وإن شاء سبحانه غفر له ولم يعذبه وأدخله الجنة بغير عذاب في النار، فإن الله سبحانه يقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:١١٦].

أنواع النواقض:

ومن هنا تعلم أن الأمور التي تكون سببًا في الخروج من دين الله ﷻ تتنوع إلى أنواع جميعها يرجع إلى تلك القاعدة العامة. وكل نوع يدخل فيه صور وتفصيلات كثيرة يصعب حصرها، ولكن تلك الأنواع يمكن حصرها في أربعة هي:

١- نوع يتضمن إنكار الربوبية أو الطعن فيها.

٢- نوع يتضمن الطعن في أسماء الله وصفاته.

٣- نوع يتضمن الطعن في الألوهية.

٤- نوع يتضمن إنكار الرسالة أو الطعن في صاحبها ﷺ.

فهذه أربعة أنواع، ويدخل في كل واحد منها صور من الأفعال والأقوال والاعتقادات جميعها يعود على الشهادتين بالنقض، وتخرج صاحبها من الإسلام والعياذ بالله تعالى. وفيما يلي تفصيل كل نوع من هذه الأنواع، وتوضيحه بالأمثلة:

النوع الأول:

فقد علمت أن أول أنواع التوحيد هو توحيد الله في الربوبية والملك، وهو الاعتقاد بأن الله تعالى رب كل شيء ومليكه، وخالق كل شيء ورازقه، والمتصرف فيه وحده بمشيئته وعلمه وحكمته سبحانه. فكل قول أو اعتقاد فيه إنكار لهذه الخصائص الربانية أو بعضها كفر وردة، فيدخل في هذا إنكار الخالق، والقول بقدم شيء أي لم يخلقه الله سبحانه، أو إسناد الخلق أو التدبير إلى غير الله ﷻ كالصدفة والطبيعة ونحوهما، أو إنكار ملك الله لكل مخلوق، أو ادعاء الرزق من غير الله تعالى، أو إشراك غيره معه في ذلك، أو ادعاء أن الله خلق الخلق وأهملهم وأنه لا يتصرف فيهم، ولا يحفظهم، ولا يدبر أمرهم أو نحو ذلك مما فيه مساس بخصائص الربوبية.

وكذلك يعد كفرًا وردّة أن يدعي شخص لنفسه شيئًا من هذه الخصائص، كأن يدعي لنفسه الربوبية، كمال قال فرعون: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات:٢٤]، أو أن يدعي أنه يملك أو يرزق أو يدبر شيئًا من دون الله تعالى، وكذلك يكفر من يصدقه في هذه الدعوى.

النوع الثاني:

وهو ما يتضمن الطعن في النوع الثاني من أنواع التوحيد، وهو توحيد الله فيما يليق به من الأسماء والصفات.

فقد أثبت الله سبحانه لنفسه وأثبت له رسوله ﷺ صفات وأسماء، ونفى سبحانه عن نفسه ونفى عنه رسوله صفات، فمن نفى أو انتقص شيئًا مما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله فقد كفر، وكذلك من أثبت لله شيئًا نفاه عنه رسوله. فكفر الصفات نوعان: كفر نفي، وكفر إثبات.

ويدخل في الأول: نفي أية صفة من صفات الله سبحانه، كنفي علمه الكامل، أو قدرته، أو حياته، أو قيوميته، أو سمعه، أو بصره، أو استوائه على العرش، أو كلامه، أو رحمته، أو جبروته، أو كبريائه، أو غيرها مما هو ثابت لله في الكتاب أو السنة.

ويدخل فيه أيضًا تأويل صفات الله وأسمائه بما ينقصها أو يحد من كمالها، كمن يقر بعلم الله ولكنه يدعي أنه العلم الإجمالي، وأن الله تعالى لا يعلم الجزئيات والتفصيلات، أو يشبّه صفة من تلك الصفات بما عند المخلوقات، فيدعي أنه ﷻ يسمع كما يسمع الناس أو يبصر كبصرهم، ونحوذلك.

ويدخل في النوع الثاني وهو كفر الإثبات: إثبات أية صفة نفاها سبحانه عن نفسه أو نفاها عنه رسول الله ﷺ، كإثبات الولد له سبحانه، أو البنات أو الصاحبة أو السِّنة أو النوم أو الغفلة أو الموت، أو أي نقص من النواقص التي تعتري البشر.

وكذلك يكفر كل من يثبت شيئًا من صفات الله لنفسه أو لمخلوق، ويكفر من يصدقه في دعواه، كقول من قال: أنا أعلم كعلم الله، أو فلان عنده من الحكمة كما عند الله ﷻ، فيكفر هذا القائل ويكفر من يصدقه في قوله؛ لأن إثبات الشريك لله في صفاته انتقاص منه جل وعلا، وكل انتقاص منه أو من صفاته كفر وردة.

النوع الثالث:

وهو كل قول أو فعل أو اعتقاد يتضمن الطعن في النوع الثالث من أنواع التوحيد، وهو توحيد الألوهية، وهو الشهادة بأن الله وحده هو المعبود بحق، وأن سواه لا يستحق أي شيء من العبادة. فمن قال قولاً أو فعل فعلاً أو اعتقد اعتقادًا يتضمن إنكار هذا الحق لله سبحانه، أو انتقاص شيء منه، أو إثباته، أو إثبات شيء منه لغير الله ﷻ، فقد كفر وارتد عن دين الله.

وأكثر ارتداد الناس وكفرهم يرجع إلى هذا النوع، فإن أكثرهم في الماضي والحاضر يقرون بوجود الخالق سبحانه، وكثير منهم يثبت له خصائص الربوبية وصفاتها من قدرة وتدبير ورزق وإحياء وإماتة وغيرها.

وقد ذكر الله في كتابه الكريم أن المشركين الذين بعث رسول الله إليهم كانوا مقرين بأن الله خالقهم، قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [الزخرف:٨٧]، وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف:٩].

وإنما دخل الكفر على معظم الكافرين بسبب إنكارهم استحقاق الباري بأن يفرد في توجيه العبادة إليه، سواء أكان هذا الإنكار بالقلب وهو الاعتقاد، أو بما يدل عليه من القول أو الفعل، وبسبب إقرارهم باستحقاق غيره لهذا الأمر، سواء أكان هذا

الإقرار تصديقًا بالقلب واعتقادًا، أم قولاً أو فعلاً يدل عليه.

والواقع أن هذا النوع من الكفر يدخل صاحبه في النوعين السابقين من الكفر؛ لأن من يعترف لله سبحانه بأنه الخالق لكل شيء، والمدبر لكل شيء، ويعترف له بجميع صفات الجلال والكمال، يقتضيه ذلك أن يعترف له وحده دون غيره بالألوهية المطلقة، واستحقاق العبودية له دون سواه، فإن أنكر ذلك وعبد غيره أو عبد معه غيره، فإن اعترافه لله بالربوبية باطل ولا قيمة له.

يقول الصنعاني: "فمن شأن من أقر لله تعالى بتوحيد الربوبية أن يفرده بتوحيد العبادة، فإذا لم يفعل ذلك فالإقرار الأول باطل"(١).

ولذا كان توحيد الله في عبادته موضوع الامتحان للعباد في هذه الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦].

ومن هنا يتضح أن شهادة "لا إله إلا الله" يناقضها أمران:

الأول: نفي استحقاق الخالق لأن يعبد بأي نوع من أنواع العبادة.

الثاني: إثبات هذا الاستحقاق لأي مخلوق من مخلوقات الله ﷻ.

فكل قول أو تصرف أو اعتقاد يتضمن أحد هذين الأمرين يدخل صاحبه في الكفر والردة. والعبادة التي لا تستحق إلا لله هي الخضوع والتذلل والطاعة والانقياد، مما يدخل فيها الحب والخشية والاستغاثة والدعاء والتوكل والرجاء، والركوع والسجود والصوم والذبح، والطواف والخشوع وغيرها.

وبناء عليه فإن من ينفي بقول أو اعتقاد أو عمل استحقاق الله لهذه المعاني يكفر، فيكفر من قال أو اعتقد أن الله سبحانه لا يخشى، أو لا يدعى، أو لا يستعان به، أو لا

(١) تطهير الاعتقاد ص٩.

يركع له، أو لا يرجى... أو يسحر ممن عبد الله، أو يستخف بمن يدعو الله أو يستعين به أو يرجوه بسبب دعائه لله واستعانته به، أو الصلاة له أو الصوم، أو الطواف، أو أي فعل أو قول يعده الشرع عبادة؛ لأن استهزاءه واستخفافه لذلك أو لبعضه يدل بصورة قاطعة على عدم اعتقاده باستحقاق الباري لهذه العبادات. كذلك يكفر من أنكر استحقاقه للطاعة وامتثال أمره واجتناب نهيه فإن لله ﷻ شرعًا ضمَّنه كتابه وأوصى به إلى رسوله ﷺ، فمن ادعى أن شيئًا من هذا الشرع لا يستحق الامتثال والتطبيق، أو لا يصلح في هذا الزمان أو نحو ذلك، كفر بهذه الدعوى؛ لأن من خصائص الألوهية الأمر والحكم والتشريع ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [يوسف:٤٠]، ومن خصائص العبودية الامتثال والطاعة.

وفي مقابل ذلك يكفر كل من يثبت لغير الله شيئًا من تلك العبادات، فيكفر من يدعي استحقاقه لتلك العبادات، أو أمر الناس بممارستها له ومن أجله، ويكفر من يصدقه ويرضى بقوله، أو يمارس بعض تلك العبادات له، وكذلك من أحب أن يعبد بأصناف تلك العبادات وإن لم يأمر الناس بذلك، كمن أحب أن يخشى، أو أن يستعان به، أو يتوكل عليه، أو يرجى[1]، أو يسجد له، أو يركع له، أو يخشع الناس له، أو غير ذلك من المعاني التي لا يصح التوجه بها إلا إلى الخالق ﷻ.

ويكفر من ادعى أن له الحق في تشريع ما لم يأذن به الله بسبب ما أوتي من السلطان والحكم، فيدعي أن له الحق في تحليل الحرام، وتحريم الحلال، ومن ذلك وضع القوانين والأحكام التي تبيح الزنا والربا وكشف العورات، أو تغيير ما جعل الله لها من

(١) والمقصود بذلك الخشية والاستعانة والرجاء فيما لا يقدر عليه إلا الله، وهي خشية الغيب والاستعانة في تحقيق الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله، وكذلك الرجاء فيما هو من اختصاص الله سبحانه. وأما فيما يقدر عليه الناس، فلا يكفر فيها العبد، كمن خاف من السلطان وقد هدده بالسجن أو الموت، أو استعان بصديق في قضاء حاجة يقدر عليها، أو قال شخص لآخر: أرجوك أن تفعل كذا مما يقدر عليه الناس، فكل ذلك لا يدخل في الكفر.

العقوبات المحددة في كتاب الله أو في سنة رسوله ﷺ، أو تغيير المقادير الشرعية في الزكاة والمواريث والكفارات والعبادات وغيرها مما قدره الشارع في الكتاب والسنة.

ويدخل في الكفر من يؤمن بهذه الطواغيت ويعترف لها بما ادعته من حقوق الألوهية، فقد قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦]، وقال أيضًا: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٥٦]، والعروة الوثقى هي شهادة أن لا إله إلا الله فهذا هو معناها: أن تنفي جميع أنواع العبادة عن غير الله تعالى، وتثبت جميع أنواع العبادة لله وحده لا شريك له[١].

ومن هنا تعلم أنه إذا قام حاكم ينتحل الحق في إصدار تشريعات مناقضة لما هو ثابت في الكتاب أو السنة، يحلل به ما حرم الله، أو يحرم ما أحله سبحانه، كفر وارتد عن دين الله القويم؛ لأنه يعتقد بذلك أنه يسعه الخروج عن شريعة الإسلام بما يشرع للناس، ومن اعتقد ذلك كان من الكافرين[٢].

ولكن هذا الحكم لا يدخل فيه إصدار التشريعات التي لم تتناولها نصوص الشرع أو لم تتعرض لها، ولا الأحكام الاجتهادية التي اختلف العلماء فيها.

فمن سن قانونًا يبيح بموجبه الزنا أو الربا أو أي شيء من المعاصي المتفق على حرمتها في شرع الله فقد كفر، ويكفر جميع من يسهم برضاه في إصدار مثل هذا القانون، ولكن لا يكفر من سن قانونًا ينظم فيه السير مثلاً أو نحوه مما لم يتعرض له الشرع بالذكر، ولا يكفر من سن قانونًا ينظم فيه الأسعار، ولا يقال إن التسعيرة حرام لأن بعض العلماء لا يجيزه، ذلك أنه أمر اجتهادي وقد قال به بعض الفقهاء.

(١) رسالة محمد بن عبد الوهاب في معنى الطاغوت - الجامع الفريد ص٢٦٦.

(٢) نواقض الإسلام لمحمد بن عبد الوهاب - الجامع الفريد ص٢٧٨.

وتعلم أيضًا أنه يكفر من الناس من يعترف لهذه الطواغيت بهذه الحقوق ويرضى بها، ويتحاكم إليهم وإلى شرائعهم المناقضة للإسلام في أصوله وما علم منه بالضرورة، وقد قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:٦٠].

وقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى:٢١].

النوع الرابع:

وهو كل قول أو فعل أو اعتقاد يتضمن الطعن في الرسالة أو في صاحبها ﷺ؛ لأن ذلك ينقض شهادة أن محمدًا رسول الله، فإن هذه الشهادة تعني: التصديق بكل ما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه حق وصدق، وأن محمدًا ﷺ أهّله ربه وحلاه بجميع الصفات التي تمكنه من أداء الرسالة، وتبليغها على أتم وجه وأكمله.

وبهذا تعلم أنه ينقض هذه الشهادة أحد أمرين:

الأول: الطعن في رسول الله ﷺ.

الثاني: إنكار بعض ما أخبر به رسول الله ﷺ أو الطعن فيه.

ويدخل في الأمر الأول: نسبة أي شيء إلى النبي ﷺ مما يتناقض مع اصطفاء الله له لتبليغ دينه إلى عباده، فيكفر كل من طعن في صدق الرسول ﷺ، أو أمانته، أو عفته، أو صلاح عقله، ونحو ذلك... ويكفر من سب الرسول ﷺ، أو استهزأ أو استخف به، أو بتصرف من تصرفاته الثابتة.

ويدخل في الأمر الثاني: إنكار أي أمر من الأمور التي أخبر بها، فيكفر من أنكر ما أخبر به الرسول ﷺ وثبت عنه من البعث والحساب، والميزان والصراط، والجنة والنار، ونحوها من المغيبات.

ويكفر من أنكر شيئًا من القرآن مهما كان[1]؛ لأنه ﷺ أخبر أن جميع آيات القرآن من كلام الله تعالى، فمن جحد شيئًا من ذلك فقد كذب الرسول ﷺ. ويكفر من أنكر حكمًا من الأحكام الثابتة في القرآن أو السنة، فيكفر كل من أنكر فرضية الصلاة أو الزكاة أو حرمة الزنا أو السرقة، أو ادعى زيادة ركعة في إحدى الصلوات، أو جوازها بدون وضوء ونحو ذلك.

ولكن يعذر من جحد شيئًا ليس مشتهرًا في الدين ولا يعلمه إلا خاصة العلماء، ولا يكفر أيضًا من أنكر حكمًا مجتهدًا فيه وليس مجمعًا عليه.

يقول الإمام النووي رحمه الله تعالى: "وكذلك الأمر في كل من أنكر شيئًا مما أجمعت الأمة عليه من أمور الدين إذا كان علمه منتشرًا؛ كالصلوات الخمس، وصوم شهر رمضان، والاغتسال من الجنابة، وتحريم الزنا والخمر ونكاح ذوات المحارم ونحوها من الأحكام، إلا أن يكون حديث عهد بالإسلام ولا يعرف حدوده، فإنه إذا أنكر شيئًا منها جهلاً به لم يكفر... فأما ما كان الإجماع فيه معلومًا من طريق علم الخاصة كتحريم نكاح المرأة وعمتها وخالتها، وأن القاتل عمدًا لا يورث، وأن للجدة السدس وما أشبه ذلك من الأحكام، فإن من أنكرها لا يكفر؛ بل يعذر فيها لعدم استفاضة علمها في العامة"[2].

(١) انظر: شرح ملا علي القاري على الفقه الأكبر ص١٦٧.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١/٢٠٥).

ويكفر من جحد آية من القرآن أو أنكر أمرًا غيبيًا أو كذب خبرًا عما كان وما سيكون مما ورد به القرآن الكريم.

ويكفر من جحد إرسال الرسل قبل محمد ﷺ، أو جحد ما ذكر من قصصهم مع أقوامهم، ومن أنكر الكيفية التي ذكرها الله عن بداية الخلق، أو ادعى كيفية أخرى تخالف ما ذكر في آيات الكتاب الكريم، ومن أنكر الجن والشيطان، أو أنكر الكرسي والعرش، واللوح والقلم، ومن أنكر وجود شخصية تاريخية أثبت القرآن وجودها، ومن أنكر رسالة أو نبوة من ذكر القرآن أنهم رسل وأنبياء، وكذلك من طعن في أحدهم بما لا يليق باختيار الله لهم، أو أنكر أن الله أرسل رسلاً غيرهم لم يسمهم؛ لأنه صرح بذلك في أكثر من موضع، ويكفر كذلك من أنكر إعجاز القرآن الكريم؛ لأن هذا الإعجاز ثابت بإخبار الله ﷻ وبالواقع، وكذلك من ادعى النبوة بعد محمد ﷺ أو صدق من يدعيها؛ لأن القرآن أخبر أن محمدًا خاتم النبيين.

الرضى بالكفر وعدم الرضى بالإسلام كفر:

ومن المفيد هنا أن نكرر ما ذكرناه سابقًا، وهو أن تلك الصور والتفصيلات مما يحبط الشهادتين ليست إلا أمثلة وقد يوجد غيرها.

ونوجه الانتباه هنا إلى أمر قد يظن أنه لا يدخل فيما سبق، مع أنه في حقيقته ينقض الشهادتين ويتضمن إنكار التوحيد والرسالة، ألا وهو الرضى بالكفر وعدم الرضى بالإسلام[1]. فإن من قال: صدقت لمن أنكر الشهادتين، ومن قال: كذبت لمن نطق بهما، لا يشك أحد في كفره حتى وإن كان القول الأول محاملة للقائل، وهناك أساليب مختلفة من الأقوال والأعمال والأحوال لا تقل دلالتها في عرف الشارع وفي عرف الناس وعرف اللغة عن قول: صدقت لمن كفر أو كذبت لمن أسلم، فمن صدرت منه خرج من دين الإسلام،

(١) انظر: شرح ملا علي القاري على الفقه الأكبر ص١٦٥.

من هذه الأساليب:

أولاً: أساليب الرضى بالكفر:

١- عدم تكفير الكافرين من ملحدين ومرتدين ومشركين:

أو الشك في كفرهم أو تصحيح أي مذهب من مذاهبهم الكافرة[١].

فمن علم من شخص أو جماعة أو مذهب أو حزب من الأحزاب أو طائفة من الطوائف أو أهل دين من الأديان كفرًا واضحًا، فاعتقد عدم كفرهم أو ردتهم، أو قال عن مذاهبهم أو بعضها : إنه صحيح. فقد دخل معهم في الكفر وأصبح مثلهم.

ولكن هذه القاعدة تحتاج إلى بيان واحتياط عند تطبيقها:

ذلك أنه يفترض من أجل الحكم بردة مثل هذا الإنسان أنه يعلم حقيقة من يحكم بإسلامهم وعدم كفرهم، فإن كان لا يعرف حقيقتهم وما هم عليه من الكفر فلا يجوز الحكم عليه بالردة من أول الأمر، وإنما يبين له بوسائل البيان السليمة التي لا يبقى بعدها شك فيما ينسب إليهم، فإن أنكر بعد هذا كفرهم اعتبر حكمه هذا ردة وكفرًا؛ لأن إنكاره في حقيقته تبنٍّ لمذهبهم واعتراف بصحته.

على أنه ينبغي أن يلاحظ أن كفر بعض الطوائف أصبح مشتهرًا ومعلومًا بين الناس بالضرورة كاليهود والنصارى والمجوس وغيرهم، فيكفر كل من ينكر كفر هؤلاء من أول الأمر.

وأما المذاهب والطوائف التي لا يفترض اشتهارها بين الناس وعلم مبادئها الكافرة، فينبغي أن يتريث في تكفير من لا يحكم بردة أتباعها، حتى يبين له بما يقطع الشك

(١) نواقض الإسلام لمحمد بن عبد الوهاب - انظر: الجامع الفريد ص٢٧٧.

ويعرف على مواقع الكفر في هذه المذاهب والطوائف[1]، وخاصة أن بعض هذه الطوائف تنسب نفسها إلى الإسلام، وتتظاهر أمام العامة أنها لا تنكر شيئًا من الإسلام، وتخفي عنهم بادئ الأمر ما ينفرهم عنها، مما فيه الإنكار الصريح الواضح لمبادئ الإسلام أو بعضها.

كذلك يشترط لتكفير هذا الصنف من الناس أن يكون المحكوم عليهم قد كفروا بأمر متفق على الكفر بسببه، فإن كان مختلفًا فيه بين العلماء المعتبرين، بعضهم يعده من النواقض وبعضهم لا يعده، لم يجز تكفير من لم يكفرهم، كتكفير الخوارج وبعض الفرق الأخرى التي لم يتفق على ردتها. ويدخل في هذا من لم يكفر تارك الصلاة عمدًا الذي لم يجحد فرضيتها. فإذا تحققت هذه الشروط، وأنكر المسلم كفر الكافرين وصحح ما هم عليه، كان في حقيقة الأمر كالناطق المعتقد بالسبب الذي أدخلهم في الكفر، فيكون ناقضًا بذلك ما سبق منه من الشهادتين، ومن جهة أخرى يكون منكرًا للنصوص والدلائل التي تكفر أمثالهم، فيكفر بسبب إنكاره لهذه النصوص.

٢- موالاة الكفار وإظهار موافقتهم على دينهم:

فقد علمت أن من معنى شهادة أن لا إله إلا الله نفي استحقاق العبادة لغير الله ﷻ، فوق ما تدل عليه من إثبات هذا الاستحقاق لله وحده، وهو ما دل عليه قوله تعالى أيضًا: ﴿ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦]، فلا يكفي في تحقيق معنى هذه الشهادة أن يعبد الإنسان ربه، حتى يجتنب عبادة غيره من جهة، وينفي استحقاق أي مخلوق لأي من أنواع العبادة التي لا تصح إلا لله من جهة أخرى، هذا أمر متفق عليه ولا جدال فيه، ومما لا جدال فيه أيضًا أن من أظهر خصائص الكفار أنهم لا يعبدون الله حق عبادته، أو أنهم يشركون معه في العبادة غيره، زيادة

(١) مجموعة التوحيد ص١٢٦.

على ما قد يكون منهم من إنكار للرسالة أو طعن في الرسول ﷺ، أو غير ذلك من الأمور المناقضة للإسلام والمضادة للشهادتين، وهذا أمر متفق عليه أيضًا.

وبناء على هاتين المسلمتين يتحدد الموقف الذي يتفق مع الشهادتين من أعداء الله وأعداء دينه من الكفار والمشركين والمرتدين، ويتبين الحد الذي يجب أن يقف عنده المسلم ولا يتجاوزه من أجل الحفاظ على دينه وإيمانه في معاملتهم وبناء العلاقات معهم، وهو الحد الذي لا يفهم من الوقوف عنده الموافقة على دينهم والرضى عن كفرهم، فإذا تخطى المسلم هذا الحد ودخل في طاعة الكفار وأظهر الموافقة على دينهم الباطل، وأعانهم عليه بالنصرة والمال، ووالاهم، وقطع الموالاة مع المسلمين، ورفع علاقته معهم على علاقته مع المسلمين وضحى بالثانية من أجل الأولى فقد صار منهم وارتد عن دينه، وكان كافرًا من أشد الناس عداوة لله تعالى ورسوله ﷺ. ولا يستثنى من ذلك إلا المكره، وهو الذي يقع تحت سلطان الكفار، فيأمرونه بطاعتهم في باطلهم، ويهددونه بالقتل أو يشرعون في تعذيبه، فيجوز له عندئذ فقط الموافقة باللسان مع طمأنينة القلب بالإيمان. ومع أن هذا الأمر يدخل في معنى الشهادتين -كما تقدم- فإنه ورد في القرآن آيات كثيرة جدًّا تفرض على المؤمن قطع الولاء للكفار، وتوجب عليه معاداتهم في الدين، ويدل كثير من هذه الآيات في ظاهره على كفر وردة من لم يقم بهذه الفريضة، فإذا رجعت إلى المعنى الذي تدل عليه الشهادتان وجمعته مع هذا الظاهر الذي تدل عليه هذه النصوص، عرفت أنه على حقيقته ولا يجوز تأويله. ونذكر لك فيما يلي بعض هذه النصوص لا جميعها فإنها كثيرة لا يزيد عليها إلا ما جاء بخصوص التوحيد والأمر بعبادة الله:

أ- قوله تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾ [آل عمران:٢٨].

فنهى سبحانه المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء وأصدقاء وأصحابًا من دون المؤمنين،

وأخبر أن من فعل ذلك فليس من الله في شيء، قال ابن جرير عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾: "ومعنى ذلك: لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفار ظهرًا وأنصارًا توالونهم على دينهم وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين، وتدلونهم على عوراتهم، فإنه من يفعل ذلك فليس من الله في شيء، يعني بذلك: فقد برئ من الله وبرئ الله منه بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر"[1].

وأما قوله تعالى: ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾ فهو كقوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ وهو أن يكون المسلم مقهورًا معهم لا يقدر على عداوتهم، فيظهر لهم المعاشرة والقلب مطمئن بالإيمان بالله، ومليء بالعداوة والبغضاء للكفر وأعداء الله، قال ابن جرير: "إلا أن تتقوا وتضمروا لهم العداوة ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر ولا تعينوهم على مسلم بفعل"[2].

وسيأتيك إن شاء الله بيان حد الإكراه المعتبر في هذا المقام.

ب- قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴾ [المائدة:٥١، ٥٢].

فنهى ﷻ عن موالاة اليهود والنصارى، وذكر أن من والاهم كان منهم، فمن تولى اليهود فهو يهودي، ومن تولى النصارى فهو نصراني، وكذلك من تولى أي كافر فهو مثله في كفره؛ لأن المتولي متبين لما عليه ذلك الكافر وراض عنه، فيكون مثله من

(١) تفسير الطبري (٦/٣١٣).

(٢) تفسير الطبري (٦/٣١٣).

حيث الكفر. وقد روى ابن أبي حاتم عن محمد بن سيرين قال: قال عبد الله بن عتبة: "ليتق أحدكم أن يكون يهوديًّا أو نصرانيًّا وهو لا يشعر"، قال: فظننا يريد هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾.

ثم تأمل عذر هؤلاء الذين كفروا بموالاتهم لليهود والنصارى والذي لم يقبله الله ﷻ منهم، وهو خوفهم من أهل الكتاب وسلطانهم على مراكزهم وأموالهم ودنياهم، فإن تأملك هذا يعطيك ضوءًا وإشارة إلى معنى الإكراه وما يعتبر منه وما لا يعتبر، وهو ما وعدناك بالكلام عنه بعد الانتهاء من ذكر هذه الآيات.

ج- قوله تعالى: ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۬ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٨٠، ٨١].

فيبين ﷻ أن الإيمان بالله والنبي مرتبط بعدم ولاية الكفار، فثبوت موالاتهم يوجب عدم الإيمان؛ لأن عدم اللازم يقتضي عدم الملزوم، ومن جهة أخرى فقد رتب الله تعالى على موالاة الكافرين سخطه والخلود في العذاب، وأخبر أن موالاتهم لا تحصل من مؤمن، فإن أهل الإيمان يعادونهم ولا يوالونهم.

ثم انظر كيف اعتبر ﷻ عدم الموالاة للكفار داخلاً في معنى الشهادتين اللتين عبر عنهما بالإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه، ووجه الارتباط هو ما قدمناه لك في مبدأ الكلام عن الموالاة للكفار والموافقة على دينهم.

د- قوله تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ

ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء:١٣٨، ١٣٩].

فجعل ﷻ اتخاذ الكافرين أولياء من أخص خصائص النفاق وأهله.

هـ- قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

فأخبر سبحانه أنه لا يوجد مؤمن يواد كافرًا، فمن واد كافرًا فليس بمؤمن، وإذا كان الله قد نفى الإيمان عمن يواد أباه أو أخاه أو عشيرته إذا كانوا كفارًا، فمن واد الكفار الأبعدين أولى بأن لا يكون مؤمنًا.

و- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [محمد:٢٥-٢٨].

فأخبر تعالى أن سبب ما جرى عليهم من الردة والكفر هو قولهم للذين كفروا: سنطيعكم في بعض الأمر. فلم ينفعهم ما علموه من الهدى والحق مع ما قالوه وما وعدوه للذين يكرهون الإسلام.

ز- قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾ [النساء: ١٤٠].

فذكر تعالى أنه نزل على المؤمنين في الكتاب أنهم إذا سمعوا آيات الله يكفر بها

ويستهزأ بها فلا يقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره، وأن من جلس مع الكافرين بآيات الله المستهزئين بها في حال كفرهم واستهزائهم فهو مثلهم. هذا وهم في بلد واحد في أول الإسلام، فكيف بمن كان في سعة الإسلام وعزه وبلاده، فدعا الكافرين بالله المستهزئين بها إلى بلاده واتخذهم أولياء وأصحابًا وجلساء ومستشارين، وسمع كفرهم واستهزاءهم وأقرهم، وطرد علماء المسلمين وأبعدهم!! فهذا أسلوب من أساليب الرضى بالكفر والكفار يبعد صاحبه عن الإيمان ويدخله في الكفر والعياذ بالله؛ لأن السكوت في مجالس الكفر وما يكون فيها دليل كاف على الموافقة.

فيجب على المؤمن أن يحذر كل ذلك كما يحذر الكفر الصريح، فيلزمه مفارقة هذه المجالس حتى ينجو من عذاب الله، ولا يمنعه من ذلك خوف على مال أو مركز أو أي عرض من أعراض هذه الدنيا، فإن الله سبحانه أحق أن يخشاه.

معنى الموالاة للكفار:

تلك بعض النصوص التي يدل كل واحد منها على ردة من يوالون الكفار والمشركين، فكيف إذا اجتمعت وجمعت معها غيرها مما لم يذكر، وعرفت تناقض موالاة الكفار مع الشهادتين.

وليس للقائل أن يقول: إن معنى الموالاة غير محدود إذ يدخل فيه أمور كثيرة، قاصدًا بذلك أننا لا نستطيع أن نتخذه معيارًا في معرفة من يكفر ومن لا يكفر؛ لأن الله ﷻ لا ينهى عن شيء غير محدد وغير معروف، ولا يحكم بردة من دخل في أمر غير واضح وغير متميز، وإلا لكان أمره ونهيه في هذا الموضوع عبثًا لا يمكن تطبيقه، وهذا قول لا يقوله مؤمن بالله وصفاته.

فإن قيل: فما معنى الموالاة؟

فاعلم أن هذا اللفظ مشتق من الولاء، وهو الدنو والتقرب. والولاية ضد العداوة،

والولي عكس العدو، المؤمنون أولياء الرحمن والكافرون أولياء الطاغوت والشيطان؛ لقرب الفريق الأول من الله بطاعته وعبادته، وقرب الفريق الثاني من الشيطان بطاعة أمره، وبعدهم عن الله بعصيانه ومخالفته.

ومن هنا يتبين أن موالاة الكفار تعني التقرب إليهم وإظهار الود لهم بالأقوال والأفعال والنوايا، وقد أشارت النصوص إلى كثير من هذه الأمور التي تدخل الإنسان في الولاء للكفار، من ذلك:

اتباع أهوائهم وقد نهى الله عن اتباعها، قال تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة:١٢٠].

وطاعتهم فيما يأمرون ويشيرون به، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٤٩]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا ﴾ [الكهف:٢٨]، وقال أيضًا: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام:١٢١].

والركون إليهم، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [هود:١١٣]، والركون: هو الميل والرضى بما يعرضونه على المسلم.

ومداهنتهم ومداراتهم ومجاملتهم على حساب الدين، قال ﷻ: ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ [القلم:٩].

وإظهار الود لهم، قال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [المجادلة:٢٢].

ويدخل في جملة ما تقدم إكرام الكفار وتقريبهم وخاصة من الحكام، ومشاورتهم في

الأمور الهامة، واتخاذهم بطانة من دون المؤمنين، ومعاونتهم على ظلمهم ونصرتهم، والتشبه بأعمالهم وعاداتهم وتقاليدهم، وأخذ الأمة بوسائل الترغيب والترهيب والإعلام وغيرها للتشبه بهم وتقليدهم في شؤون الحياة، واستعارة قوانينهم ومناهجهم في حكم الأمة وتربية أبنائها.

ويدخل فيه معاونتهم والتآمر والتخطيط معهم وتنفيذ مخططاتهم، والدخول في تنظيماتهم وأحلافهم، والتجسس من أجلهم، ونقل عورات المسلمين وأسرار الأمة إليهم، والقتال في صفهم.

ويدخل فيه استئمانهم وقد خونهم الله ﷻ، وتوليتهم المراكز الهامة وتنصيبهم في أهم الوظائف وأخطرها، وخاصة في الجيش والمرافق الهامة.

كما يدخل فيه تحسين أفكارهم ومناهجهم وقيمهم وتصوراتهم، والدعوة إليها، وتفضيل علمائهم على علماء المسلمين.

فمن اجتمعت عنده هذه الأمور أو قدر منها، وكان ذلك له خلقًا وعادة، فقد أقام الدليل على أنه راض بكفر الكافرين فيكون مثلهم؛ بل منهم، ولا ينجيه من الكفر إلا إيمان جديد وإقلاع عن موالاة الكفار.

ما يقبل وما لا يقبل من الأعذار في هذا المقام:

هذا وقد يعتذر بعض الموالين بأنهم يخافون على ملكهم وأموالهم ومراكزهم وغير ذلك من المخاوف التي لا تصح، ولا يعتبرها الله سبحانه ولا يعذرهم من أجلها، وجميعها من تزيين الشيطان وتسويله، وحب الدنيا والطمع في زينتها.

ذلك أن الله ﷻ لم يقبل عذرًا لأحد في إظهار موالاته للكفار وطاعتهم وموافقتهم على دينهم إلا عذرًا واحدًا هو الإكراه، حيث قال ﷻ: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا

فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [النحل:١٠٦، ١٠٧]، وقال أيضًا: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾ [آل عمران:٢٨].

على أن الإكراه لا ينفع أحدًا فيما تعلق بالرضى القلبي والميل الباطني إلى الكفار، فهذا غير مأذون فيه على أية حال؛ لقوله تعالى: ﴿ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [النحل:١٠٦]، ولأن الإكراه لا سلطان له على القلوب، ولكن محل العذر هو محل تأثير الإكراه، وهو النطق باللسان وفعل الجوارح. فمن والى الكفار بقلبه وميله إليهم فهو كافر على كل حال. فإن أظهر موالاته بلسانه أو بفعله عومل في الدنيا بكفره وفي الآخرة يخلد في النار، وإن لم يظهرها بفعل ولا قول وعمل بالإسلام ظاهرًا عصم ماله ودمه وهو منافق في الدرك الأسفل من النار.

حدود الإكراه المعتبر:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "تأملت المذاهب فوجدت الإكراه يختلف باختلاف المكره، فليس المعتبر في كلمات الكفر كالإكراه المعتبر في الهبة ونحوها، فإن أحمد قد نص في غير موضع على أن الإكراه على الكفر لا يكون إلا بالتعذيب من ضرب أو قيد، ولا يكون الكلام إكراهًا. وقد نص على أن المرأة لو وهبت زوجها صداقها بمسكنه فلها أن ترجع على أنها لا تهب له إلا إذا خافت أن يطلقها أو يسيء عشرتها، فجعل خوف الطلاق أو سوء العشرة إكراهًا، ومثل هذا لا يكون إكراهًا على الكفر، فإن الأسير إذا خشي الكفار ألا يزوجوه أو يحولوا بينه وبين امرأته لم يبح له التكلم بكلمة الكفر"[1].

(١) انظر: مجموعة التوحيد ص٢٩٧.

وهكذا يرى الإمام أحمد بن حنبل ويوافقه ابن تيمية رحمهما الله تعالى أن الإكراه في مقام التظاهر بالكفر سواء كان نطقًا بكلامه أو موالاة للكفار لا يعتبر إلا إذا وصل إلى حد التعذيب من ضرب أو قتل ونحو ذلك، وأما ما دونه من طمع في رئاسة أو في مركز يعين الكفار على توليه أو بقائه، أو خوف على مال أو عيال أو وطن أو غير ذلك فإنه لا ينفع ولا يقبل منه.

وهذا الذي ذهبا إليه يدل عليه النصوص السابقة التي نهت عن موالاة الكفار واعتبرته سببًا من أسباب الكفر والردة، ففي الآية التالية للآية التي عذر فيها الله ﷻ المكره فيما يتلفظ به من كلام الكفر، قرر سبحانه أن حب الدنيا والعمل من أجل حظوظها لا ينفع صاحبه، ولا يشفع له عند الله تعالى إن صدر عنه ما يستلزم الكفر، فقال ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [النحل:١٠٧].

وفي آية أخرى توعد ﷻ من اتخذ أباه أو أخاه وليًّا من دون الله، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [التوبة:٢٣].

فانظر كيف نفى أن تكون صلة القرابة مهما كانت قوية عذرًا في إظهار الموالاة للكفار.

فإن لم يكن حب الأب والأخ والولد عذرًا في ولاية الكفار، فكيف يمكن أن يكون كذلك حب الزعامة والأموال وزينة الحياة الدنيا؛ بل إن الله ﷻ رفض الاعتذار بثمانية أعذار كثيرًا ما يعتذر بها الناس في ترك ما يحب الله وسوله وهو قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ

وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة:٢٤].

ولا شك أن موالاة الكفار فيها إظهار لحبهم ومودتهم، وتفضيلهم على حب الله ورسوله والجهاد في سبيله، ومثل هذا قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [المجادلة:٢٢]. فلا عذر لإنسان في موالاة الكفار خوفًا على الأموال والأبناء والأزواج والعشائر ونحو ذلك مما يعتذر به كثير من الناس.

وانظر كيف رفض الباري ﷻ قبول عذر أناس كانوا يتولون اليهود والنصارى عندما قالوا: نخشى أن تصيبنا دائرة، فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴾ [المائدة:٥١، ٥٢].

وهذه هي حال كثير من المرتدين في هذه الفتنة في هذه الأيام، وما أشبه أعذار كفار الأمس بأعذار كفار اليوم! فتجدهم يعتذرون بنفس العذر، ويخافون الدائرة التي خاف منها أولئك القوم، فيقولون لك: كيف لنا أن لا نوالي فلانًا أو تلك الطائفة وكيف لنا أن لا نظهر المودة لها ونجاملها ولو كان على حساب الدين والعقيدة، وهي تتمتع بالعطف والحماية من دول عظمى لا نقدر على الوقوف أمامها؟! أو يقولون لك: كيف نتجاهل رغبة تلك الدولة العظيمة، ولو كانت رغبتها قتل المسلمين وتشريدهم وإفساد أخلاقهم، وإبعادهم عن دينهم، والتنازل عن أراضيهم، كيف لنا ذلك؟!

تعلم أنه لا يستطيع أمثالنا الثبات لحظة في مكانه الذي هو فيه إن لم ننفذ لها رغباتها، إننا لا نستطيع التضحية بمراكزنا ومكاسبنا!! وهذا لعمر الحق هو الخوف الذي لا يجوز أن يكون إلا لله ﷻ، وقد علمت أنه يكفر من يجعله لغير الله، فهؤلاء قد كفروا مرتين: لموالاتهم للكفار، ولعبادتهم إياهم بخشيتهم لهم خشية لا تصح إلا لله .

فهذه النصوص وغيرها تدلك على أن الله ﷻ لا يعذر أحدًا في موالاة الكفار إلا من كان حاله كحال عمار بن ياسر رضي الله عنه وعن آل ياسر الذي نزل في حقه تفضل الله تعالى على العباد بالإعذار بالإكراه، وهو قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [النحل:١٠٦].

وهذا يقتضي أن يكون المكره تحت سلطان الكفار ويقدرون عليه، وتكون الرخصة عندئذ في وقت الإكراه، ولا يجوز اللجوء إليه بعد زوال التعذيب، فإن عادوا إلى تعذيبه كان له العودة إلى الرخصة، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال لعمار بعدما عرف حاله: **"فإن عادوا فعد"**.

قال ابن قدامة: "فإذا ثبت -أي المكره- أنه لم يكفر، فمتى زال عنه الإكراه أمر بإظهار إسلامه، فإن أظهره فهو باق على إسلامه، وإن أظهر الكفر حكم أنه كفر من حين نطق به؛ لأننا تبينا بذلك أنه كان منشرح الصدر بالكفر حين نطق به مختارًا له"[1].

على أن الأفضل لمن أكره على كلمة الكفر، أو على موالاة الكفار والموافقة على دينهم أن يصبر ولا يمتثل لهم، حتى ولو أتى ذلك على نفسه لما روى خباب عن رسول الله ﷺ أنه قال: **"قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون**

(١) المغني (٩/٢٤).

لحمه وعظمه، ما يصده ذلك عن دينه"[1].

ويشهد لهذا أيضًا ما ورد في الصحيح من قصة أصحاب الأخدود وما فعلوه بالمؤمنين، فصبر المؤمنون على التحريق في سبيل الله، ولم يصدهم الأخدود المؤجج بالنيران عن دينهم القويم، فثبتوا عليه وضحوا بأنفسهم في سبيله وهو تفسير قوله تعالى: ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴾ [البروج:٤-٧][2].

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: أجمع العلماء على أن من أكره على الكفر فاختار القتل أنه أعظم أجرًا عند الله ممن اختار الرخصة[3].

بعض مظاهر عدم الرضى بالإسلام:

ونذكر لك أيضًا مظهرين من مظاهر كره الإسلام التي تؤول بصاحبها إلى الردة والكفر وإن شهد الشهادتين وسمى نفسه مسلمًا، وهما:

الأول: الاستهزاء بشيء معلوم من دين الإسلام، ويدخل في ذلك الاستهزاء بالله ورسوله وكتابه أو بالمؤمنين بسبب إيمانهم ونحو ذلك، وأصل هذا قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة:٦٥، ٦٦].

ومناسبة نزول هذه الآيات أنه قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرَّائنا هؤلاء؛ أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء -يعني رسول الله ﷺ

(١) رواه البخاري، انظر: رياض الصالحين ص٣٢.

(٢) وقصة أصحاب الأخدود أخرجها بتمامها مسلم في صحيحه، انظر هذه القصة بكاملها في رياض الصالحين ص٢٧ وما بعدها.

(٣) تفسير القرطبي (١/١٨٨).

وأصحابه القراء- فقال عوف بن مالك: كذبت ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ، فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق، قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقًا بنسعة ناقة رسول الله ﷺ، وإن الحجارة تنكب رجليه، وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب فيقول له رسول الله: ﴿ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ ما يلتفت إليه، وما يزيد عليه[1].

وصور الاستهزاء كثيرة جدًّا لا تدخل تحت حصر، ويجمعها أنها جميعًا تدل على الاستخفاف بالدين وعدم الرضى عنه أو عن شيء منه، وقد يكون كلاميًّا، وقد يكون فعليًّا بالحركة والإشارة كالرف بالعين، وإخراج اللسان، ومد الشفة، والغمزة باليد عند تلاوة كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ، أو عند ذكر عقيدة الإسلام، أو شيء من مبادئه المعلومة بالضرورة ونحو ذلك.

الثاني: ظهور الكراهية والغضب عند ذكر الله أو رسوله أو تلاوة كتابه، أو ذكر شيء من أمور الدين المعروفة، أو الدعوة إليه، فقد قال ﷻ: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الحج:٧٢]، وقال أيضًا: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [محمد:٩].

نصوص بعض العلماء فيما يكون سببًا للردة:

ومن المفيد في ختام هذا البحث أن نذكر لك بعض النصوص لبعض العلماء مما

(١) تفسير ابن كثير (٢/٣٦٧).

نصوا عليه من الأفعال والأقوال والاعتقادات التي تؤول بصاحبه إلى الخروج من دين الإسلام؛ ليكون الأخ القارئ على بينة منها فلا يقع فيها، وليحذر إخوانه منها ومن الوقوع فيها، فإن معظم ما ذكروه متفق عليه، وما اختلف فيه لا يقل عن أن يكون كبيرة من الكبائر:

١- ففي كتاب الزواجر عن ارتكاب الكبائر قال الإمام ابن حجر الهيثمي: "فمن أنواع الكفر والشرك أن يعزم الإنسان عليه في زمن بعيد أو قريب، أو يعلقه باللسان أو القلب على شيء، ولو كان محالاً عقليًّا فيما يظهر، فيكفر حالاً، أو يعتقد ما يوجبه، أو يفعل أو يتلفظ بما يدل عليه سواء أصدر عن اعتقاد أو عناد أو استهزاء، كأن يعتقد قدم العالم، أو نفي ما هو ثابت لله بالإجماع المعلوم من الدين بالضرورة كإنكار علم الله أو قدرته، أو كونه يعلم الجزئيات أو إثبات ما هو منفي عنه سبحانه كالنون".

ثم شرع في بيان تفصيلات كثيرة لهذه القاعدة التي ذكرها فقال: "وفي معنى ذلك كل من فعل فعلاً أجمع المسلمون على أنه لا يصدر إلا من كافر وإن كان مصرحًا بالإسلام، كالمشي إلى الكنائس مع أهلها بزيهم من الزنانير وغيرها، أو يلقي ورقة فيها شيء من القرآن أو فيها اسم الله تعالى في نجاسة، أو يشك في نبوة نبي أجمع عليها أو إنزال كتاب كذلك كالتوراة أو الإنجيل أو زبور داود أو صحف إبراهيم ﷺ، أو في آية من القرآن مجمع عليها أو في تكفير كل قائل قولاً يتوصل به إلى تضليل الأمة أو تكفير الصحابة، أو في مكة أو الكعبة أو المسجد الحرام، أو في صفة الحاج، أو في هيئته المعروفة، وكذا الصوم والصلاة، أو استحل محرمًا كذلك كالصلاة بغير وضوء، أو استحل إيذاء مسلم أو كافر ذمي بلا مسوغ شرعي بالنسبة لاعتقاده، أو حرم حلالاً كالبيع والنكاح، أو يقول عن نبينا ﷺ: كان أسود، أو توفي قبل أن يلتحي، أو ليس بقرشي أو عربي أو إنسي؛ لأن وصفه بغير صفته تكذيب له، ويؤخذ منه أن كل صفة أجمعوا على ثبوتها له يكون إنكارها

كفرًا كما لو جوز بعثة نبي بعده، وقال: لا أدري أهو الذي بعث بمكة ومات بالمدينة أو غيره. أو قال: إن النبوة مكتسبة، أو إن رتبتها يوصل إليها بصفاء القلب. أو يقول: الولي أفضل من النبي، وأنه يوحى إليه وإن لم يدّع نبوة، أو يدخل الجنة قبل موته، أو يعيب نبينا محمدًا ﷺ، ومثله غيره من الأنبياء بل والملائكة، أو يلعنه أو يسبه أو يستخف أو يستهزئ به أو يلحق به نقصًا في نفسه أو نسبه أو دينه أو فعله، أو يعرض بذلك، أو يسبه بشيء عن طريق الإزراء أو التصغير لشأنه، أو الغض منه، أو تمنى له معرة، أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه عن طريق الذم، أو عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور، أو عيّر بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه، أو غمضه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه فيكفر بواحد مما ذكر إجماعًا، فيقتل ولا تقبل توبته عند أكثر العلماء، وقد قتل خالد بن الوليد ﷺ من قال له: عند صاحبكم. وعدّ هذه الكلمة تنقيصًا له ﷺ".

ثم قال ابن حجر: "أو يرضى بالكفر ولو ضمنًا، كأن يشير على كافر بألا يسلم وإن لم يستشره... أو سؤال الكفر لغيره؛ لأنه رضي به، أو يقول لمسلم: يا كافر. بلا تأويل؛ لأنه سمى الإسلام كفرًا، أو يسخر باسم الله تعالى أو نبيه بأن يصغره أو يسخر بأمر الله أو نبيه أو وعده أو وعيده، كأن يقول: لو أمرني بكذا لم أفعله، أو لو جعل القبلة هنا ما صليت إليها، أو لو أعطاني الجنة ما دخلتها استخفافًا أو عنادًا أو يقول: لو أخذني بترك الصلاة مع ما فيّ من الشدة والمرض ظلمني، أو قال ظالم لمظلومه القائل: هذا الظلم بتقدير الله أنا أفعل بغير تقدير الله، أو قال: لو شهد عندي ملك أو نبي ما صدقته، أو لو كان فلانًا نبيًّا ما آمنت به، أو قال: إن كان ما قاله النبي صدقًا نجونا... أو قيل له: قلم أظافرك فإنه سنة. فقال: لا أفعل وإن كان سنة. استهزاء، أو قال: لا حول ولا قوة إلا بالله لا تغني من جوع. ومثلها في ذلك سائر الأذكار كما هو ظاهر، أو قال: المؤذن يكذب. أو شبه صوته بناقوس الكفر، أو استخف بالأذان أو سمى الله

على محرم استهزاء، أو قال: لا أخاف القيامة. استهزاء، أو قال عن الله: إنه لا يتبع السارق. ناسبًا العجز إليه... أو نسب الله تعالى إلى جور في التحريم، أو لبس زي كافر ميلاً إلى دينه، أو قال: اليهود خير من المسلمين.. أو قيل له: ما الإيمان؟ فقال: لا أدري. استخفافًا أو أنكر صحبة أبي بكر أو قذف عائشة رضي الله عنها، لأنه مكذب للقرآن بخلاف غيرهما، أو قال: أنا الله. ولو مازحًا، أو قال: لا أدري حقه. جحدًا للواجبات... أو قال استخفافًا: شبعت من القرآن أو الصلاة أو الذكر أو نحو ذلك. لو قال: أي شيء المحشر أو جهنم، أو قال: لعنة الله على كل عالم. إذ قصد الاستغراق؛ لشموله الأنبياء والملائكة، أو قال: أي شيء هذا الشرع. وقصد الاستخفاف، أو قال: إذا ظهرت الربوبية زالت العبودية. وعنى بذلك رفع الأحكام، أو أنه في من صفاته الناسوتية إلى اللاهوتية أو أنه يرى الله عيانًا في الدنيا، أو يكلمه شفاهًا، أو أنه يحل في صورة حسنة، أو أنه أسقط عنه التكليف، أو قال: العبد يصل إلى الله تعالى من غير طريق العبودية، أو قال: الروح من نور الله، فإذا اتصل النور بالنور اتحد"[1].

٢- وأنقل هنا كلامًا لابن تيمية رحمه الله تعالى حول معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة:٤٤]، حيث قال: "ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر، فإنه ما من أمة إلا وهي تأمر بالحكم بالعدل، وقد يكون العدل في دينها ما رآه أكابرهم؛ بل كثير منهم من المنتسبين إلى الإسلام يحكمون بعاداتهم التي لم ينـــزلها الله كسواليف البادية، ويرون أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنة، وهذا هو الكفر، فإن كثيرًا من الناس أسلموا، ولكن لا يحكمون إلا بالعادات الجارية التي يأمر بها المطاعون، فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز

(١) عن كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر المكي (١/٢٨-٣٠)، وانظر أيضًا كلامًا قريبًا من هذا في مغني المحتاج (٤/١٣٥، ١٣٦)، وحاشية الباجوري (٢/٢٥٧).

لهم الحكم إلا بما أنزل الله فلم يلتزموا بذلك؛ بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار"[1].

وفي نفس الموضوع يقول شارح العقيدة الطحاوية: "وهنا أمر يجب أن يتفطن له، وهو أن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفرًا ينقل عن الملة، وذلك بحسب حال الحاكم، فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب وأنه مخير فيه أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله فهذا كفر أكبر"[2].

ويقول الحافظ ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠]: "ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكزخان الذي وضع لهم "الياسق" وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعًا متبعًا يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكّم سواه في قليل ولا كثير"[3].

ويقول الشيخ أحمد شاكر تعليقًا على كلام ابن كثير السابق: "أقول: أفيجوز -مع هذا- في شرع الله أن يحكم المسلمون في بلادهم بتشريع مقتبس من تشريعات أوربا

(١) من منهاج السنة النبوية، انظر: مجموعة التوحيد ص١٩٣.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص٣٦٣، ٣٦٤.

(٣) تفسير ابن كثير (٦٧/٢).

الوثنية الملحدة؟ بل تشريع تدخله الأهواء والآراء الباطلة، يغيرونه ويبدلونه كما يشاءون لا يبالي واضعه أوافق شرعة الإسلام أم خالفها..

إن المسلمين لم يبلوا بهذا قط -فيما نعلم من تاريخهم- إلا في ذلك العهد عهد التتار وكان من أسوأ عهود الظلم والظلام، ومع هذا فإنهم لم يخضعوا له؛ بل غلب الإسلام التتار، ثم مزجهم فأدخلهم في شرعته، وزال أثر ما صنعوا بثبات المسلمين على دينهم وشريعتهم، وبما أن الحكم السيئ الجائر كان مصدره الفريق الحاكم إذ ذاك، لم يندمج فيه أحد من أفراد الأمم الإسلامية المحكومة، ولم يتعلموه، ولم يعلموه أبناءهم، فما أسرع ما زال أثره.

أفرأيتم هذا الوصف القوى من الحافظ ابن كثير -في القرن الثامن- لذاك القانون الوضعي الذي صنعه عدو الإسلام جنكزخان؟ ألستم ترونه يصف حال المسلمين في هذا العصر في القرن الرابع عشر إلا في فرق واحد أشرنا إليه آنفًا: أن ذلك كان في طبقة خاصة من الحكام أتى عليها الزمن سريعًا فاندمجت في الأمة الإسلامية وزال أثر ما صنعت.

ثم كان المسلمون الآن أسوأ حالاً وأشد ظلمًا وظلامًا منهم؛ لأن أكثر الأمم الإسلامية الآن تكاد تندمج في هذه القوانين المخالفة للشريعة، والتي هي أشبه شيء بذاك "الياسق" الذي اصطنعه رجل كافر ظاهر الكفر، هذه القوانين التي يصطنعها ناس ينتسبون للإسلام ثم يتعلمها أبناء المسلمين ويفخرون بذلك آباء وأبناء، ثم يجعلون مرد أمرهم إلى معتنقي هذا "الياسق العصري"، ويحقرون من خالفهم في ذلك، ويسمون من يدعوهم إلى الاستمساك بدينهم وشريعتهم "رجعيًا" و"جامدًا" إلى مثل ذلك من الألفاظ البذيئة.

بل إنهم أدخلوا أيديهم فيما بقي في الحكم من التشريع الإسلامي، يريدون تحويله إلى "ياسقهم" الجديد، بالهوينا واللين تارة، وبالمكر والخديعة تارة، وبما ملكت أيديهم من

السلطات تارات، ويصرحون ولا يستحيون بأنهم يعملون على فصل الدولة من الدين، أفيجوز إذن -مع هذا- لأحد من المسلمين أن يعتنق هذا الدين الجديد، أعني التشريع الجديد؟...

أو يجوز لرجل مسلم أن يلي القضاء في ظل هذا "الياسق العصري" وأن يعمل به، ويعترض عن شريعته البينة، ما أظن أن رجلاً مسلمًا يعرف دينه ويؤمن به جملة وتفصيلاً، ويؤمن بأن هذا القرآن أنزله الله على رسوله كتابًا محكمًا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبأن طاعته وطاعة الرسول الذي جاء به واجبة قطعية الوجوب في كل حال، ما أظنه يستطيع إلا أن يجزم غير متردد ولا متأول بأن ولاية القضاء في هذه الحال باطلة بطلانًا أصليًا لا يلحقه التصحيح ولا الإجازة

إن الأمر في هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس، هي كفر بواح لا خفاء فيه ولا مداورة ولا عذر لأحد ممن ينتسب للإسلام -كائنًا من كان- في العمل بها أو الخضوع لها، أو إقرارها، فليحذر امرؤ لنفسه، وكل امرئ حسيب نفسه"[1].

٣- ويقول الشيخ أحمد شاكر أيضًا فيمن ينكرون حد السرقة: "هذا حكم الله في السارق والسارقة قاطع صريح اللفظ والمعنى، لا يحتمل أي شك في الثبوت ولا في الدلالة، وهذا حكم رسول الله تنفيذًا لحكم الله وطاعة أمره في الرجال والنساء، قطع اليد لا شك فيه حتى ليقول ﷺ: **"لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"**.

فانظروا إلى ما فعل بنا أعداؤنا المبشرون المستعمرون، لعبوا بديننا، وضربوا علينا قوانين وثنية ملعونة، نسخوا بها حكم الله، وحكم رسوله، ثم ربوا فينا ناسًا ينسبون إلينا، أشربوا في قلوبهم بغض هذا الحكم، ووضعوا على ألسنتهم كلمة الكفر: إن هذا حكم قاس لا يناسب هذا العصر الماجن، عصر المدنية المتهتكة وجعلوا هذا الحكم موضع سخريتهم وتندرهم، فكان عن هذا أن

(١) عمدة التفسير اختيار وتحقيق أحمد محمد شاكر (١٧١/٤).

امتلأت السجون -في بلادنا وحدها- بمئات الألوف من اللصوص، بما وضعوا في القوانين من عقوبات للسرقة ليست برادعة، ولن تكون أبدًا رادعة، ولن تكون أبدًا علاجًا لهذا الداء المستشري.

ثم أدخلوا في عقول الطبقة المثقفة وخاصة القائمين على هذه القوانين الوثنية ما يسمونه "علم النفس"، وهو ليس بعلم ولا شبيه به؛ بل هو أهواء متناقضة متباينة لكل إمام من أئمة الكفر في هذا العلم رأي ينقض رأي مخالفه، ثم جاءوا في التطبيق يلتمسون الأعذار من علم النفس لكل لص بحبسه، ثم زاد الأمر شرًّا أن يكتب اللصوص أنفسهم كلامًا يلتمسون به الأعذار لجرمهم، وقام المدافعون عنهم المقامات التي توردهم النار، يعلمون أن الجريمة ثابتة فلا يحاولون إنكارها؛ بل يحاولون التهوين من شأنها بدراسة نفسية المجرم وظروفه.

ولقد جادلت منهم رجالاً كثيرًا من أساطينهم، فليس عندهم إلا أن حكم القرآن في هذا لا يناسب العصر، وأن المجرم إن هو إلا مريض يجب علاجه لا عقابه، ثم ينسون قول الله سبحانه في هذا الحكم: ﴿ جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة:٣٨]، هذه العقوبة للتنكيل بالسارقين نصًّا قاطعًا صريحًا فأين يذهب هؤلاء الناس؟

المسألة عندنا -نحن المسلمين- هي من صميم العقيدة، ومن صميم الإيمان، فهؤلاء المنتسبون إلى الإسلام المنكرون حد القطع، أو الراغبون عنه، سنسألهم أتؤمنون بالله وبأنه خلق هذا الخلق؟ فسيقولون: نعم، أفتؤمنون بأنه يعلم ما كان وما يكون، وبأنه أعلم بخلقه من أنفسهم، وبما يصلحهم وبما يضرهم؟ فسيقولون: نعم، أفتؤمنون بأنه أرسل رسوله محمدًا بالهدى ودين الحق، وأنزل عليه هذا القرآن من لدنه هدى للناس وإصلاحًا لهم في دينهم ودنياهم؟ فسيقولون: نعم، أفتؤمنون بأن هذه الآية بعينها: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾ [المائدة:٣٨]، من القرآن؟ فسيقولون: نعم، إذن

فأنى تصرفون، وعلى أي شرع تقومون؟ أما من أجاب -ممن ينتسب للإسلام- على أي سؤال من هذه السؤالات بأن: لا. فقد عرفنا منه، وعرفنا مصيره، وقد أيقن كل مسلم من عالم أو جاهل، مثقف أو أمي أن من يقول في شيء من هذا: لا. فقد خرج من الإسلام وتردى في حمأة الردة، وأما من عدا المسلمين، ومن عدا المنتسبين للإسلام، فلن نجادلهم في هذا، ولن نسايرهم في الحديث عنه إذ لم يؤمنوا بمثل ما آمنا، ولن يرضوا عنا أبدًا، إلا أن نقول مثل قولهم، وعياذًا بالله من ذلك.

ولو عقل هؤلاء الناس الذين ينتسبون إلى الإسلام، لعلموا أن بضعة أيد من أيدي السارقين لو قطعت كل عام لنجت البلاد من سبة اللصوص، ولما وقع كل عام إلا بضع سرقات كالشيء النادر، ولخلت السجون من مئات الألوف التي تجعل السجون مدارس حقيقية للتفنن في الجرائم، أو عقلوا لفعلوا ولكنهم يصرون على باطلهم ليرضى عنهم سادتهم ومعلموهم وهيهات"[1].

٤- ومن فتاوى العلماء المسلمين حول بعض الطوائف المرتدة عن دين الإسلام أنقل لك جواب ابن تيمية رحمه الله تعالى على سؤال عن طائفة من هذه الطوائف تسمى "النصيرية" فقال: "الحمد لله رب العالمين هؤلاء القوم المسمون بالنصيرية هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى؛ بل وأكفر من كثير من المشركين، وضررهم على أمة محمد ﷺ أعظم من ضرر الكفار المحاربين مثل كفار التتار والإفرنج وغيرهم، فإن هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع، وموالاة أهل البيت، وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه، ولا بأمر ولا نهي، ولا ثواب ولا عقاب، ولا جنة ولا نار، ولا بأحد من المرسلين قبل محمد ﷺ، ولا بملة من الملل السالفة؛ بل يأخذون كلام الله ورسوله المعروف عند علماء المسلمين يتأولونه

(١) عمدة التفسير (٤/١٤٦، ١٤٧).

على أمور يفتروها، يدعون أنها علم الباطن، وليس لهم حد محدود فيما يدعونه من الإلحاد في أسماء الله تعالى وآياته، وتحريف كلام الله تعالى ورسوله عن مواضعه...

ومن المعلوم عندنا أن السواحل الشامية إنما استولى عليها النصارى من جهتهم، وهم دائمًا مع كل عدو للمسلمين، فهم مع النصارى على المسلمين، ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار، ومن أعظم أعيادهم إذا استولى - والعياذ بالله تعالى النصارى على ثغور المسلمين... فهؤلاء الملحدون لله ورسوله كثروا حينئذ بالسواحل وغيرها، فاستولى النصارى على الساحل، ثم بسببهم استولوا على القدس الشريف وغيره، فإن أحوالهم كانت من أعظم الأسباب في ذلك، ثم لما أقام الله ملوك المسلمين المجاهدين في سبيل الله تعالى كنور الدين الشهيد، وصلاح الدين، وأتباعهما، وفتحوا السواحل من النصارى وممن كان بها منهم، وفتحوا أيضًا أرض مصر، فإنهم كانوا مستولين عليها نحو مائتي سنة، واتفقوا هم والنصارى فجاهدهم المسلمون حتى فتحوا البلاد...

ثم إن التتار ما دخلوا بلاد الإسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك المسلمين إلا بمعاونتهم ومؤازرتهم...

ولهم ألقاب معروفة عند المسلمين تارة يسمون "الملاحدة"، وتارة يسمون "القرامطة"، وتارة يسمون "الباطنية"، وتارة يسمون "الإسماعيلية"، وتارة يسمون "الخرمية"، وتارة يسمون "المحمرة" وهذه الأسماء منها ما يعمهم ومنها ما يخص بعض أصنافهم... ولا ريب أن جهاد هؤلاء وإقامة الحدود عليهم من أعظم الطاعات وأكبر الواجبات، وهو أفضل من جهاد من لا يقاتل المسلمين من المشركين وأهل الكتاب، فإن جهاد هؤلاء من جنس جهاد المرتدين، والصديق وسائر الصحابة بدأوا بجهاد المرتدين قبل جهاد الكفار من أهل الكتاب... وأيضًا فضرر هؤلاء على المسلمين أعظم من ضرر أولئك... ويجب على كل مسلم أن يقوم في ذلك بحسب ما يقدر عليه من الواجب فلا يحل لأحد أن يكتم ما يعرفه عن أخبارهم؛ بل يفشيها

ويظهرها ليعرف المسلمون حقيقة حالهم، ولا يحل لأحد السكوت عن القيام عليهم بما أمر الله به ورسوله... والمعاونون على كف شرهم وهدايتهم بحسب الإمكان له من الأجر والثواب ما لا يعلمه إلا الله تعالى"[1].

الاحتياط في تكفير المعينين:

يقول صاحب شرح العقيدة الطحاوية: "إن الأقوال الباطلة المبتدعة المحرفة المتضمنة نفي ما أثبته الرسول، أو إثبات ما نفاه، أو الأمر بما نهى عنه، أو النهي عما أمر به، يقال فيها الحق ويثبت لها الوعيد الذي دلت عليه النصوص، ويبين أنها كفر ويقال: من قالها فهو كافر ونحو ذلك... وإنما الشخص المعين إذا قيل: هل تشهدون أنه من أهل الوعيد وأنه كافر؟ فهذا لا نشهد عليه إلا بأمر تجوز معه الشهادة، فإنه من أعظم البغي أن يشهد على معين أن الله لا يغفر له، ولا يرحمه؛ بل يخلده في النار، فإن هذا حكم الكافر بعد الموت[2] ولأن الشخص المعين يمكن أن يكون مجتهدًا مخطئًا مغفورًا، ويمكن أن يكون ممن لم يبلغه ما وراء ذلك من النصوص، ويمكن أن يكون له إيمان عظيم وحسنات أوجبت له رحمة الله كما غفر للذي قال: إذا مت فاسحقوني ثم أذروني ثم غفر الله له لخشيته[3].

لكن هذا التوقف في أمر الآخرة لا يمنعنا أن نعاقبه في الدنيا لمنع بدعته، وأن نستتيبه، فإن تاب وإلا قتلناه ثم إذا كان القول في نفسه كفرًا، قيل: إنه كفر والقائل له يكفر بشروط وانتفاء موانع..."[4].

يتضح لك من هذا الكلام أنه ينبغي الاحتياط في تكفير الأشخاص المعينين وهنا

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٥/١٤٩) وما بعدها.

(٢) يقصد أن ذلك من اختصاص الله سبحانه وليس من اختصاص العباد.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (١٧/٧٢).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص٣٥٧، ٣٥٨.

أمور هامة ينبغي أخذها بعين الاعتبار عند الكلام عن نواقض الإسلام.

الأمر الأول: إن هنالك أمورًا كثيرة تتناقض مع الشهادتين، إما لمنافاتها للإيمان بالله، وإما لمناقضتها للإيمان برسول الله ﷺ وما جاء به، فيجب على كل من يعلمها ويعلم ما يدل عليها من النصوص أن ينبه عليها، ويحذر منها، ويفصل أنواعها وضوابطها بقدر ما أوتي من العلم، ويبين أدلتها من القرآن والسنة، فهذا من بيان الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وانفاعل ذلك له أجره عند ربه، إن أخلص النية.

الأمر الثاني: إن هذه الأمور المكفرة تختلف في قوة دلالتها على الكفر فمنها ما يدل عليه بصريح العبارة لا بما يلزم منه، ومنها ما يدل على الكفر بما يلزم منه لا بصريح العبارة، وهذا النوع الثاني منه ما يكون لازمه قريبًا ومفهومًا بأدنى تأمل، ومنه ما يكون أبعد من ذلك.

فمن وقع في النوع الأول أمكن الشهادة عليه بالكفر، ولا يعذر فيه أحد إلا المكره بالمعنى المتقدم، وفي حدود التلفظ به باللسان دون الاعتقاد به، وكذلك ما يقترب به من النوع الثاني كمن يدعي أنه إله، فإنه يستلزم الشريك لله تعالى، وإن لم ينف الألوهية عن الله تعالى، ومثله من يدعي إحدى خصائص الألوهية كحق التحليل والتحريم للعباد.

وكمن يقول بقدم العالم فإنه يلزم منه القول بأن الله لم يخلق، ولا تأويل له غير ذلك. فهو في قوته كالكفر الصريح، ولا يعذر قائله، وكمن يصدر عنه الرضا الصريح بالكفر كمن يقول لمن أنكر وجود الله: صدقت، أو أنك على حق، فهذا لا يقل في دلالته على الكفر من قول المنكر نفسه، وقد يكون سبب القوة كثرة صدور أفعال الكفر وأقواله من شخص معين، وإقامته عليها، ومن هذا إقامة الشخص على موالاة الكفار، وكثرة حصول أفعالها منه، فإن من

المستحيل عرفًا قيام عذر لشخص يقيم طوال حياته أو معظمها على أفعال وأقوال تستلزم الكفر أو الرضى به.

ومن وقع فيما يؤدي إلى الكفر عن طريق النظر إلى ما يلزم منه فهذا الذي ينبغي الاحتياط فيه عند تطبيقه على شخص معين وتزداد الحاجة إلى الاحتياط كلما كان اللازم بعيدًا عن الأمر الذي صدر من ذلك الشخص المعين، وذلك بأن ينظر إلى الظروف والقرائن الظاهرة القوية الدلالة[1]، وهذا الأمر لا يتأتى في الواقع لعامة الناس وإنما يقدر عليه من ملك وسائل الحكم والقضاء في الدولة الإسلامية.

ونضرب لذلك مثلاً: لو أن شخصًا ألقى شيئًا من القرآن في نجاسة فهذا العمل في حد ذاته، وبغض النظر عن الفاعل، أجمع الفقهاء على التكفير بسببه؛ لأنه يلزم من هذا الفعل تحقير كلام الله والاستخفاف به، فلو رآه شخص آخر فله أن يقول عن هذا العمل إنه كفر. ولكن لا يستطيع تكفير الشخص المعين الذي فعله، حتى يعرف أمرين اثنين على الأقل: أن هذا الشخص يعرف أن ما ألقاه هو القرآن، ويعرف أن الملقى فيه هو النجاسة، فإذا علم ذلك كأن أقر بذلك كان الحكم بالكفر، ولكن قد يكون الشخص أميًّا لا يدري ما ألقاه، وقد يكون غير مبصر لا يدري ما ألقاه، ولا يدري ما ألقي فيه، وعندئذ تكون هذه قرينة ظاهرة على عدم إرادة التحقير، ويعذر ذلك الشخص المعين.

ومن هنا وجب الاحتياط في تكفير فلان أو فلان إلا أن يصدر منه الكفر الصريح الذي ليس له تأويل معقول سوى الكفر، مع وجوب التنبيه على جميع الأقوال والأعمال التي يلزم منها الكفر إذا تحققت شروط وانتفت موانع.

الأمر الثالث: إن هنالك حكمين يترتبان على كفر العبد، الأول: دنيوي وهو

(١) أشار إلى هذا المعنى ابن حجر الهيتمي في كتابه الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/٢٨).

استحقاق المرتد في الدنيا جميع ما دلت عليه النصوص الشرعية من الأحكام التي يجب تنفيذها عليه في هذه الحياة الدنيا، والتي مبناها على ما يصدر عن الإنسان في الظاهر دون النظر إلى مكنونات القلوب، وذلك كاستحقاق المرتد القتل إن لم يتب، والتفريق بينه وبين زوجته، وعدم حل ذبيحته، ولا إنكاحه، وغير ذلك، فهذا من اختصاص العباد في هذه الدنيا، ويطبقونه على الشخص المعين، وبعض هذه الأحكام يختص بالإمام كالاستتابة والقتل.

والحكم الثاني: هو الحكم الأخروي، وهو استحقاق المرتد للخلود في النار فهذا الحكم يختص بإصداره وتنفيذه على فلان وفلان وفلان ممن يستحقونه، أحكم الحاكمين ﷻ، ونحن لا نقدر عليه في الحياة الدنيا ولا نعلمه بخصوص شخص معين، وليس من اختصاص العباد أصلاً، فليس لأحد في هذه الدنيا أن يدعي أنه يعرف مقعد شخص معين في الجنة أو في النار، اللهم إلا من أعلمهم الله بذلك من الرسل عليهم الصلاة والسلام، كمن بشرهم رسول الله ﷺ بالجنة، وهم العشرة من الصحابة الذين شهد لهم الرسول ﷺ بالجنة، وكمن أخبر عنهم الله في كتابه، أو شهد الرسول أنهم من أهل النار، كأبي لهب الذي نزل فيه قرآن يدل على ذلك.

نعم لنا أن نحكم بصورة إجمالية فنقول من كفر بالله أو ارتد عن دينه خلد في النار، وحرمت عليه الجنة، وهذا هو الحد الذي يجب على المسلم أن يقف عنده، وإلا كان باغيًا ومعتديًا، كما قال شارح العقيدة الطحاوية فيما تقدم، وكما قال الطحاوي رحمه الله: "ولا ننـــزل أحدًا منهم جنة ولا نار"[1].

(١) العقيدة الطحاوية مع شرحها ص٤٢٦.

خلاصة الوحدة الثالثة

١- الإيمان اسم يقع على الإقرار باللسان، والتصديق بالقلب، والعمل بالجوارح.

٢- أجمع أهل السنة على أن الله يطلب من العباد قولاً وعملاً.

٣- أجمع أهل السنة على أن مرتكب الكبيرة ليس كافرًا ما دام غير مستحل لها.

٤- الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

٥- العلم النافع، والعمل الصالح، وذكر الله والتفكر في آلائه ـــ من أسباب زيادة الإيمان.

٦- من نطق بالشهادتين مصدّقًا بهما، ولم يقرنهما بما ينقضهما من القول أو العمل أو الاعتقاد، فقد دخل في دين الله وفارق الكفر.

٧- يخرج المرء من الإسلام إذا صدر منه قول أو عمل أو اعتقاد يناقض إقراره السابق وتصديقه بالشهادتين.

٨- نواقض الإيمان أربعة أنواع:

- نوع يتضمن الطعن في الربوبية.
- نوع يتضمن الطعن في الألوهية.
- نوع يتضمن الطعن في الأسماء.
- نوع يتضمن الطعن في الرسالة أو صاحبها ﷺ.

٩- الرضى بالكفر أو عدم الرضى بالإسلام كفر.

١٠- من مظاهر الرضى بالكفر عدم تكفير الكافرين، أو موالاتهم، أو إظهار الموافقة على دينهم.

١١- من مظاهر عدم الرضى بالإسلام: الاستهزاء بشيء معلوم من دين الإسلام، وإظهار الكراهية والغضب عند ذكر الله أو رسوله أو كتابه.

١٢- يجب الاحتياط في تكفير المعينين.

١٣- الأمور المكفرة تختلف في قوة دلالتها على الكفر.

الاختبار البعدي للوحدة الثالثة

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

عزيزي الدارس: ضع علامة (✓) أمام الإجابة الصحيحة وعلامة (X) أمام الإجابة الخطأ في كل مما يلي:

١- الأدلـــة أظهر في أن الإيمان اسم يقع على الإقرار باللسان والتصديق بالقلب، وأن عمل الجوارح من لوازمه ومقتضياته.

٢- مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان وإن أصر عليها.

٣- الإيمان مسألة قلبية في الأصل بدليل قوله تعالى: ﴿ **يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم** ﴾ ولذلك فالمعرفة القلبية كافية في تحقيق اسم الإيمان.

٤- الدخول في الإسلام بالنظر إلى أحكام الدنيا هو النطق بالشهادتين فقط.

٥- أهـــل السنة متفقون على أن الإنسان لا يكون مؤمناً إذا أصر على كبيرة كالزنى لقوله ـــ ﷺ ـــ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن...**».

٦- نقض الإيمان لا يكون بالقول أو العمل وإنما يكون بالاعتقاد القلبي.

٧- ظواهر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تدل على أن الإيمان يزيد وينقص كقوله تعالى: ﴿ ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ﴾ وعلى هذا إجماع أهل القبلة.

٨- الآثار الواردة عن الصحابة تدل على أنهم كانوا يعتقدون أن الإيمان يزيد وينقص.

٩- المطلـــوب من الشخص الذى يريد الدخول في الإسلام في أول الأمر هو الإقرار التفصيلي بمسائل الإيمان فقط.

١٠- لا يدخل النار من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله.

١١- الإيمان المجمل ينجي صاحبه من النار.

١٧- الإيمان المفصل لا يعصم صاحبه من دخول النار.

١٢- من لقي الله بالتوحيد فمصيره الجنة مهما فعل من الكبائر ولو مستحلاً لها.

١٣- الدخول في دين الإسلام يكون بالنطق بالشهادتين بإجماع أهل السنة.

١٤- لا يشترط النطق بالشهادتين للدخول في الإسلام بدليل سقوطه في حق الأخرس بالإجماع.

١٥- ليس في كل الأحوال تقبل الشهادتين فقط ممن أراد الدخول في الإسلام.

١٦- كلمة (لا إله إلا الله) تنقض جميع التصورات الباطلة عن الخالق.

١٧- الـــنطق بالشهادتين يعد كافياً لاعتبار الناطق بهما مسلماً في الدنيا، كما أن ذلك ينجيه من الخلود في النار.

١٨- إجراء الأحكام الشرعية في الدنيا لا يكون إلا على الظاهر فقط.

١٩- «لا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يصر عليه» هذه القاعدة ذكرها الإمام الطحاوى في متن العقيدة الطحاوية.

٢٠- التكذيب بخلق الله لأي شيء من المخلوقات يعد من الكفر الأكبر لأنه يقدح في توحيد الربوبية.

٢١- القول بقدم العالم من الكفر الأكبر.

٢٢- إثبات صفة لله نفاها عنه رسول الله ـــ ﷺ ـــ كفر أكبر.

٢٣- التكذيب ببعض صفات الله كفر أكبر.

٢٤- مـــن نفى صفة العلم عن الله فهو كافر، ومن أقر بها ولكنه ادعى أنه علم إجمالي فليس بكافر مطلقاً.

٢٥- إثـــبات الولد لله أحد الأمور التي كفر اليهودُ والنصاري باعتقادها ومن أقرهم عليها كفر بالإجماع.

٢٦- القول بأن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع، من الأقوال التي كفر أهل الكتاب باعتقادها.

٢٧- أكثر ارتداد الناس وكفرهم يرجع إلي الطعن في ألوهية الله.

٢٨- المشركون من العرب كانوا مقرين بتوحيد الربوبية من كل وجه بدليل قوله تعالى: ﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم ﴾.

٢٩- الطواف بغير الكعبة كفر بألوهية الله.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

عزيـــزي الطالب: اختر الإجابة الصحيحة من بين البدائل التي تلي كل سؤال فيما يلي:

- الإيمان بالنظر إلى أحكام الدنيا يكون بـــ :

١ - النطق بالشهادتين. ٢- التصديق بالقلب.

٣ - العمل بالجوارح. ٤ - كل ما سبق.

- حديـــث أســـامة بن زيد الذى قال فيه رسول الله ـــ ﷺ ـــ «أفلا شققت عن قلبه..» هذا الحديث فيه دلالة على:

١ - ضرورة مطابقة الظاهر للباطن.

٢ - إجراء الأحكام على الظاهر فقط.

٣ - أن الإيمان هو الإقرار باللسان مطلقاً.

٤ - ضرورة التثبت والتبين قبل إجراء الأحكام.

- من نطق بالشهادتين مع تكذيبه بوجوب الزكاة فهو:

١ - مؤمن فى الظاهر كافر فى الباطن.

٢ - يدخل النار ولكن لا يخلد فيها.

٣ - يدخل النار خالداً فيها، ولا تنفعه الشهادتان.

٤ - يكون فى مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.

- مـــن كـــان يعتقد التوحيد، وبأن محمداً ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ رسول الله للعرب خاصة فإنه يطالب عند إسلامه:

١ - بالشهادتين كغيره من الكفار.

٢ - بأن يقرن شهادته بالإقرار بعموم الرسالة للعالمين.

٣ - بالشـــهادة الأولى (لا إله إلا الله) فقط وبها يكون مسلماً ثم يتم تعليمه أن رسالة محمد ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ للناس كافة.

- من ارتد عن الإسلام بجحوده لوجوب الصلاة، فإنه يعود إلى الإسلام:

١ - بالشهادتين كغيره من الكفار.

٢ - بالشهادتين مع إقراره بوجوب الصلاة.

٣ - بالشهادتين مع أدائه للصلاة.

٤ - بأدائه للصلاة.

٥ - بإقراره بوجوب الصلاة.

- إسناد تدبير الكون إلى الصدفة أو الطبيعة يعد:

١ - من الكفر الأكبر. ٢ - من الكفر الأصغر.

٣ - ابتداعاً بغير كفر. ٤ - من باب إسناد الأسباب إلى مسبباتها.

- مسألة القول بـــ «قِدَم العالَم»:

١ - من المسائل العلمية الكونية التي لا تبحث في كتب العقائد.

٢ - قول مبتدع لم تثبت صحته أو فساده.

٣ - من الكفر الأصغر.

٤ - من الكفر الأكبر.

- قـــال تعالى: ﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز

الحكيم ﴾ في هذه الآية دلالة على:

١ - أن الكفار كانوا مؤمنين فى الباطن وإن أظهروا الكفر للعناد والاستكبار.

٣ - أن كفرهم كان بألوهية الله لا ربوبيته.

٤ - أنهم كانوا مؤمنين بأسماء الله وصفاته.

- صرف العبادة لغير الكفر يعد كفراً:

١ - بالألوهية فقط. ٢- بالربوبية فقط

٣ - بالألوهية والربوبية. ٤ - بالألوهية والربوبية والأسماء والصفات.

- مـــن وضع قانوناً يحرم فيه الزنا ولكنه جعل عقوبته هى السجن فقط فحكم هذا الفعل هو:

١ - كفر أصغر. ٢ - كفر أكبر.

٣ - اجتهاد خاطئ. ٤ - كل ما سبق ليس صحيحاً بإطلاق.

- إصدار التشريعات التي لم تتعرض لها نصوص الشرع:

١ - كفر أكبر. ٢ - كفر أصغر.

٣ - ابتداع بغير كفر. ٤ - اجتهاد سائغ.

- إنكار وجوب اتباع السنة مطلقًا:

١ - كفر أكبر.

٢ - كفر أصغر

٣ - ابتداع بغير كفر.

- هناك بعض الطوائف الكافرة تنسب نفسها إلى الإسلام وتتظاهر أنها لا تنكر شيئًا منه أمام العامة. واجب العالم بحال هذه الطوائف هو:

١ - تكفيرها وتكفير من لم يكفرها.

٢ - تكفيرها وإظهار معتقداتها الفاسدة فقط.

٣ - التوقف فى تكفيرها.

- إذا قال الجاهل: «النصارى ليسوا كفاراً» فإن:

١ - قوله كفر ولكنه لا يكفر لجهله.

٢ - قوله كفر ولا يعذر بجهله.

٣ - قوله لا يعد كفراً أصلاً.

- إذا قال المكره لمن يُكرهه: «أرجوك أن تغفر لي» فحكم هذا المكره:

١ - قوله كفر ولكنه لا يكفر لأنه مكره.

٢ - قوله كفر ولا يعذر لأنه يلزمه أن يصبر.

٣ - إذا كان الإكراه بالتعذيب فإنه لا يكفر، وإن كان أدنى من ذلك فإنه يكفر.

- قال عبد الله بن عتبة: «ليتق أحدكم أن يكون يهودياً أو نصرانياً وهو لا يشعر».

المقصود من هذا القول:

١ - ضرورة معرفة تفاصيل الأقوال الباطلة لليهود والنصارى لاجتنابها.

٢ - عدم موالاة اليهود والنصارى.

٣ - عدم التعامل مع اليهود والنصارى في الأمور الدنيوية كثيراً مخافة الميل إليهم.

ثالثاً: أسئلة المقال:

١- قارن بين مذهب أبي حنيفة والأئمة الباقين من أهل السنة في مسألة حقيقة الإيمان، موضحًا أوجه الاتفاق والاختلاف؟

٢- يعود اختلاف الناس في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه إلى اختلافهم في تحديد مسمى الإيمان. وضح ذلك؟

٣- ما هي أهم أسباب زيادة الإيمان؟ وضح مع ذكر الأدلة.

٤- كيف يصير الكافر مؤمنًا؟ وضح مع ذكر الأدلة.

٥- يمكن حصر نواقض الإيمان في أربعة أنواع، وضّحها مع ذكر أمثلة.

٦- عدم تكفير الكافر يعدّ من الكفر الذي يخرج من الملة. تحدث عن هذه القاعدة مبينًا الاحتياطات التي يجب مراعاتها عند تطبيقها؟

٧- ما المقصود بموالاة الكفار؟ وما حكم هذه الموالاة؟

٨- اذكر بعض الأمثلة العملية لموالاة الكافرين؟

٩- على أي شيء تستدل بقوله تعالى: ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾ [آل عمران: ٢٨]؟

١٠- وضح حدود الإكراه المعتبر في موالاة الكفار.

١١- هل يؤذن في الموالاة القلبية للكفار؟ ولماذا؟

١٢- اذكر بعض مظاهر عدم الرضى بالإسلام؟

١٣- يعـــدّ الـــتحاكم إلى غـــير شـــرع الله من مظاهر الكفر. ناقش هذه العبارة مع الاستدلال؟

١٤- هـــناك أمـــور واحتياطات هامة ينبغي أخذها بعين الاعتبار عند تكفير المعينين، وضح هذه الأمور، مع ذكر أمثلة؟

النشاط التعليمي للوحدة الثالثة

عزيزي الدارس: حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول الموضوعات الواردة في هذه الوحدة، عليك أن تقوم بتنفيذ النشاط التعليمي التالي:

اكتب مقالة تلخص فيها حقيقة الإيمان، وتعرض فيها لعدد من نواقض الإيمان، وذلك من خلال مراجعتك المصادر والمراجع في هذا الشأن.

الوحدة الرابعة

حكم أهل

المعاصي

الوحدة الرابعة: حكم أهل المعاصي

مبررات دراسة الوحدة:

الثواب والعقاب، والحسنة والسيئة من الأمور التي يتحتم على كل مسلم الإيمان بها، ولكن مع ذلك، فإن البشر بحكم طبيعتهم غير معصومين، وكما قال النبي ﷺ " **كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**"، وعن المعرور بن سويد قال: سمعت أبا ذر يحدث عن النبي ﷺ أنه قال: "أتاني جبريل عليه السلام **فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق**". رواه مسلم

يقول الإمام النووي في شرح هذا الحديث: "وأما حكمه ﷺ على من مات مشركًا بدخول النار، ومن مات غير مشرك بدخول الجنة فقد أجمع عليه المسلمون، **فأما** دخول المشرك النار فهو على عمومه، فيدخلها ويخلد فيها، ولا فرق فيه بين الكتابي اليهودي والنصراني وبين عبدة الأوثان وسائر الكفرة، ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عنادًا وغيره ولا بين من خالف ملة الإسلام وبين من انتسب إليها ثم حكم بكفره بجحده وغير ذلك، **وأما** دخول من مات غير مشرك الجنة فهو مقطوع له به، لكن إن لم يكن صاحب كبيرة مات مصرًّا عليها دخل الجنة أولاً، وإن كان صاحب كبيرة مات مصرًّا عليها فهو تحت المشيئة، فإن عفي عنه دخل أولاً، وإلا عذب ثم أخرج من النار، وخلد في الجنة... وأما قوله ﷺ: **"وإن زنى وإن سرق"** فهو حجة لمذهب أهل السنة أن أصحاب الكبائر لا يقطع لهم بالنار، وأنهم إن دخلوها أخرجوا منها وختم لهم بالخلود في الجنة".

عزيزي الدارس: سوف تتعلم الكثير من الأحكام وتكتسب المزيد من المعلومات حول حكم أهل المعاصي، وذلك من خلال دراسة هذه الوحدة.

الأهداف التعليمية للوحدة:

عزيزي الدارس: يرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادراً على أن:

١- أن توضح أثر المعاصي على إيمان من ارتكبها.

٢- أن تذكر الأدلة على عدم تكفير أهل المعاصي.

٣- أن تبين مذهب أهل السنة من مرتكب المعاصي.

٤- أن تذكر تعريف الكبيرة وحدّها.

٥- أن تذكر أمثلة لبعض الكبائر.

٦- أن تعدد بعض أسباب سقوط العقوبة عن أهل المعاصي.

* * *

الوحدة الرابعة
حكم أهل المعاصي

أولاً

- اقتراف المعاصي بمفرده لا يخرج من دين الله.

١- عن عثمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة**"

٢- تأويل الأخبار الواردة بأن

ثانياً

- **الكبائر**: عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال: "كنا عند رسول الله ﷺ فقال: "**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر (ثلاثًا): الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور أو قول الزور**"، وكان رسول الله ﷺ متكئًا فجلس فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت.
- تعريف الكبيرة ومعيارها.
- ذكر بعض الكبائر.

ثالثاً

- **أسباب سقوط العقوبة عن العصاة:**

١- التوبة. ٢- الاستغفار. ٣- فعل الحسنات. ٤- الوقوع في المصائب الدنيوية.

٥- عذاب القبر. ٦- أهوال يوم القيامة وشدائده. ٧- شفاعة من أذن الله لهم بالشفاعة يوم القيامة.

٨- عفو أرحم الراحمين من غير شفاعة.

٩- دعاء المؤمنين واستغفارهم في الحياة وبعد الممات.

١٠- ما يهدى للعبد المؤمن من ثواب صدقة أو قراءة أو حج.

الوحدة الرابعة: حكم أهل المعاصي

اقتراف المعاصي بمفرده لا يخرج من دين الله:

لقد تقدم قول الطحاوي رحمه الله تعالى: "ولا نكفّر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله، ولا نقول: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله".

ويقول الإمام النووي رحمه الله تعالى: "واعلم أن مذهب أهل السنة وما عليه أهل الحق من السلف والخلف أن: من مات موحدًا دخل الجنة قطعًا على كل حال، فإن كان سالمًا من المعاصي كالصغير والمجنون والذي اتصل جنونه بالبلوغ والتائب توبة صحيحة من الشرك أو غيره من المعاصي إذا لم يحدث معصية بعد توبته والموفق الذي لم يبتل بمعصية أصلاً، فكل هذا الصنف يدخلون الجنة، ولا يدخلون النار أصلاً، لكنهم يردونها على الخلاف المعروف في الورود، والصحيح أن المراد به: المرور على الصراط، وهو منصوب على ظهر جنهم -أعاذنا الله منها ومن سائر المكروه-، وأما من كانت له معصية ومات من غير توبة فهو في مشيئة الله تعالى، فإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة أولاً، وجعله كالقسم الأول، وإن شاء عذبه القدر الذي يريده ﷻ ثم يدخله الجنة، فلا يخلد في النار أحد مات على التوحيد ولو عمل من المعاصي ما عمل، كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات على الكفر ولو عمل من أعمال البر ما عمل، هذا مختصر جامع لمذهب أهل الحق في هذه المسألة، وقد تظاهرت أدلة أهل الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به من الأمة على هذه القاعدة وتواترت بذلك النصوص تحصل العلم القطعي، فإذا تقررت هذه القاعدة حمل عليها جميع ما ورد من أحاديث الباب[1] وغيره، فإذا ورد حديث في ظاهره مخالفة وجب تأويله عليها؛ ليجمع بين نصوص الشرع"[2].

---

(١) وهو الباب الذي عنون له النووي بقوله: "باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا".

(٢) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١/٢١٧)، وذكر مثل هذا في نفس الجزء ص٢٢٠.

فمن مات على الإيمان وتشهّدٍ مخلصًا من قلبه بالشهادتين فمآله دخول الجنة. وعدم التخليد في النار مهما ارتكب من المعاصي إذا لم يستحلها، أو ينكر أمرًا معلومٌ من الدين بالضرورة أو يقع منه بعض ما يؤدي إلى نقض الشهادتين مما تقدم تفصيل أنواعه، فمجرد فعل المعصية لا يدل على نقض الشهادتين ولا يكون سببًا للتخليد في النار.

ويدل على هذا الأصل أحاديث كثيرة صرحت بأن الجنة هي مصير كل من شهد الشهادتين مخلصًا مصدّقًا بقلبه لما يدلان عليه من التوحيد وتصديق الرسول ﷺ في كل ما جاء به، وبعض هذه الأحاديث صرح بأن المعاصي والكبائر وحدها لا تمنع من دخول الجنة في المآل، وإن عذب المؤمن بسببها ومن هذه الأحاديث:

١- عن عثمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة"**(١).

٢- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبدٌ غير شاك فيهما إلا دخل الجنة"**(٢).

٣- وعن عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"من قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء"**، وفي رواية: **"أدخله الجنة على ما كان من عمل"**(٣).

---

(١) صحيح مسلم مع شرح النووي (١/٢١٨).

(٢) صحيح مسلم مع شرح النووي (١/٢٢٤).

(٣) صحيح مسلم مع شرح النووي (١/٢٢٧)، وأخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء.

٤- وعن العباس بن عبد المطلب ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولاً**"(١).

٥- وقال رسول الله ﷺ: "**يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان**"(٢).

٦- وعن المعرور بن سويد قال: سمعت أبا ذر يحدث عن النبي ﷺ أنه قال: "**أتاني جبريل عليه السلام فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة**"، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: "**وإن زنى وإن سرق**"(٣).

قال الإمام النووي في شرح هذا الحديث: "وأما حكمه ﷺ على من مات مشركًا بدخول النار، ومن مات غير مشرك بدخول الجنة فقد أجمع عليه المسلمون، فأما دخول المشرك النار فهو على عمومه، فيدخلها ويخلد فيها، ولا فرق فيه بين الكتابي اليهودي والنصراني وبين عبدة الأوثان وسائر الكفرة، ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عنادًا وغيره ولا بين من خالف ملة الإسلام وبين من انتسب إليها ثم حكم بكفره بجحده وغير ذلك، وأما دخول من مات غير مشرك الجنة فهو مقطوع له به، لكن إن لم يكن صاحب كبيرة مات مصرًّا عليها دخل الجنة أولاً، وإن كان صاحب كبيرة مات مصرًّا عليها فهو تحت المشيئة، فإن عفي عنه دخل أولاً، وإلا عذب ثم أخرج من النار، وخلد في الجنة... وأما قوله ﷺ: "**وإن زنى وإن سرق**" فهو حجة لمذهب أهل السنة أن أصحاب الكبائر لا يقطع لهم بالنار، وأنهم إن دخلوها أخرجوا منها وختم لهم بالخلود في الجنة"(٤).

وأما الأحاديث التي أشار إليها النووي فيما تقدم بقوله: "فإذا ورد حديث في

---

(١) صحيح مسلم مع شرح النووي (٢/٢).

(٢) متفق عليه واللفظ للبخاري، انظر صحيح البخاري (١/٦١)، وصحيح مسلم بشرح النووي (٣/٣٦).

(٣) متفق عليه واللفظ لمسلم (٢/٩٤)، وانظر صحيح البخاري في كتاب الجنائز.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/٩٧).

ظاهره مخالفة -أي للقاعدة السابقة- وجب تأويله عليها؛ ليجمع بين نصوص الشرع". فهي عدة أنواع: نوع منها ظاهره نفي الإيمان عمن ارتكب بعض المعاصي، ونوع فيه البراءة من النبي ﷺ لمن ارتكب بعض المعاصي، ونوع فيه تسمية لبعض المعاصي كفرًا وشركاً[1]، ونذكر لك من هذه الأحاديث ما يلي:

١- قوله ﷺ: **"سباب المسلم فسوق وقتاله كفر"**[2].

٢- وقوله ﷺ: **"لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض"**[3].

٣- وقوله ﷺ: **"من حلف بغير الله فقد أشرك"**[4].

٤- وقوله ﷺ: **"اثنتان من الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت"**[5].

٥- وقوله ﷺ: **"لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، والتوبة معروضة بعد"**[6].

٦- وقوله ﷺ: **"من حمل علينا السلاح فليس منا، ومن غشنا فليس منا"**[7].

---

(١) رسالة الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام مطبوعة مع رسائل أخرى ص٨٤.

(٢) متفق عليه، انظر: صحيح البخاري مع فتح الباري (٩٦/١)، وصحيح مسلم بشرح النووي (٥٤/٢).

(٣) متفق عليه، انظر: صحيح البخاري مع فتح الباري (١٧٥/١)، وصحيح مسلم بشرح النووي (٥٥/٢).

(٤) أخرجه أحمد والترمذي والحاكم في المستدرك عن ابن عمر رضي الله عنهما، انظر: الفتح الرباني (١٦٤/١٤-١٦٦)، وصحيح الترمذي بشرح ابن العربي (١٨/٣)، والمستدرك (١٨/١).

(٥) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (٥٧/٢).

(٦) متفق عليه واللفظ لمسلم، انظر صحيح البخاري في كتاب الأشربة، وصحيح مسلم بشرح النووي (٤٥/٢).

(٧) صحيح مسلم بشرح النووي (١٠٨/٢).

٧- وقوله ﷺ: "ليس منا من ضرب الخدود أو شق الجيوب أو دعا بدعوى الجاهلية"[١].

ولهذه الأحاديث نظائر أخرى و لم يحملها على ظاهرها إلا طائفة الخوارج الذين كفّروا مرتكب الكبيرة.

وأما أهل السنة فموقفهم منها جميعًا تأويلها بما يتفق مع القاعدة السابقة.

وهذا الموقف هو القدر المشترك بينهم ولكن اختلفت مذاهبهم في التأويل فمنهم من أولها بأن المقصود بها كفر النعمة وليس الكفر المخرج من الدين، ومنهم من أولها بأنها محمولة على التغليظ والترهيب، ومنهم من أولها بأن المقصود استحلال ما ذكر فيها من المعاصي وأبقي الكفر المنسوب إلى أهلها على حقيقته، فمن استحل شيئًا مما ذكرته تلك الأحاديث كان كافرًا مرتدًّا، ومنهم من نحى منحى آخر فأول كل حديث تأويلاً متفقًا مع القاعدة السابقة المقررة عند أهل السنة وهي أن: "أهل الكبائر لا يخلدون في النار" فلم يلتزم هؤلاء تأويلاً عامًّا شاملاً لجميع هذه الأحاديث ومنهم من أولها بأن المقصود بها بيان الأعمال والأقوال التي هي من ثمرات الكفر لا من ثمرات الإيمان، وأن الإيمان لا يقتضيها وإنما يقتضي البعد عنها[٢].

يقول الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله تعالى -بعد أن ذكر بعض التأويلات السابقة وضعّفها-: "وإن الذي عندنا في هذا الباب كله أن المعاصي والذنوب لا تزيل إيمانًا ولا توجب كفرًا، ولكنها إنما تنفي من الإيمان حقيقته وإخلاصه الذي نعت الله به أهله واشترطه عليهم في مواضع من كتابه، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم، انظر صحيح البخاري في كتاب الجنائز، وصحيح مسلم بشرح النووي (٢/١٠٩).
(٢) انظر تفصيل بعض هذه التأويلات في رسالة الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام مطبوعة مع عدة رسائل ص٨٤ وما بعدها.

ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١١١، ١١٢]، وقال: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [المؤمنون:١-١١]، وقال: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال:٢-٤]. قال أبو عبيد: "فهذه الآيات التي شرحت وأبانت شرائعه المفروضة على أهله ونفت عنه المعاصي كلها ثم فسرته السنة بالأحاديث التي فيها خلال الإيمان فلما خالطت هذه المعاصي هذا الإيمان المنعوت بغيرها قيل: ليس هذا من الشرائط التي أخذها الله على المؤمنين ولا الأمارات التي يعرف بها أهل الإيمان فنفت عنهم حينئذ حقيقته[1] ولم يزل عنهم اسمه فإن قال قائل: كيف يجوز أن يقال: ليس بمؤمن. واسم الإيمان غير زائل عنه؟ قيل: هذا كلام العرب المستفيض عندنا غير المستكر في إزالة العمل عن عامله إذا كان عمله على غير حقيقته، ألا ترى أنهم يقولون للصانع إذا كان ليس بمحكم لعمله: ما صنعت شيئًا ولا عملت عملاً، وإنما وقع معناها هنا على نفي التجويد لا على الصنعة نفسها فهو عندهم عامل بالاسم وغير عامل في الإتقان، حتى تكلموا به فيما هو أكثر من هذا وذلك كرجل يعق أباه ويلغ منه الأذى فيقال: ما هو بولد. وهم يعلمون أنه ابن صلبه ثم يقال مثله في الأخ والزوجة... ثم قال أبو عبيد: وكذلك الأحاديث التي فيها البراءة فهي مثل قوله: من فعل كذا وكذا فليس منا، لا نرى شيئًا يكون معناه التبرؤ من رسول الله ﷺ ولا من ملته إنما مذهبه عندنا أنه ليس من المطيعين لنا ولا من المقتدين بنا ولا من المحافظين على شرائعنا...

وأما الآثار المروية بذكر الكفر والشرك ووجوبهما بالمعاصي فإن معناها عندنا

(١) يقصد إخلاصه وصفاءه أي حقيقته التي لم تختلط بشيء من المعاصي.

ليست تثبت على أهلها كفرًا ولا شركًا يزيلان الإيمان عن صاحبه، إنما وجوهها أنها من الأخلاق والسنن التي عليها الكفار والمشركون"[1].

والواقع أن هناك عدة أدلة وقرائن شرعية قاطعة تقتضي تأويل تلك الأخبار منها:

أولاً: تلك الأحاديث المستفيضة التي تدل على أن أهل الكبائر والمعاصي لا يخلدون في النار وإنما يؤول أمرهم إلى الجنة إما بعد عذاب مؤقت في النار، وإما بعد عفو ومغفرة من الله الغفور الرحيم، وقد قدمنا لك بعض هذه الأحاديث، وقد أشير في بعضها إلى كبائر هي أشد في حقيقتها من بعض الأعمال التي وقع تسميتها بالكفر في بعض الأحاديث، فإن الزنا والسرقة أشد من سباب المسلم ومن الطيرة ومن النياحة على الميت التي سميت كفرًا.

ثانيًا: إن تلك الأمور التي وصفت بالكفر في بعض الأحاديث، لو كانت سببًا للردة والخروج من دين الله ﷻ لكان حكمها في الدنيا هو الحكم الذي أجمع عليه المسلمون، والذي نص عليه رسول الله ﷺ في قوله في الحديث الصحيح: "**من بدّل دينه فاقتلوه**"[2]، وكذلك وجدنا الله ﷻ حكم في السارق بقطع اليد وفي الزاني والقاذف بالجلد، ولو كان الذنب يكفّر صاحبه ما كان الحكم على هؤلاء إلا القتل فلو كانوا كفارًا لما كانت عقوباتهم القطع والجلد، ولما قبل عفو ولي المقتول عن القاتل لأن المرتد لا يقبل فيه العفو من أحد في الدنيا ونصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزاني والسارق والقاذف لا يقتلون؛ بل يقام عليهم الحدود فدل ذلك على أنهم ليسوا مرتدين[3].

ثالثًا: أننا نجد في القرآن نصوصًا جعل الله سبحانه فيها مرتكب الكبيرة من المؤمنين

(١) انظر رسالة الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام ص٨٩ وما بعدها.

(٢) أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما في كتاب الجهاد.

(٣) انظر رسالة الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام ص٨٩، وشرح العقيدة الطحاوية ص٣٦١.

وأثبت له صفة الإيمان وأخوة الإيمان[1] فقد قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى ﴾ إلى أن قال سبحانه: ﴿ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ [البقرة:١٧٨]، فلم يخرج سبحانه القاتل من الذين آمنوا وجعله أخًا لولي القصاص والمراد أخوة الدين بلا ريب[2].

وكذلك قال تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا ﴾ إلى أن قال: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡ﴾ [الحجرات:٩، ١٠].

أهل السنة يثبتون للمعاصي عقوبتها المنصوص عليها:

وإذا كان أهل السنة يقررون بأن المعاصي من كبائر وذنوب لا توقع صاحبها في الردة إن لم تقترن بسبب من أسباب الكفر فإنهم لا يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية هو ما قالته فرقة تسمى "المرجئة" فإنهم ادعوا أن الذنب لا يضر صاحبه أبدًا ما دام مؤمنًا، وهذا قول مخالف لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فقد أخبر الشارع عن العقوبات الأخروية لكثير من المحرمات والمعاصي.

وأما أهل السنة فيرون أن فعل المعاصي يترتب عليه العذاب والعقاب الذي توعد الله به على فعلها في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ وأنها تؤثر على الإيمان من حيث زيادته ونقصه لا من حيث بقاؤه وذهابه؛ بل قد يؤدي الإكثار من مقارفة المعاصي إلى الوقوع في الكفر والردة بإنكار بعض ما جاء به الرسول ﷺ؛ لتبرير مقتضيات الهوى والشهوة، ولأن اتباع الشهوات واقتراف الذنوب والمعاصي يميت القلب إذا كثر فيغدو يؤول ويبرر لصاحبه كل ما يفعله حتى يوقعه في استحلال المعاصي فيؤدي بصاحبه إلى الكفر والعياذ بالله.

وشبهة "المرجئة" أنها حملت ظواهر النصوص المتقدمة الدالة على أن من مات على

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص٣٦١، العقيدة الواسطية مع شرحها لمحمد خليل هراس ص١٣٨، ١٣٩.
(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص٣٦١.

التوحيد دخل الجنة كقوله ﷺ: "من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة"[1] فظنوا أن دخوله الجنة يقتضي عدم عذابه ولكن لا تلازم بينهما فقد يعذب المومن العاصي بما شاء الله أن يعذب ثم يدخله الجنة في المآل[2] وربما تمسكوا بقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [المائدة:٩٣].

والحق أن هذه الآية نزلت في حق من مات من الصحابة ﷺ قبل تحريم الخمر حيث لم يكونوا مكلفين باجتنابها قبل تحريمها، ويدل على ذلك ما ورد في سبب نزولها فقد ورد أن قدامة ابن عبد الله شرب الخمر بعد تحريمها وطائفة وتأولوا قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ فلما ذُكر ذلك لعمر بن الخطاب ﷺ اتفق هو وعلي بن أبي طالب وسائر الصحابة على أنهم إن اعترفوا بالتحريم جلدوا وإن أصروا على استحلالها قتلوا، وقال عمر لقدامة: أما إنك لو اتقيت وآمنت وعملت الصالحات لم تشرب الخمر، وذلك أن هذه الآية نزلت بسبب أن الله سبحانه لما حرم الخمر وكان تحريمها بعد وقعة أحد قال بعض الصحابة: فكيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر؟ فأنزل الله هذه الآية وبين فيها أن من طعم الشيء في الحال التي لم يحرم فيها فلا جناح عليه إذا كان من المومنين المتقين الصالحين[3].

الكبائر:

ذلك هو حكم المعاصي جميعًا صغيرة كانت أم كبيرة حذر الله ورسوله ﷺ من الوقوع فيها فيجب على المومن أن يتزود دائمًا بتقوى الله ويكثر من هذا الزاد ويجتنب محارم الله ويقف عند حدوده ولا يتساهل فيقول: هذه صغيرة فإن الله ﷻ يقول: ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا

(١) صحيح مسلم مع شرح النووي (١/٢١٨).
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١/٢١٩).
(٣) انظر تفسير القرطبي (٦/٢٩٣)، وشرح العقيدة الطحاوية ص٣٦٤، ٣٦٥.

يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء:١٢٣]، وقال رسول الله ﷺ: "**إن المذنب إذا أذنب نكتت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب واستغفر صقل قلبه وإن لم يتب زادت حتى تعلو قلبه**"(١)، أي تغشيه وتغطيه تلك النكتة السوداء وهذا هو الران الذي ذكره الله تبارك وتعالى في كتابه فقال: ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين:١٤].

وقد قال بعض العلماء: لا تنظر إلى صغر الخطيئة ولكن انظر من عصيت، وقال الحسن البصري: ترك الخطيئة أيسر من طلب التوبة(٢)، ويؤيده قول الرسول ﷺ في الحديث الصحيح: "**ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم**"(٣) فانظر كيف أتى ﷺ بالاستطاعة في جانب المأمورات، ولم يأت بها في جانب المنهيات، إشارة إلى عظيم خطرها وقبيح وقعها، وأنه يجب بذل الجهد واستفراغ الوسع في الابتعاد عنها قال الفضيل بن عياض: بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم عند الله، وبقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله، وقال السلف: المعاصي بريد الكفر(٤) ذلك أن كثرتها تقسي القلب فيخرج منه كل خير فيرتكب ما أراد ويفعل ما أحب، فيتخذ الشيطان وليًّا من دون الله، فيضله ويغويه ويصده ولا يرضى منه بأقل من الكفر ما وجد إليه سبيلاً.

ومع هذا فإنه لا شك أن الله ﷻ قد شدد على بعض المعاصي وتوعد عليها، وهدد من يفعلها بأشد العقاب، وكذلك الرسول ﷺ أخبر عن بعض المعاصي أنها من الموبقات أي المهلكات وذكر شيئًا منها في عدد من الأحاديث الصحيحة وسماها الكبائر من هذه الأحاديث:

---

(١) رواه ابن جرير والترمذي والنسائي وابن ماجه، انظر: صحيح الترمذي بشرح ابن العربي (١٢/٢٣٤)، وقد قال عنه الترمذي: حسن صحيح. وسنن ابن ماجه (٢/١٤١٨).

(٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/١٢).

(٣) أخرجه البخاري ومسلم، فتح الباري (١٧/٢١)، وصحيح مسلم بشرح النووي (٥/١٩).

(٤) الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/١٢).

١- عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: "**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر** (ثلاثًا): **الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور أو قول الزور**"، وكان رسول الله ﷺ متكئًا فجلس فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت[١].

٢- وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "**اجتنبوا السبع الموبقات**"، قيل: يا رسول الله، وما هن؟ قال: "**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات**"[٢].

٣- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "**من الكبائر شتم الرجل والديه**"، قالوا: يا رسول الله، وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: "**نعم، يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه**"[٣].

وهنالك أحاديث أخرى فيها ذكر بعض المعاصي وتسميتها بالكبائر، والواقع أنه ليس في الأحاديث حصر لها في عدد مذكور[٤] ولعل عدم حصرها في عدد معين مقصود لحكمة حث المؤمنين على اجتناب المعاصي كلها خشية أن يكون بعض ما يرتكبه العبد من الكبائر، ومع هذا فقد ذهب جماهير السلف والخلف إلى انقسام المعاصي إلى صغائر وكبائر ولا شك أن في كل معصية مخالفة لله تعالى في أمره ونهيه ومخالفة الله ﷻ قبيحة جدًا بالنسبة لجلال الله تعالى، ولكن بعض المعاصي أخف من بعض.

---

(١) صحيح مسلم مع شرح النووي (٢/٨١، ٨٢)، وأخرج البخاري نحوه عن أنس ﷺ في كتاب الديات.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٢/٨٢، ٨٣)، وأخرجه البخاري في كتاب الوصايا.

(٣) متفق عليه واللفظ لمسلم، انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (٢/٨٢، ٨٣).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/٨٤).

تعريف الكبيرة ومعيارها:

هذا وقد اختلفت عبارات العلماء في تعريف الكبيرة وتمييزها عن الصغيرة[1] ولكن كثيرًا منهم يرجح أن الكبيرة هي كل معصية يترتب عليها حد أو توعد عليها بالنار أو اللعنة أو الغضب وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن البصري رحمه الله تعالى[2] وقال أبو حامد الغزالي رحمه الله: "إن كل معصية يقدم المرء عليها من غير استشعار خوف وحذار ندم كالمتهاون بارتكابها والمتجرئ عليها اعتيادًا فما أشعر بهذا الاستخفاف والتهاون فهو كبيرة، وما يحمل على فلتات اللسان والنفس وفترة مراقبة التقوى، ولا ينفك عن تندم يمتزج به تنغيص التلذذ بالمعصية فهذا لا يمنع العدالة وليس بكبيرة"[3].

ومن المستحسن في هذا المقام أن نثبت للقارئ كلامًا حسنًا معقولاً في التمييز بين الصغيرة والكبيرة للإمام الشيخ العز بن عبد السلام في كتابه "القواعد" فقد قال: "إذا أردت معرفة الفرق بين الصغائر والكبائر فاعرض مفسدة الذنب على مفاسد الكبائر المنصوص عليها فإن نقصت عن أقل مفاسد الكبائر أي المنصوص عليها فهي من الصغائر، وإن ساوت أدنى مفاسد الكبائر أو أربت عليها فهي من الكبائر فمن شتم الرب أو الرسول ﷺ أو استهان بالرسل أو كذب واحدًا منهم... أو ألقى المصحف في القاذورات فهذا من أكبر الكبائر، ولم يصرح الشرع بأنها كبيرة، وكذلك لو أمسك امرأة محصنة لمن يزني بها أو مسلمًا لمن يقتله، فلا شك أن مفسدة ذلك أعظم من مفسدة أكل مال اليتيم مع كونه من الكبائر، وكذلك لو دل الكفار على عورة المسلمين مع علمه بأنهم يستأصلونهم بدلالته،

---

(١) انظر أقوالهم في ذلك في كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/٤) وما بعدها وشرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ٨٥).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص٤١٨، وشرح النووي على صحيح مسلم (٢/٨٥).

(٣) نقله عن الغزالي النووي في شرحه على صحيح مسلم (٢ ٨٥).

ويسبون حرمهم وأطفالهم ويغتنمون أموالهم، ويرنون بنسائهم ويخربون ديارهم، فإن تسببه إلى هذه المفاسد أعظم من توليته يوم الزحف بغير عذر مع كونه من الكبائر، وقد نص الشارع على شهادة الزور وأكل مال اليتيم من الكبائر فإن وقعا في مال خطير، فهذا ظاهر وإن وقعا في مال حقير، فيجوز أن يجعل من الكبائر فطامًا عن هذه المفاسد، كما جعل شرب قطرة من الخمر من جملة الكبائر، وإن لم تتحقق المفسدة فيها... والوقوف على تساوي المفاسد وتفاوتها عزة، ولا يهتدي إليها إلا من وفقه الله تعالى والوقوف على التساوي أعز من الوقوف على التفاوت ولا يمكن ضبط المصالح والمفاسد إلا بالتقريب"[1] ثم قال: "وقد ضبط بعض العلماء الكبائر بأن قال: كل ذنب قرن به وعيد أو حد أو لعن فهو من الكبائر... فقتل المؤمن كبيرة؛ لأنه اقترن به الوعيد واللعن والمحاربة والزنا والسرقة والقذف كبائر لاقتران الحدود بها، وعلى هذا كل ذنب علم أن مفسدته كمفسدة ما قرن به الوعيد أو اللعن أو الحد أو أكبر من مفسدته فهو كبيرة"[2].

ذكر بعض الكبائر:

ومن هنا تعلم أيها القارئ أن ما ذكره العلماء من ضوابط للتمييز بين الصغائر، والكبائر إن هو إلا على وجه التقريب، وتعلم أن النصوص وردت بالتعريف ببعض الكبائر وأخرى عرفت الصغائر، وهناك أنواع أخرى من المعاصي مشتملة على صغائر وكبائر، فواجبك أن تجتهد في اجتناب كل معصية، وأن تبذل كل جهد في توقي ما نص الشارع على أنه كبيرة وتضاعف جهدك في ذلك، وكذلك فيما رجح العلماء أنه منها ولا تستصغرن معصية مهما كانت، ولا تتهاون فيها، ولا تصرن على ذنب مهما كان صغيرًا فإن العلماء نصوا على أن الإصرار على الصغيرة بمثابة ارتكاب الكبيرة

(١) قواعد الأحكام (١/٢٣، ٢٤).

(٢) المرجع السابق.

وحد الإصرار أن يتكرر فعل الصغيرة تكرارًا يشعر بقلة مبالاة لشخص بديه[1]، وكذلك الإكثار من فعل الصغائر ولو كانت مختلفة لا يقل عن ارتكاب كبيرة من الكبائر؛ لأن هذا الإكثار من فعل الصغائر يدل على عدم المبالاة بالدين وعلى استصغار مخالفة الرب ﷻ.

وفي هذا المقام أذكر جملة من الكبائر التي ذكرها ابن حجر الهيثمي في كتابه القيّم "الزواجر عن اقتراف الكبائر" فمنها:

الشرك الأكبر أعاذنا الله منه والشرك الأصغر وهو الرياء والغضب بالباطل، والحقد والحسد والكبر والعجب والخيلاء والغش والنفاق والبغي والإعراض عن الخلق استكبارًا واحتقارًا لهم، والطمع وسخط المقدور والنظر إلى الأغنياء وتعظيمهم لغناهم، والاستهزاء بالفقراء لفقرهم والتنافس في الدنيا، والمباهاة بها، والتزين للمخلوق بما يحرم التزين به والمداهنة وحب المدح بما لا يفعله والحمية لغير دين الله، وهوان حقوق الله تعالى وأوامره على الإنسان واتباع الهوى والإعراض عن الحق وسوء الظن بالمسلم وعدم قبول الحق إذا جاء بما لا تهواه الأنفس، أو جاء على يد من تكرهه وفرح العبد بالمعصية، والإصرار عليها ونسيان الله تعالى والدار الآخرة، والأمن من مكر الله والاسترسال في المعاصي، وسوء الظن بالله تعالى، والقنوط من رحمته، وتعلم العلم للدنيا وكتم العلم وعدم العمل بالعلم، وتعمد الكذب على الله تعالى أو على رسوله ﷺ، وسن السنة السيئة في الناس، وترك السنة النبوية، وعدم الوفاء بالعهد، ومحبة الظلمة والفسقة، وبغض الصالحين وأذيتهم، والكلمة التي تعظم مفسدتها وينتشر ضررها مما يسخط الله، وترك الصلاة على رسول الله ﷺ عند سماع ذكره بسبب اشتغال بلهو محرم، والرضا بالكبيرة والإعانة عليها، وملازمة الشر والفحش حتى يخشاه الناس، ونسيان القرآن، والجدال والمراء وهو المخاصمة والمحاجة

(١) قواعد الأحكام (١ ٢٧).

وطلب القهر والغلبة في القرآن أو الدين، وعدم التنـــزه من البول في البدن أو الثوب، وكشف العورة لغير الضرورة، ووطء الحائض، وتعمد ترك الصلاة، وتعمد تأخير الصلاة عن وقتها أو تقديمها عليه من غير عذر كسفر أو مرض، أو إمامة الإنسان لقوم يعلم أنهم كارهون لإمامته، وقطع الصف في الصلاة وعدم تسويته ومسابقة الإمام، واتخاذ القبور مساجد، وإيقاد السرج عليها واستلامها، وسفر المرأة وحدها، وترك السفر أو الرجوع منه تشاؤمًا وتطيرًا، وترك صلاة الجمعة مع الجماعة من غير عذر، وتخطي الرقاب يوم الجمعة، ولبس الرجل للحرير الخالص بغير عذر شرعي، وتحليه بالذهب وغير الخاتم من الفضة، وتشبه الرجال بالنساء فيما يختص به عرفًا من لباس أو كلام أو حركة أو نحوها، وكذلك عكسه أي تشبه النساء بالرجال، والخيلاء والتبختر في المشي، ولطم الخد وشق الجيب والنياحة والدعاء بالويل أو الثبور عند وقوع المصيبة، وترك الزكاة وتأخيرها بعد وجوبها لغير عذر شرعي، وشح الدائن على مدينه المعسر مع علمه بإعساره، والمن بالصدقة، ومنع فضل الماء عن المحتاج والمضطر، وترك صوم يوم من أيام رمضان، والإفطار فيه بغير عذر من سفر أو مرض، وتأخير قضاء ما تعدى بفطره من رمضان، وصوم العيدين وأيام التشريق، وترك الحج مع القدرة عليه إلى الموت، وشرب المسكر أو أكله مهما كان خمرًا أو حشيشة أو أفيونًا، وأكل لحم الخنـــزير أو الميتة، وأكل الربا أو إطعامه وكتابته وشهادته والسعي فيه والإعانة عليه، وأكل المال بالبيوعات الفاسدة وسائر وجوه الكسب المحرم، والاحتكار والغش في البيع، وإنفاق السلعة بالحلف الكاذب، وتطفيف الميزان ونحوه، ومطل الغني بعد المطالبة من غير عذر، وأكل مال اليتيم، وإنفاق المال في المحرمات، والبناء فوق الحاجة للخيلاء، وخيانة الشريك والوكيل، والغصب وهو: الاستيلاء على مال الغير ظلمًا، وتأخير أجر الأجير أو منعه منه بعد إتمام عمله، والاستيلاء على مال مباح ومنعه ابن السبيل، وجحد الأمانات كالوديعة والعين المرهونة أو المستأجرة وغير ذلك.

وقد ذكر ابن حجر غير هذه الأمور فيحسن الاطلاع على كتابه[1].

أسباب سقوط العقوبة عن العصاة:

وإذا وقع العبد المؤمن في المعصية فإن الله ﷻ قد فتح لعباده أبواب رحمته للخلاص من عقوبة ما يقعون فيه إذا أخلصوا واتقوا.

هذا وقد استقرأ بعض العلماء الأسباب التي تسقط العقوبة عن المعاصي في نصوص القرآن والسنة، ولخص لقارئ ما خلص إليه شارح العقيدة الطحاوية في هذا الموضوع[2] فقد قال: "إن فاعل السيئات يسقط عنه عقوبة جهنم بنحو عشرة أسباب عرفت بالاستقراء من الكتاب والسنة"، ثم ذكر منها ما يلي:

السبب الأول: التوبة. فقد قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ [مريم:٥٩، ٦٠]، وقال أيضًا: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٠].

والتوبة التي تسقط العقوبة هي التوبة النصوح، وهي الخالصة النابعة من القلب لا المقتصرة على النطق باللسان، وهي ما يصحبها الندم على ما فات من المعاصي والعزم على عدم العودة إليها وعمل الصالحات.

وكون التوبة سببًا لغفران الذنوب وعدم المؤاخذة بها مما لا خلاف فيه بين الأمة، وليس شيء يكون سببًا لغفران جميع الذنوب إلا التوبة قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ

(١) انظر كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر الجزء الأول والثاني، وممن صنف في الكبائر وذكر أقسامها وأدلتها الإمام الذهبي في كتاب الكبائر والشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب الكبائر أيضًا.

(٢) انظر ذلك بالتفصيل في شرح العقيدة الطحاوية ص٣٧١-٣٩٧، ص٥١١-٥١٧.

﴿ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣].

السبب الثاني: الاستغفار فقد قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال:٣٣]، والواقع أن الاستغفار يدخل في معنى التوبة، فإن الاستغفار طلب مغفرة الذنوب التي وقع فيها العبد، وهو ما يدخل في الندم على ما قدم الإنسان، فإن طلب المغفرة عنوان هذا الندم، وتزيد التوبة عن الاستغفار أن في معناها العزم على اجتناب المعاصي في المستقبل.

السبب الثالث: فعل الحسنات فقد قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤].

السبب الرابع: الوقوع في المصائب الدنيوية لقوله ﷺ: **"ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب، ولا غم ولا هم ولا حزن، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفّر الله بها من خطاياه"**[1].

واعلم أن تكفير الخطايا يكون بسبب وقوع المعصية نفسها، فإذا صبر المبتلى فاز بثواب جديد فوق تكفير خطاياه، وإن سخط اكتسب إثمًا جديدًا، ويبقى تكفير خطاياه بوقوع المصيبة.

السبب الخامس: عذاب القبر.

السبب السادس: أهوال يوم القيامة وشدائده.

السبب السابع: شفاعة من أذن الله لهم بالشفاعة يوم القيامة.

---

(١) متفق عليه، انظر: رياض الصالحين ص٣١.

السبب الثامن عفو أرحم الراحمين من غير شفاعة كما قال تعالى: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨]

السبب التاسع. دعاء المؤمنين واستغفارهم في الحياة وبعد الممات.

السبب العاشر: ما يهدى للعبد المؤمن من ثواب صدقة أو قراءة أو حج أو نحو ذلك، فقد اتفق أهل السنة على أن الأموات من المؤمنين ينتفعون من سعي الأحياء بأمرين:

الأمر الأول: ما يسبب إليه الميت في حياته لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: **"إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له، أو علم ينتفع به من بعده"**(١).

الأمر الثاني. دعاء المسلمين واستغفارهم والصدقة والحج، واختلفوا في العبادات البدنية كالصوم والصلاة وقراءة القرآن والذكر.

فذهب أبو حنيفة وأحمد وجمهور السلف إلى وصولها والمشهور من مذهب الشافعي ومالك عدم وصولها.

والدليل على انتفاع الميت بأشياء لم يتسبب فيها قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [الحشر:]. فأثنى الله ﷻ عليهم باستغفارهم للمؤمنين قبلهم، فدل على انتفاعهم باستغفار الأحياء

وقد دل على انتفاع الميت بالدعاء إجماع الأمة على الدعاء له في صلاة الجنازة.

والأدعية التي وردت بها السنة في صلاة الجنازة مستفيضة، وكذلك الدعاء له بعد

(١) خرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة ﷺ والبخاري في الأدب.

الدفن، وكان رسول الله ﷺ يعلم الصحابة ﷺ إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: "**السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية**"(١).

ويدل على وصول ثواب الصدقة للميت ما ورد في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن أمي افتلتت نفسها، ولم توص وأظنها لو تكلمت تصدقت أفلها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: "**نعم**"(٢) وقد ورد أكثر من حديث في هذا المعنى.

ويدل على وصول ثواب الصوم ما ورد في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: "**من مات وعليه صيام صام عنه وليه**"(٣).

ويدل على وصول ثواب الحج ما ورد في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها؟ قال: "**حجي عنها أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ اقضوا الله فالله أحق بالوفاء**"(٤).

وهذا لا يتناقض مع قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم:٣٩]، وقوله: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴾ [البقرة:٢٨٦]، وقوله: ﴿ وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [يس:٥٤]؛ لأن الإنسان بدخوله الإسلام، وارتباطه بذلك مع إخوانه المسلمين برباط الأخوة الإيمانية، وبحسن عشرته، وإسداء الخير للناس، وتوده لهم، يكون ساعيًا في حثهم على الدعاء له بعد مماته، والاستغفار والترحم عليه، وإهداء ثواب الطاعات له،

(١) أخرجه مسلم، انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٤٥/٧).

(٢) متفق عليه واللفظ لمسلم انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٨٩/٧).

(٣) متفق عليه انظر صحيح البخاري في كتاب الصوم (باب من مات وعليه صوم).

(٤) أخرجه البخاري انظر صحيح البخاري مع فتح الباري (٥٢/٤).

فكان هذا الكسب أثرًا من آثار سعيه، فالقول بانتفاع الميت مما يهدئ إليه من إخوانه لا يتعارض مع تلك الآيات الكريمات، فإنها آيات محكمة تقتضي عدل الله تعالى وتقتضي ألا يعاقب أحد بجرم غيره، ولا يؤخذ بجريرة غيره، كما يفعله ملوك الدنيا، وتقتضي أنه لا يفلح أحد إلا بعمله؛ لينقطع طمعه بعمل آبائه وسلفه ومشايخه.

إلا أنه يجدر بالملاحظة أن هناك بعض العادات والبدع لا تدخل فيما تقدم، وليس عليها دليل من الشرع، ولم يقل بجوازها أحد من العلماء، مثل: استئجار قوم يقرؤون القرآن ويهدونه للميت، فهذا العمل لم يجزه أحد، وإنما اختلف الفقهاء في جواز الاستئجار على تعليم القرآن، وأما الاستئجار لقراءته وإهدائه للميت، أو الاستئجار لمن يصلي ويصوم ويهدي للميت، فهذا لا خلاف في عدم جوازه، ولكن الذي يدخل فيما سبق يقتصر على قراءة القرآن وإهدائها للميت تطوعًا بغير أجرة.

* * *

خلاصة الوحدة الرابعة

١- مذهب أهل السنة أن من مات موحدًا دخل الجنة قطعًا، وأنه لا يخلد في النار أحد من أهل التوحيد.

٢- أهل السنة لا يكفّرون أحدًا بذنب ما لم يستحله.

٣- غلّب الخوارج جانب الوعيد في الأدلة الشرعية، وأغفلوا جانب الوعد، فكفّروا أهل المعاصي، وحكموا بخلودهم في النار.

٤- جمع أهل السنة بين نصوص الوعيد، والنصوص الدالة على بقاء أهل المعاصي على أصل التوحيد، فكانوا الأسعد بالدليل.

٥- اختلفت مذاهب العلماء في تفسير النصوص التي قد يستدل بها على كفر بعض أهل المعاصي.

٦- تنقسم المعاصي إلى كبائر وصغائر.

٧- اختلفت عبارات العلماء في تعريف الكبيرة، وتمييزها عن الصغيرة، والراجح أن الكبيرة هي: كل معصية يترتب عليها حد، أو توعد عليها بالعذاب أو اللعنة أو الغضب.

٨- هناك أسباب تسقط العقوبة بالنار عن أهل المعاصي.

* * *

الاختبار البعدي للوحدة الرابعة

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

عزيزي الدارس: ضع علامة (✓)أمام الإجابة الصحيحة وعلامة (X) أمام الإجابة الخطأ في كل مما يلي:

١- إلقاء المصحف في النجاسة عمداً من أعمال الكفر بالإجماع.

٢- من ألقى المصحف في النجاسة وأعلن أنه بذلك يقصد التحقير فإننا نحكم عليه بأنه كافر مرتد مخلد في النار.

٣- الحكم بالتكفير على الأشخاص ليس من اختصاص العباد بل هو لله وحده.

٤- لا نكفر أحداً إلا بنصّ من القرآن أو السنة على كفره بعينه كأبي لهب.

٥- لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله.

٦- اقتراف المعاصي بمفرده لا يخرج من دين الله.

٧- من مات موحداً دخل الجنة قطعاً على كل حال.

٨- المسلم الذى اتصل جنونه بالبلوغ لا يدخل النار أبداً إذا مات على ذلك.

٩- كل من مات على كبيرة لم يتب منها فسيدخل النار ولكنه لن يخلد فيها لما عنده من التوحيد.

١٠- لا يخلد فى النار موحد ولو عمل من الكبائر ما عمل.

١١- اختلف العلماء في الكافر الذي عمل الكثير من أعمال البر والصلاح، أيدخل الجنة أم لا؟ والراجح أنه لا يدخل.

١٢- لا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله.

١٣- لا يخلد في النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان.

١٤- مـــن مات مشركاً فهو في النار خالداً مخلداً فيها لا فرق في ذلك بين يهودي أو نصراني وبين عبدة الأوثان وسائر الكفرة.

١٥- لا فرق عند أهل الحق بين الكافر عناداً وغيره.

١٦- حمـــل لفـــظ الكفر في الحديث: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» على كفر النعمة يعد تأويلاً مبتدعاً، لا سيما وأن الكفر في الحديث جاء قسيماً للفسق.

١٧- «من حلف بغير الله فقد أشرك» الشرك في الحديث هو الشرك الأصغر.

١٨- حديث «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» يدل على انتفاء أصل الإيمان وقت مواقعة الزنى.

١٩- حديث: «**من بدل دينه فاقتلوه**» قد يصح دليلاً على عدم كفر أهل المعاصي.

٢٠- عقيدة أهل السنة إعلان الولاء لأهل الصلاح والإحسان والبراءة المطلقة من أهل المعاصي.

٢١- مـــن سماحة الإسلام أن الموالاة فيه لا تقوم على أساس الديانة والقاعدة في ذلك قوله تعالى: ﴿ **لكم دينكم ولي دين** ﴾.

٢٢- مـــن لوازم الإيمان بالقدر معرفة أن الأعمال لا تؤثر في دخول العباد إلى الجنة أو النار.

٢٣- الموحدون من أهل الكبائر والمعاصي يؤول أمرهم إلى الجنة ولابد.

٢٤- الخوارج فرقة مبتدعة من مبادئهم أنه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

٢٥- المعاصي بريد الكفر.

٢٦- ذهب جماهير السنف والخلف إلى انقسام المعاصي إلى صغائر وكبائر.

٢٧- كل معصية يترتب عليها حد فهي كبيرة.

٢٨- كل معصية توعد عليها بالنار فهي كبيرة.

٢٩- كل معصية توعد عليها باللعنة أو الغضب فهى كبيرة.

٣٠- الشرك بالله لا يدحل فى الكبائر لأن مرتكبي الكبائر من المؤمنين.

٣١- سب الله أو رسوله ـ ﷺ ـ من الكفر الأكبر وليس من الكبائر.

٣٢- يَجب الاقتصار في معرفة الكبائر على المعاصي التي يدل النص على أنها بخصوصها من الكبائر دون قياس غيرها عليها وهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة.

٣٣- اتخاذ القبور مساجد من الكبائر.

٣٤- فعل الحسنات من أسباب سقوط العقوبة عن العصاة.

٣٥- الوقوع في المصائب الدنيوية من مكفرات الذنوب للكفار.

٣٦- عذاب القبر من مكفرات الذنوب.

٣٧- استغفار المؤمنين لآبائهم الكفار من أسباب تخفيف العذاب عنهم.

٣٨- لا يصح انتفاع الميت بدعاء غيره له بدليل قوله تعالى: ﴿ **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى** ﴾ .

٣٩- لا ينتفع الميت بما يهدى إليه من ثواب الصدقة أو الصوم أو الحج لقوله تعالى: ﴿ **ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون** ﴾.

٤٠- استئجار من يصلي ويصوم ويهدي الثواب للميت لا خلاف في عدم جوازه.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

عزيـــزي الطالب: اختر الإجابة الصحيحة من بين البدائل التي تلي كل سؤال فيما يلي:

- إذا ألقـــى الأمي المصحف في نجاسة ثم ادعى أنه لا يعرف أنه قرآن، فالحكم في هذه المسألة:

١ - أنه ارتكب فعل كفر لكنه لا يكفر لأنه معذور بجهله.

٢ - لا يعتبر أنه ارتكب فعل كفر أصلاً، ولا يكفر مطلقاً.

٣ - لا يصدق في دعواه ويحكم عليه بالكفر ظاهراً.

- «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» تأويل لفظ الكفر في الحديث هو:

١ - المقصود كفر دون كفر.

٢ - أنه كفر أكبر لمن استحله.

٣ - أن الإيمان لا يقتضيه.

٤ - كل ما سبق يصلح أن يكون تأويلاً.

- الذين يقولون: «لا يضر مع الإيمان معصية» هم:

١ - أهل السنة. ٢ - المعتزلة. ٣ - المرجئة. ٤ - الخوارج.

- استئجار من يقرأ القرآن لإهداء ثوابه للميت:

١ - من الأعمال الصالحة التي تنفع المستأجِر والمستأجَر والميت.

٢ - من الأعمال الصالحة التي تنفع المستأجِر والميت.

٣ - من الأعمال الصالحة التي تنفع الميت فقط.

٤ - عمل مبتدع لم يقل بجوازه أحد من العلماء.

- الخوف الفطري من غير الله يعد:

١ - شركاً أصغر. ٢ - شركاً أكبر.

٣ - من الكبائر. ٤ - من الأمور التي لا تضر التوحيد.

- من خاف من بعض المخلوقات معتقداً أنها تضره بمشيئتها وقدرتها:

١ - فهذا من الشرك الأكبر. ٢ - فهذا من الخوف الفطري الذي لا يضر.

٣ - فهذا من الشرك الأصغر. ٤ - كل ما سبق غير صحيح.

- حديث: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة....» عارضه البعض بحديث: «لا تفضلوني على موسى» وجواب ذلك:

١ - أن الحديث الثاني ضعيف لا يثبت.

٢ - أن محمداً ﷺ وموسى - عليه السلام - هما أفضل ولد آدم ولا تفاضل بينهما.

٣ - أن النهي في الحديث الثاني عن التفضيل على وجه الفخر أو الانتقاص بالمفضول.

٤ - كل ما سبق يصلح أن يكون جواباً.

- لو لم يكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تأتيك بالخبر

ما يقصده حسان بن ثابت هو:

١ - أن القرآن ينزل منجماً بالأخبار والآيات على حسب الحوادث.

٢ - أنه يكفي من الآيات البينات على إعجاز القرآن تلك الأخبار التي تدعو إلى تصديقه ببداهة العقل.

٣ - أن الرسول ـــ ﷺ ـــ كانت له خلقة يحكم المتفرس فيها أنه نبي.

٤ - أن الرسول ـــ ﷺ ـــ كان مؤيداً بالمعجزات الحسية والعقلية.

- «لو أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه...»

قائل هذه العبارة هو:

١ - هرقل. ٢ - النجاشي. ٣ - المقوقس. ٤ - الطفيل بن عمرو.

- الدجال يدعي:

١ - الولاية. ٢ - النبوة. ٣ - الألوهية.

- الذي يقتل الدجال هو:

١ - أحد المؤمنين الصادقين. ٢ - عيسى عليه السلام . ٣ - المهدي.

- عندما ينـــزل عيسى عليه السلام يحكم بـــ:

١ - الإنجيل الذي لم يحرف.

٢ - شريعة الإسلام.

٣ - شريعة جديدة يأتي بها من عند الله.

٤ - هذا من الأمور الغيبية التي لا تعلم.

- الشفاعة الكبرى التي لا يشارك نبينا ـــ ﷺ ـــ فيها أحد هي:

١ - شفاعته لينصرف الناس إلى فصل القضاء.

٢ - شفاعته للمؤمنين ليدخلوا الجنة دون عذاب.

٣ - شفاعته للموحدين العصاة ليخرجوا من النار ويدخلوا الجنة.

- يجمع بين قوله تعالى: ﴿ والوزن يومئذ الحق.... ﴾ وقوله:

﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ﴾ بأنه نقول:

١ - أنه ليس للكفار حسنات توزن في مقابلة السيئات.

٢ - أن المعنى أن الكفار لا قدر لهم عند الله.

٣ - أن نفي الوزن في الآية الثانية مستعمل في عدم الاعتداد به.

٤ - كل ما سبق يصلح للجمع.

- ليس من الإيمان بالقدر:

١ - الإيمان بعلم الله القديم والحادث.

٢ - أن الله كتب ذلك العلم في اللوح المحفوظ.

٣ - أن مشيئة الله نافذة وقدرته شاملة.

٤ - إيجاد الله لكل المخلوقات.

- تقسيم القدر إلى خير وشر يكون بإضافته إلى:

١ - الله سبحانه وتعالى.

٢ - الناس والمخلوقات.

٣ - الله عز وجل والمخلوقات.

- أولى الكفار فى ابتداء المسلمين لهم بالقتال هم:

١ - المرتدون.

٢ - المشركون غير المحاربين.

٣ - أهل الذمة غير المحاربين.

- تعلق الصفة بمشيئة الله وقدرته من ضوابط الصفات:

١ - الذاتية. ٢ - الثبوتية. ٣ - الفعلية. ٤ - السلبية.

- البعث ومعاد الأبدان يؤمن به:

١ - المسلمون فقط. ٢ - المسلمون وأهل الكتاب. ٣ - جميع الخلق.

- أنكر ظهور الدجال بعض:

١ - المعتزلة. ٢ - الخوارج. ٣ - الجهمية. ٤ - كل ما سبق.

- من أسماء الرسول ﷺ الثابتة:

١ - الماحي. ٢ - الحاشر. ٣ - العاقب. ٤ - كل ما سبق.

- من علامات الساعة الصغرى:

١ - قلة المال. ٢ - قلة النساء.

٣ - قلة العلم. ٤ - كل ما سبق.

– الإيمان بالنظر إلى ما عند الله هو:

١ – الإقرار باللسان. ٢ – التصديق بالقلب.

٣ – العمل بالجوارح. ٤ – كل ما سبق.

– الإيمان بالنظر إلى ما عند الناس وأحكام الدنيا:

١ – الإقرار باللسان. ٢ – التصديق بالقلب.

٣ – العمل بالجوارح. ٤ – كل ما سبق.

– قـــال الإمام علي: «طريق مظلم فلا تسلكه.. بحر عميق فلا تلجه.. سر الله فلا تكلفه» يتحدث الإمام علي عن:

١ – صفات الله. ٢ – القدر. ٣ – الساعة. ٤ – علم الكلام.

– المقصود بالحشر في يوم القيامة هو:

١ – إدخال الناس إلى الجنة أو النار.

٢ – سوقهم جميعاً إلى الموقف.

٣ – إخراجهم من القبور.

٤ – حسابهم على أفعالهم.

– الأصل في لفظ «الكفر» في النصوص:

١ – حمله على الكفر الأكبر.

٢ – حمله على الكفر الأصغر.

٣ – التوقف فيه.

– حكم أهل الكبائر في الآخرة إذا لم يتوبوا عنها:

١ – يدخلون الجنة لما عندهم من التوحيد.

٢ – يدخلون النار ولا يخلدون فيها.

٣ - يكونون في مشيئة الله.

- **يقتص المؤمنون لبعضهم من بعض على:**

١ - الصراط. ٢ - القنطرة. ٣ - الأعراف. ٤ - أرض الموقف.

ثالثاً: أسئلة المقال:

١- تحدث عن أثر المعصية على إيمان مرتكبها؟

٢- على أي شيء تستدل بقول رسول الله ﷺ: **"من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة؟"**

٣- اذكر بعض النصوص التي استدل بها الخوارج في تكفير مرتكب الكبيرة، ثم بيّن كيف تعامل أهل السنة مع هذه النصوص؟

٤- وضح موقف أهل السنة من المعاصي وعقوبتها؟

٥- اذكر بعض الأدلة على انقسام المعاصي إلى كبائر وصغائر؟

٦- ما هي الكبيرة؟ وكيف يمكن تمييزها عن الصغيرة؟

٧- اذكر أمثلة لبعض الكبائر مع الاستدلال؟

٨- ما هي الأسباب التي تسقط عقوبة جهنم عن العصاة؟

٩- كيف يمكن الجمع بين قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩]، وقوله ﷺ: **"من مات وعليه صوم صام عنه وليه؟"**.

١٠- ما حكم مرتكب الكبيرة إن مات و لم يتب من كبيرته؟

النشاط التعليمي للوحدة الرابعة

عزيزي الدارس: حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول الموضوعات الواردة في هذه الوحدة، عليك أن تقوم بتنفيذ النشاط التعليمي التالي:

شارك مع زملائك في تنظيم وإعداد عناصر حديث يتناول حكم أهل المعاصي؛ ليتم تسجيله على شريط كاسيت، ويحدد دور خاص لكل منكم في تسجيل أحد عناصر هذا الموضوع بصوته هو، ويقدم هذا الشريط بعد ذلك لأستاذ المادة في الجامعة الأمريكية المفتوحة كي يبدي رأيه

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
رسالة إلى الدارس	٣
لوحة المسار لدراسة الكتاب	٤
مكونات الكتاب	٥
الوحدة الأولى: الإيمان بالملائكة والرسل والكتب	**٧ — ٥٨**
مبررات دراسة الوحدة	٨
الأهداف التعليمية للوحدة	٩
الرسم الخطي للوحدة	١٠
الفصل الأول: الإيمان بالملائكة	**١١ — ٢٥**
صفاتهم الخلقية	١٢
عباد مكرمون	١٤
علاقتهم بالكون والإنسان	١٥
عدد الملائكة	٢٠
الإيمان بالملائكة تفصيلي وإجمالي	٢١
أثر الإيمان بالملائكة في حياة الإنسان	٢٤

الفصل الثاني: الإيمان بالرسل	**٢٦ – ٤١**
الأنبياء والرسل المذكورون في القرآن	٢٦
أولو العزم من الرسل	٢٨
موضوع الرسالة	٢٨
الواجب علينا نحو الرسل	٢٩
الإيمان بمحمد ﷺ	٣٢
الفصل الثالث: الإيمان بكتب الله عز وجل	**٤٢ – ٤٨**
خلاصة الوحدة	٤٩
الاختبار البعدي للوحدة	٥١
النشاط التعليمي للوحدة	٥٨
الوحدة الثانية: الإيمان باليوم الآخر وبالقضاء وبالقدر	**٥٩ – ١٤٦**
مبررات دراسة الوحدة	٦٠
الأهداف التعليمية للوحدة	٦١
الرسم الخطي للوحدة	٦٢
الفصل الأول: الإيمان باليوم الآخر	**٦٣ – ١١٠**
اهتمام القرآن بهذا الركن وحكمته	٦٣
أدلة الإيمان باليوم الآخر ورد شبه المنكرين له	٦٦
تفصيل الإيمان باليوم الآخر	٧٣

الفصل الثاني: الإيمان بقضاء الله وقدره	**١١١ – ١٣٠**
تعريف القضاء والقدر	١١١
معنى الإيمان بالقدر	١١٣
درجات الإيمان بالقدر	١١٣
خفاء القدر وكراهة الخوض فيه	١١٩
أثر عقيدة القدر في المسلم	١٢١
الإيمان بالقدر لا ينافي الأخذ بالأسباب	١٢٧
خلاصة الوحدة	١٣١
الاختبار البعدي للوحدة	١٣٣
النشاط التعليمي للوحدة	١٤٦
الوحدة الثالثة: حقيقة الإيمان ونواقضه	**١٤٧ – ٢٢٠**
مبررات دراسة الوحدة	١٤٨
الأهداف التعليمية للوحدة	١٤٩
الرسم الخطي للوحدة	١٥٠
الفصل الأول: حقيقة الإيمان	**١٥١ – ١٦٠**
زيادة الإيمان ونقصه	١٥٥

الفصل الثاني:-نواقض الإيمان	**١٦٠ – ٢٠٨**
المبحث الأول : متى يصير الكافر مؤمنًا (كيفية الدخول في دين الله عز وجل)	**١٦٢– ١٦٩**
أدلة الأصل المتقدم	١٦٣
الأحاديث	١٦٣
السنة العملية ووقائع السيرة	١٦٤
المبحث الثاني : متى يصير المؤمن كافرا (نواقض الإيمان)	**١٧٠ – ٢٠٨**
القاعدة	١٧٠
أنواع النواقض	١٧٢
النوع الأول (نقض وحيد الربوبية)	١٧٢
النوع الثاني (نقض توحيد الأسماء والصفات)	١٧٣
النوع الثالث (نقض توحيد الألوهية)	١٧٤
النوع الرابع من النواقض	١٧٨
الرضى بالكفر وعدم الرضى بالإسلام كفر	١٨٠
أولاً: أساليب الرضى بالكفر	١٨١
معنى الموالاة للكفار	١٨٧
ما يقبل وما لا يقبل من الأعذار في هذا المقام	١٨٩
حدود الإكراه المعتبر	١٩٠
بعض مظاهر عدم الرضى بالإسلام	١٩٤
نصوص لبعض العلماء فيما يكون سببًا للردة	١٩٥

الاحتياط في تكفير المعينين	٢٠٥
خلاصة الوحدة	٢٠٩
الاختبار البعدي للوحدة	٢١١
النشاط التعليمي للوحدة	٢٢٠
الوحدة الرابعة:حكم أهل المعاصي	**٢٢١ – ٢٥٦**
مبررات دراسة الوحدة	٢٢٢
الأهداف التعليمية للوحدة	٢٢٣
الرسم الخطي للوحدة	٢٢٤
اقتراف المعاصي بمفرده لا يخرج من دين الله تعالى	٢٢٥
أهل السنة يثبتون للمعاصي عقوباتها المنصوص عليها	٢٣٢
الكبائر	٢٣٣
تعريف الكبيرة ومعيارها	٢٣٦
ذكر بعض الكبائر	٢٣٧
أسباب سقوط العقوبة عن العصاة	٢٤٠
خلاصة الوحدة	٢٤٥
الاختبار البعدي للوحدة	٢٤٦
النشاط التعليمي للوحدة	٢٥٦
فهرس الموضوعات	٢٥٧ -٢٦١